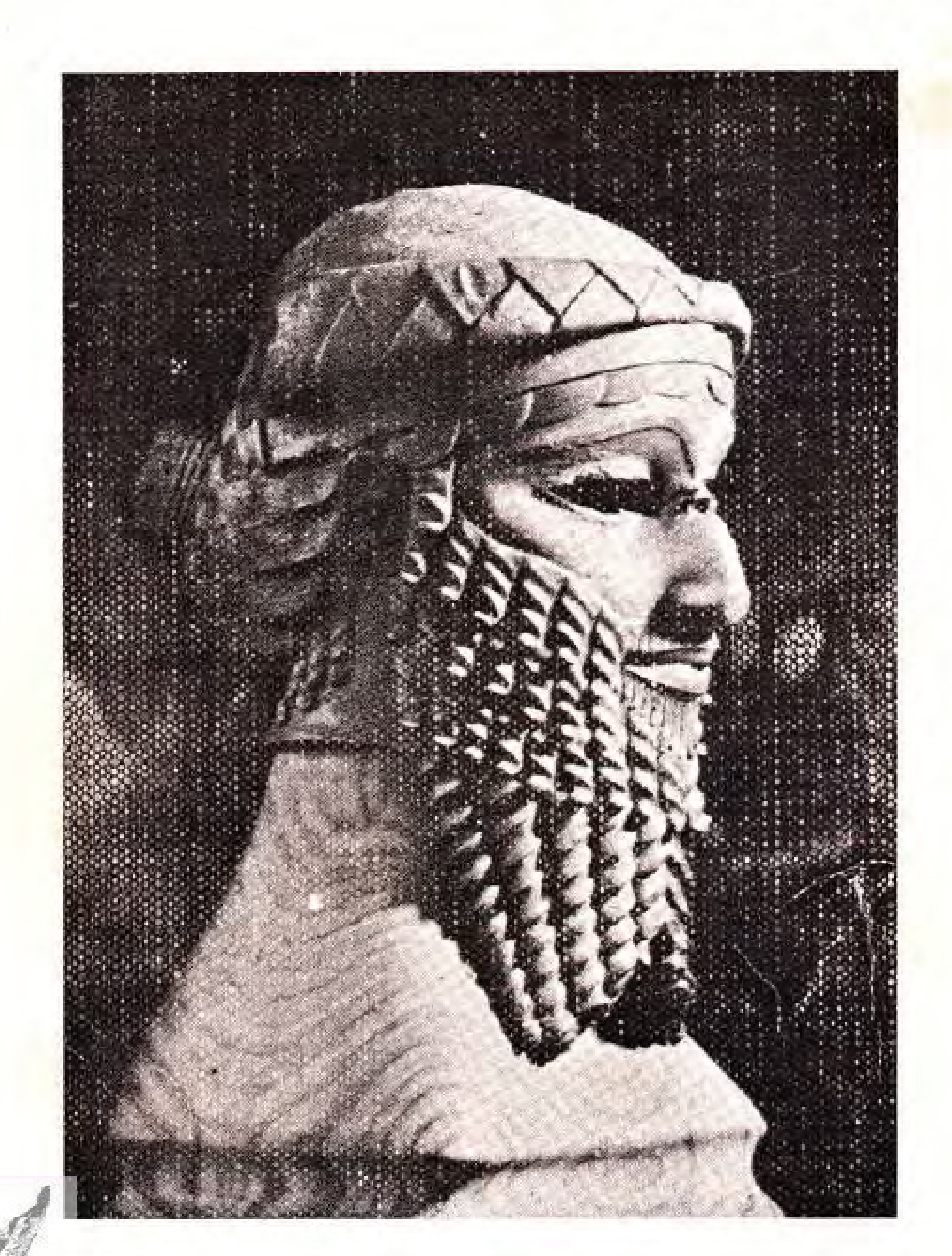
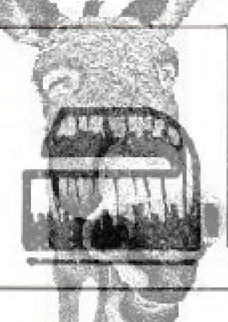
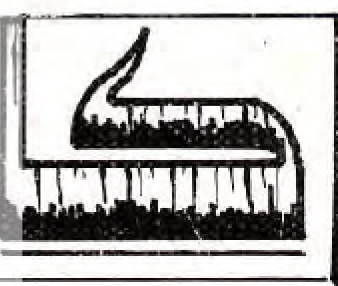
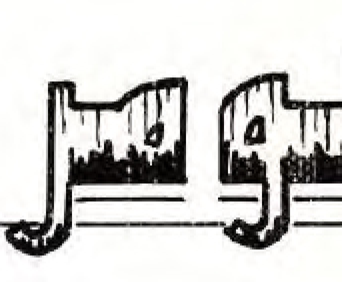
الدكتور وديع بشور





سومر واكاد

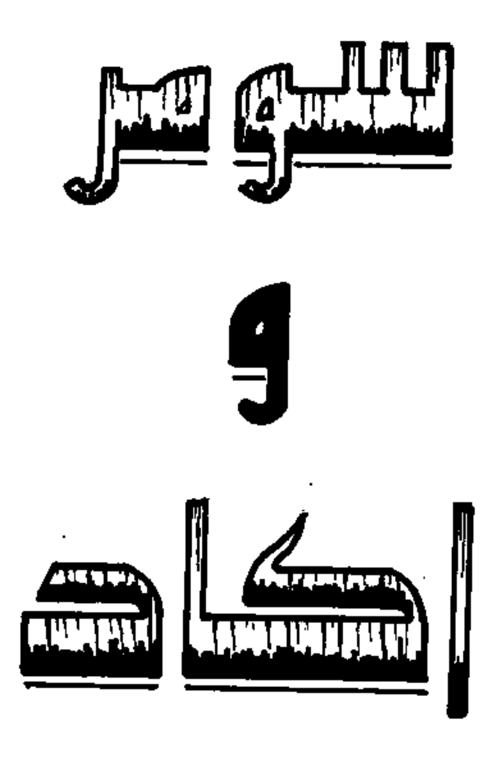
دمشق - ١٩٨١

الدكتور وديع بشور
سومر واكاد
١٩٨١



طبع من هذا الكتاب ٣٠٠٠ نسخة

الدكتور وديع بشور



دمشق - ١٩٨١

مقدمـــة

من الطبيعي ان يهتم الانسـان بماضيه ، ذلك لانه ابن الاجيـال السابقــة بيولوجياً وحضارياً ، ولان كل عصر هو حلقــة في سلسلــة العصــور . ولئن كان الناس يستمتعــون بتاريخ الاغريــق والرومان ويسمعون عن المعجزة الاغريقية وكأنها طفرة حضارية خرجت من العدم، فان انظار العلماء والمنقبين والمؤرخين تتطلع اليوم الى الهلال الخصيب ، لان فيه كانت أقدم الحضارات وفجر التاريخ . وحضارة الهلال الخصيب لم تسبق الاغريق والرومان وحسب بل سبقت حضارة مصر وقــد بدات منذ الالف ٩' ق . م بانشاء المستوطنات الزراعية .

وفي عصر فجر التاريخ برزت الحضارة السومرية في القرن الشرقي من الهلال الخصيب وكثرت المعطيــات التنقيبيــة عن مقومات تلــك الحضارة وعراقتها حتى قال عالم السومريات الاستاذ صموييل نوح كريمر بدون تردد : « التاريخ يبدا في سومر » . فالمعجزة السومرية قد سبقت مانسميه « المعجزة المصرية » « والمعجزة الاغريقية » واغنتهما .

لقد وجد السومريون قبل الالف ٤' ق.م في جنوب بلاد الرافدين واخترعوا الكتابة نحو /٣٥٠٠/ ق.م فكانت اللغة السومرية أول لغة مكتوبة وبذلك بدات الحضارة التاريخية نحو /٣٥٠٠/ ق.م . ولئــن

قضى النظام الدوري على وجود سومر السياسي كما قضى على شعوب اخرى فانه لم يقض على وجودها الحضاري ، وفي حضارتنا المعاصرة الكثير مما توارثناه عن سومر ، رغم أن لغتها انتهت كلغة مخاطبة منذ نهاية الالف ٣' ق.م وكلغة كتابة منذ القرن ١' م .

ان ندرة الحجر في جنوب بلاد الرافدين لم تفسح المجال للسومريين كي يبقوا لنا تلك الآثار الضخمة من معابد ومقابر واعمدة وتماثيل كما في مصر . ولم يبق لنا الا بعض التماثيل وبقايا المعابد المبنية من الطوب المشوي . لكنهم خلفوا اهم من ذلك ، وهو عشرات الوف الالواح الطينية تغطيها الكتابات المسمارية ، تروي لنا قصة بدء التاريخ وحضارة مدن سومر الميتة ، والفخار المشوي يحفظ لآلاف السنين لكن السومريين لم يشووا كل تلك الالواح وبعضها كان مجففاً في الشمس فأصابه التلف اثناء الحفر او النقل . هذه الآلاف من الالواح اخذت تتراكم منذ بدء الالف ٣' ق.م حتى العصور المسيحية حافظة لنا سلسلة من الوثائق التي تغطي كل صنوف المعرفة عبر تلك القرون .

لكن يبدو ان السومريين كانوا غافلين عن التنظيم المنهجي للعلم والفكر في قواعد عامة . فبين آلاف الالواح الفخارية نجد الجداول اللغوية والنحوية لكننا لانجد قواعد لغوية .

كذلك نجد الالواح الحسابية وعليها المسائل والحلول ولا نجد قواعد في الرياضيات ونظريات رياضية . لانجد علوماً طبيعية في حين نجد لوائح بأسماء اشجار ونباتات وحيوانات وحجارة ومعادن دون قواعد وتصانيف في علم النبات والحيوان والمعادن . وفي مجال التشريع جمع السومريون اولى الشرائع واقدم تشريع معروف في التاريخ .

ولا شك ضمت شرائعهم مئات القوانين المنفردة دون ايجاد نظريات في مبادىء التشريع . كذلك في تسجيل التاريخ كان الكتاب في القصور والهياكل يدونون حوادث معينة دون ربط الحوادث قديمها وحديثها واسبابها كما فعل العبرانيون والاغريق . وحسبما نعلم ليس هناك كاتب سومري عمل مجهوداً « واعياً » من اجل تسجيل التاريخ الحضاري والسياسي لسومر او دويلاتها او العالم بينما كتبوا الاساطير والملاحم والاناشيد والامثال والغزل والرثاء . وقليلون منهم عادوا بالحوادث الى ذكر الماضي وتسجيله . الا وثيقة واحدة تعود الى عهد الملك مسيليم ملك كيش نحو /٢٦٠٠/ ق.م وقصة خلاف على الحدود بين مدينتي لجش واوما ثم عودة الخلافات بعد تحكيم مسيليم. ومانكتبه عن التاريخ السومري هو جمع للحوادث المنفصلة وتنسيقها وتقريب تواريخ حدوثها وربطها ما امكن لان « المؤرخ السومري » لم يفصل التاريخ عن الميثولوجيا .

لقد اعتقد السومريون بوجود نواميس الهية مقدسة سموها « مي » . وهذه النواميس تحكم الكون منذ البداية ولايزال يسير بموجبها . وهذه النواميس وعددها يزيد على المئة تسيطر على شؤون الانسان وعلى حضارته . وقد وضع احد الشعراء السومريين القدماء جدولا بتلك النواميس وجد على عدة الواح لايزال اكثر من ستين منها مقروءاً وتشكل برايه المقومات الحضارية. وقد اوردها الكاتب السومري حسب الترتيب الآتي :

١ ــ السيادة .
٢ ــ الالوهية .
٣ ــ التاج العظيم الخالد .
٤ ــ عرش الملوكية .
٥ ــ الصولجان العظيم .
٦ ــ الشارات الملوكية

٧ ـ المزار العظيم
٨ ـ الرعاية
٩ ـ الملوكية .
١٠ ـ مقام السيادة النسوية . الدائم .
١١ ـ السيدة المقدسة (كاهنة)
١٢ ـ وظيفة الكاهن « ايشب »
١٣ ـ وظيفة الكاهن « لوماخ »
١٤ ـ وظيفة الكاهن « جونج »
١٥ ـ الصدق
١٦ ـ الهبوطالى العالم الاسفل
١٧ ـ القيامة من العالم الاسفل
١٨ ـ طائفة الخصيان «كرجرو»
١٩ ـ الخصيان « جربدرا »
٢٠ ـ الخصيان « ساجورساج»
٢١ ـ راية الحرب
٢٢ ـ الطوفان
٢٣ ـ السلاح
٢٤ ـ الجماع الجنسي
٢٥ ـ البغاء
٢٦ ـ القانون
٢٧ ـ القذف او الطعن
٢٨ ـ الفن
٢٩ ـ حجرة العبادة
٣٠ ـ البغي المقدسة
٣١ ـ الآلة الموسيقية «جوسلم»
٣٢ ـ الموسيقى
٣٣ ـ المشيخة
٣٤ ـ البطولة
٣٥ ـ القوة والسلطة
٣٦ ـالعداوة
٣٧ ـ الاستقامة
٣٨ ـ تدمير المدن
٣٩ ـ الرثاء
٤٠ ـ افراح القلب
٤١ ـ الغش
٤٢ ـ البلاد الثائرة
٤٣ ـ الصلاح والخير
٤٤ ـ العدالة
٤٥ ـ فن صناعة الخشب
٤٦ ـ فن صناعة المعادن
٤٧ ـ فن الكاتب
٤٨ ـ فن الحدادة
٤٩ ـ فن صناعة الجلود
٥٠ ـ فن البناء
٥١ ـ فن حياكة السلال
٥٢ ـ الحكمة
٥٣ ـ الانتباه والعناية
٥٤ ـ التطهير المقدس
٥٥ ـ الخوف
٥٦ ـ الوجل
٥٧ ـ الخصام
٥٨ ـ السلام
٥٩ ـ التعب
٦٠ ـ النصر
٦١ ـ الشورى
٦٢ ـ هموم القلب
٦٣ ـ القضاء
٦٤ ـ القرار والحكم
٦٥ ـ الآلة الموسيقية (ليلش
٦٦ ـ الآلة الموسيقية (اب)
٦٧ ـ الآلة الموسيقية (ميس)
٦٨ ـ الآلة الموسيقية (آلا)

هكذا لاينفصل التاريخ عن المعتقد الميثولوجي .

وعلم السومريات هو اضيق الاختصاصات لانه يقتصر على دراسة تاريخ الشرق الادنى فقط من كل العالم وعلى عصور ما قبل الاسكندر المقدوني من هذا التاريخ . كذلك لانــه يقتصر على البحث في الــواح الطين المكتوبة بالمسمارية في أرجاء الهلال الخصيب . لكن عالم السومريات رغــم ذلك يستطيع أكثر مــن معظــم العلمــاء أن يشبع لهف الانسان في بحثه الدائــم المتطلع نحو « اصول الاشياء » او بعبارة اخرى « أوائــل الاشياء » في تاريخ الحضارة . ففي سومر بدأ دولاب الخزاف ، والمربة على دواليب ، والمركب الشراعي ، والمحراث ، وبناء القنطرة والعقد والقبة والمعابد ، وأول نظام موسيقي وأولى الشرائع وأولى المدارس مع أول الكتابات وأولى المحاكم وأولى مجالس الشورى واولى الامثال في الاخلاق والدين والحكم وأولى القصص والملاحم واقدم مثيولوجيا .

كذلك عن السومريين أخذنا النظام الستيني في تقسيم الساعــة والدقيقة والدائرة . ولكن من الغريب انه قبل قرن ونيف لم يسمع احد بأجدادنا السومريين بل اكتشفوا صدفة اثناء بحث العلماء عــن آثار البابليين والاشوريين المعروفين الى حد ما في التوراة وعندالاغريق. ان اسم سومر كان قد امحى من ذاكرة الاجيال لاكثر من الفي عــام . ولئن كان العالم يهتم بنبش اول حضارة تاريخية فليس أحرى مــن سكان الشرق الادنى بالاهتمام بالتراث السومري . فهؤلاء البناة هم قبل كل شيء احد شعوب سوريا القديمة التياختلطت عنصريا وحضاريا عبر التاريخ ليتحدر منها شعبنا المعاصر .

نهران وتلـول

كما أن مصر هي هبــة النيل كذلك بلاد بابل هبــة الرافدين • وكما بــدأت الحضارات القديمة حول الانهر كذلك حضارة مابــين النهرين • وبلاد سـومر هي الجزء الجنوبي مــن بلاد الرافدين ، بين بغداد والخليج ، تلك المنطقــة التي عرفت في التوراة باسم سهــل شنعــار •

أدجنا (أدجلات ــ دجله) ــ ينبع نهر دجله من هضاب أرمينيا جنوب بحيرة وان في شرق جبال طوروس • وطوله من منبعــه حتى التقائه بالفرات في شط العرب /١٩٠٠/ كم • ومن مجموع مجراه /٤٥١/ كم في الاراضي التركية و /٣٠/ كم في سورية والباقي في العراق • وآخر /٦٠/ كم منه تشكل الحدود بين العراق وايران •

بين سامراء وبغداد تكثر الفيضانات لذا نجد أن القرى قليلة رغم خصوبة الارض • وبين بغداد والكوت يكثر تعرجــه ويضيــع قسم من مياهه في المستنقعات والجــداول وفي التبخر • وتنخفض سرعــة جريانه مما يجعل الملاحة صعبة فيه • وعند القرنــة يلتقــي بمجــرى الفرات في شط العرب • والمدن الرئيسية عليه هي بغداد والموصــل والبصرة في العراق وعبدان وخرم شهر في ايران •

سماه السومريون أدجنا من الالف ٣ ق•م ثم دعــاه البابليون

والاشوريون أدجلات وهو اسم دجله • بينما سماه الفرس « تغـرا » فدعاه الاغريق « تجريس » وقد استعمل هذا الاسم هيرودوتس ٤٥٠ ق٠م •

استعمل السومريون مياه دجلة للري وفتحوا قناة مـن شط الغراف لجر المياه الى لكش في شرق سومر نحو /٢٤٠٠/ق٠م وفي /١٨٥٠/ق٠م مدت القناة الى لارسا على الفرات • ولـم توجـد آثار قديمة علـى ضفافه بسبب الفيضانات • وبما أن الفرات أعـلى جاءت معظم الاقنية من الغرب أي من الفرات الى دجله •

يفيض دجلة في نيسان وأيار من كل عام فيهدد بغداد • والاراضي في شمال تكريت كانت تكون مملكة آشور من الالف ٣ ق٠م حتى ٦١٢ ق٠م • وكانت نينوى على نهر دجلة •

بورانونو (براتو ـ الفرات) ـ نهر الفرات هو أكبر نهـر في غرب آسيا واحد الانهار التاريخية في العالم • ينبع من هضاب ارمينيا في آرارات ويسير جنوبا وشرقا فيخترق جبال طوروس ثـم سورية ثم العراق الى أن يلتقي بدجلة عند القرنة في شط العرب • وطوله الكامل من منبعه حتى القرنـة /٣٥٧٥/كـم • ويقسم مجراه الـى ثلاثـة أقسـام :

الفرات الاعلـى مـن المنبع في أرمينيا التركية حتى سيساط في سوريا التركية •

والفرات الاوسط من سيساط الى هيت •

والفرات الاسفل من هيت الى القرنـة •

الفرات الاسفل : عندما يدخـل الفرات مـن هيت في الارض

العراقية ينخفض حجمه وسرعته بسبب التبخر ومشاريع الري • ويجري /١١٠٠/ كم قبل الالتقاء بدجلة منحدرا نحو /٧/ سنتم في كل كيلو متر • وهذا البطء في جريانه يسبب ترسب الطمي على أرض السهول حتى أن جنوب العراق قد صنع من الطمي المنقول في مياه دجلة والفرات الى جانب المستنقعات والبحيرات • وقرب بغداد يتقارب النهران حتى مسافة /٣٠/ كم فقط تفصل فيما بينهما وقد بنى طمي دجلة والفرات السهول الجنوبية بطول /٦٠٠/ كم وعرض /٢٠٠/ كم •

يفيض الفرات في نيسان وأيار بسبب الامطار وذوبان الثلوج مما يسبب الفيضانات في بعض السنين •

اقدم اسم له هو السومري بورانونو أي النهر العظيم في الالف ٣ ق•م ودعاه البابليون والاشوريون بالاكادية « براتو » ومنه اسم الفرات • وسماه الفرس أفرات ومنه الاغريق أفراتيس •

في الالف ٣" ق•م كان المجرى الرئيسي للفرات يسير ٢٣ ـ ٨٠كم الى الشرق من مجراه الحالي فيمر بالمدن السومرية ـ سيبار وشوروباك (مدينة الطوفان) ونيبور (العاصمة الدينية) ولارسا وأور ومن ثم الى منطقة المستنقعات فالخليج • وكان له فرع الى الشرق هو « ايتور تنغال » الذي كان يروي ادب واوما قبل أن يعود الفرات الى قرب لارسا ، وقناة ثالثة اسمها « سيرارا » كانت تروى مدينة لغش ثم تنتهي الى المستنقعات فالخليج •

ولم تكن بعض المدن السومرية تتمكن من الاعتماد الكلي على الفرات لذا حفر « ان ـ تيميتا » انزي لغش نحو /٢٤٠٠/ ق•م قناة من دجلة الى لغش ، ونحو / ١٨٥٠ /ق•م مد « سين ادينام » هذه القناة الى مدينة لارساعلى الفرات •

وبعد قرن من ذلك أمر حمورابي بتعزيل الفرات من لارسا الى أور ، والى الشمال حفر تحويلة للنهر الى سيبار لانـه ابتعد عنهـا • ثم اعاد نبوبولاصر (٦٢٥ ــ ٦٠٥ ق•م) نفس العملية •

وفي بابل اصلح « ترغال شار أوصور » (٥٥٩ــ٥٥٦ ق•م) ابتعاد النهر الى الغرب الذي حدث أيام نبوخذ نصر . ولم يعرف بعد ذلك متى حول النهر مجراه نهائياً •

شط العرب ــ بعد أن يتقارب دجلة والفرات قرب بغداد الى مسافة /٣٠/ كم يأخذان في التباعد ثم يعودان الى التقارب فيلتقيان عند القرنة /١٠٠/ كم شمال البصرة في نهر واحد طوله /١٨٠/ كم هو شط العرب •

في القديم لم يوجد هذا النهر العظيم ومنذ نحو خمسة آلاف سنة كان دجلة والفرات يصبان منفردين منفصلين في الخليج الذي سماه الاقدمون « نار مراتو » أي النهر المر • ومع آلاف السنين تراكم الطين فردم شمال الخليج وصنع السهول الجنوبية التي اصبح فيها مجرى مشتركٌ للنهرين في شط العرب • حتى أن المدن التي كانت على الخليج مباشرة مثل ايدو مدينة الالـه انكي أصبحت أطلالهـا الآن بعيدة عن الخليج الى الشمال ولا نجد أثراً لاي مدينة في هذا السهل الرسوبي في جنوب العراق •

المناخ ــ ان جنوب العراق حار وجاف تصل فيه الحرارة حتى / ٥٠° مئوية / • في فصل الصيف بينما هطول الامطار يقل عن /٢٥/ سنتم ، وتعتمد الزراعة بالدرجة الاولى على اقنية الري • وكميـة الفيضانات من نيسان الى حزيران تختلف جدا من سنة الى اخرى مابين جفاف مدمر وفيضان مدمر مابين الجوع او تكوين المستنقعات •

والجفاف والفيضانات وتبدل مجاري الانهر الى جانب الحروب جعلت عشرات العواصم القديمة انقاضا « وتلولا » يمر بها المرء وكأنه يمر في صحراء لم تتعرف يوما الى صخب الحضارة •

الاطلال : ــ لو تجول المرء في طائرة فوق بلاد الرافدين لتمكن من أن يرى بوضوح تلك الشبكة الكبرى من أقنية الري كما يتمكن ان يرى انقاض المدن القديمة • واذا تساءل كيف يمكن أن يتعرف الى موقع المدينة القديمة كان الجواب سهلا • لان هذه المدن منتشرة في كل مكان وكل تل هو مدينة قديمة • كانت البيوت تبنى من الطوب لندرة الحجر ؛ وبسبب كلفة الطوب المشوي او القرميد / احتفظ به للمعابد وقصور الملوك /• وكانت النفايات تطرح في الشوارع فترتفع مع الزمن فيضطرون الى رفع أرضية البيوت • كذلك يزيدون طبقة جديدة من الطين الى السطوح كل عام قبل حلول فصل الشتاء •

وبعد أن تدمر المدن في الحروب والعواصف والزلازل والفيضانات كان يعاد البناء في مواقعها فترتفع مع تكرار هذه العملية الى أن تصبح تلا اصطناعياً مرتفعاً فوق سوية السهل • هذا مانراه في كل أرجاء العراق •

هناك أماكن مازالت مسكونة حتى الان منذ القديم مثل اربيل وكركوك ومدن أخرى • ولكن تلك الاماكن الكثيرة التي دمرت وهجرت نهائيا تراكم غبار الزمن وملأ كل فراغاتها • وأصبحت تلا يمر به الانسان العادي ولا يدري بأنه يمر بمدن متعاقبة في كل تل •

فاذا سبرنا كل تل نجد فيه طبقات سكنية متعددة وكلما عمق الحفر بلغ المدينة الاكثر قدما ما بين تلك الطبقات • ففي الاسفل نجد مدنا من قبل التاريخ لانعلم لها اسماً ولا هوية ثم تأتي طبقة

المدينة السومرية ثم البابلية ثم يليها الطبقات الفارسية فالسلوقية فالفرتية فالساسانية فالعربية • وربما فوق كل هذه المدن مدينة حية معاصرة •

ومن يتجول في سهول العراق يجد مساحات واسعة تنتشر فيها التلول دون أن يدري ان كل تل صغير يمر به انما هو مدينة قديمة ولا يدور في خلده أنه يمر فوق ما كان يوما ما شارعا أو سوقا أو معبداً أو قصراً : أو يمر بما كان يوما ما حديقة غناء وان السكون الذي يكتنف المكان كان في أحد الايام ضجيجاً وصخباً يتصاعد من حضارة حية فاعلة واصوات بعدة لغات قديمة قد ماتت وبقيت بعض الفاظها ، وكان السكان يجدون قطع الفخار المكتوبة بالمسارية ولايعرفون لها قيمة لان العصور المظلمة قد فصلت بينهم وبين لغة اجدادهم اصحاب البلاد وأصحاب الحضارة وعمت ابصارهم بصمات الفاتحين والفضل يعود الى بيترو ديللا فاللي الذي كان أحد أولئك الاوائل الذين عرفوا أن تلك الرموز هي كتابة • فأرسل أول فخارة مسمارية الى أوروبا •

فجر التاريــخ

حتى عهد قريب كان العهد القديم مرجعنا الرئيسي لمعرفة أي شيء عن تاريخ الشرق القديم • وفي هذا الكتاب المشوه كان اليهود دائماً في مقدمة الشعوب • بينما غيرهم من شعوب سوريا القديمة من كنعانيين واموريين وآراميين وفلسطينيين وحثيين وغيرهم لم يكونوا سوى برابرة تافهين من « الغوييم » يقفون حجر عثرة في سبيل « شعب الله المختار » ويرفضون ان يختلط « الزرع المقدس » مع « رجاسات الامم » • وأما الان فاننا نجد واقعاً جديداً وهو أن علينا أن نعيد كتابة التاريخ القديم ؛ وأن نعيد تفسير ماعرف منه في ضوء النصوص المكتوبة ومكتشفات التنقيبات الاثرية خاصة ألواح سومر وبابل واوغاريت •

في عام ١٨٤٣ بدأت التنقيبات في العراق وتتابعت بعد ذلك وكانت البعثات اوروبية وأمريكية • وخلال السبعين سنة الاخيرة نقبت عشرات المواقع التي تشكل معظم المدن الرئيسية في العراق القديم وسبر أكثر من مئة تل • مرت القرون وطبقات الغبار تتعالى فوق تلك المدن والتلول لتطمس أقدم حضارات الانسان وتطرح انجاز البناة الاوائل في ظلمات النسيان حتى عام ١٦٢٥ • في تلك السنة أحضر السائح الايطالي « بيتروديلافاللي » بعض ألواح القرميد من بابل وأور الى أوروبا وعليها كتابة لم تفهم آنذاك • ولكن تلك الآثار أثارت الاهتمام والبحث •

وفي عام ١٧٦١ قامت بعثة دانمركية ولاول مرة بمهمة البحث والتنقيب ثم تبعها أشخاص بارزون من مختلف الجنسيات وقاموا بتنقيبات بسيطة • وفي عام ١٨٤٣ قام القنصل الفرنسي « بول أميل بوتا» بأول تنقيبات في العراق مبتدئا في « خورساباد (دور شاروكين) لدراسة الاشوريين •

وفي ١٨٤٥ قام البريطاني سير هنري لايارد وحذا حذوه في تمرود (كلخ) ونينوى وسبر عدة تلول •

وفي ١٨٧٧ سمع قنصل فرنسا في البصرة أرنست دي سارزك بوجود تماثيل في تللو (لفش) قرب الناصرية فحفر هناك واكتشف السومريين • وهكذا بنحو ثلاثين عاما ، كشفت حضارات مطموسة أذهلت أهل العلم •

أثناء ذلك كانت جماعات من الباحثين الصبورين في مكتبات أوروبا قد أخذت على عاتقها مسألة فك رموز تلك اللغات الميتة المكتوبة على ألواح الآجر • وهي ألوف موزعة في مختلف متاحف العالم من اسطنبول حتى الولايات المتحدة مرورا بأوروبا •

دامت الجهود المتواصلة نحو مئة عام الى أن وفق غروتفند بقراءة نص فارسي قديم دون الكتابة المسمارية • وكان رولنصن قد كشف بين ١٨٣٥ و ١٨٤٤ ونسخ كتابة لواريوس أ •

نقشت على صخرة بهيستون في غرب ايران بثلاث لغات • الفارسية القديمة والبابلية والعيلامية • كانت صخرة بهيستون بمثابة حجر رشيد في مصر في فك تلك الرموز ودراسة تلك اللغات • وبجهود الارلندي أدوارد هنكس والفرنسي جول اوبيرت والبريطاني هنري رولنصن قهرت أصعب اللغات القديمة وأصبحوا الثلاثي المقدس الذي

فتح « كتب الطين » القديمة المدفونة في مختلف مناطق الشرق الادنى القديم • وقد قرأت الاكادية نحو ١٨٤٧ وبدء في فهم السومرية نحو ١٩٠٠ وأصبح أكثر من ربع مليون لوح تحت تصرف الباحثين والمؤرخين • ثم دخل الالمان معترك التنقيب في بدء القرن العشرين وتبنى المنقبون الاخرون أساليبهم • وعمل علماء الآثار الفرنسيون والالمان والبريطانيون والامريكيون والدانسريكيون واليابانيون في مختلف المواقع ، وأخيرا دخل المنقبون العراقيون الشباب ذلك المعترك وأصبح للعراق متحفه الوطني في « هبة الله بغداد » • وهكذا كشفت معظم مدن العراق القديم الهامة • فما ذا كانت حصيلة التنقيب في العراق ؟

ان أقدم آثار لوجود الانسان في العراق يعود الى نحو ١٢٠ ألف عاما « وقد وجدت في بدرة ــ بلكا في الشمال بين كركوك والسليمانية عام ١٩٤٩ (وفي سورية تعود الى ١٥٠ الف عام) وأقدم هياكل عظمية بشرية هي أربعة وجدت في كهف شانيدار • أقدمها يرقى الى ــ ٦٠ ــ ألف عام وثلاثة الى ــ ٤٥ ــ ألف عام (في سورية ١٠٠ ألف عام) • كشفها الدكتور سوليكي عام ١٩٥١ وتعود لانسان العصر الحجري القديم في نوع نيندرتال : ثم بدأ العصر الحجري الوسيط نحو ــ ١٠ ــ آلاف ق • م وأعقبه العصر الحجري الحديث نحو ــ ٧ ــ آلاف ق•م لقد بدأ العصر الحجري الحديث بزراعة الارض وتدجين الحيوانات وليس بابتداع أدوات حجرية جديدة • وقد انتهى بظهور المعادن وبدأ العصر الحجري النحاسي ثم البرونزي نحو ــ ٣٥٠٠ ــ ق • م •

بدأ العصر الحجري الحديث نحو /٧٠٠٠/ ق•م وهذا أقدم من أي مكان آخر حيث المناخ والتربة يسمحان بالزراعة وكان الشعير والقمح البري ينموان في سوريا (بعض القرى في حوض الفرات

٩٠٠٠ ق٠م) في هذا العصر وجد المنجل الصواني والمعاول الحجرية وحجر الرحى وأقدم قرى زراعية تعـود للعصر الحجري الحديث في العراق وجدت في شانيدار وكريم شهر وملفات وجرمو ٠

واذا أخذنا تل جرمو نموذجا لبدء الزراعة نرى أنه يتألف مـن /١٥/ طبقة سكنية ٠ عشر منها من قبل ظهور الخزف ٠ وقد عاش سكان جرمو في بيوت مربعة من عدة غرف بنيت من الطوب واستعملوا ملاعق العضم والمغزل الحجري ، وعظام الحيوانات تدل على تدجين الغنم والبقر والخنازير والكلاب ٠ وحسب الفحم المشع تعود جرمـو الى /٦٥٠٠/ ق٠م ٠ وبذلك يكون شمال العراق قـد بـدأ مزارع العصر الحجري الحديث وقبـل /٥٠٠٠/ ق٠م أي /٣٥٠٠/ عـام قبل أوروبا الا أن اريحا في جنوب سوريا أقدم مـن جرمو في بـدء الزراعـة ٠

وما بين العصر الحجري الحديث وبدء التاريخ توجـد مرحلـة انتقالية حدثت في سومر ذاتها وليس في أي مكان آخر ٠ ولكن لـم يكن هنالك كتابة وتدوين في مرحلة الانتقال ٠ فلا نستطيع أن نعطـي اسما للشعب الذي يمثل الانتقال من فجر التاريخ لكننا نعلم أنـه في بدء العصور التاريخية كان السومريون والساميون يعيشون سلميـا جنبا الى جنب ومعهما شعب ثالث لم تعط له هوية بعد ، تدل عليـه لغته الخاصة التي ليست سومرية ولا آكادية ٠ ويمكننا أن نفترض أن بلاد الرافدين كانت حبلى بالحضارة السومرية التي بدأت التاريـخ وهي امتداد لحضارة فجر التاريخ ٠ وحضارة فجر التاريخ مجموعة من العصور الحضارية التي أعطيت أسماء المواقع المكتشفة فيها :

١ ــ عصر تل حسونة سامرا ٠

٢ ــ عصر تل حلف ٠

٣ ــ عصر تل العبيد •

٤ ــ عصر اورك •

٥ ــ عصر جمده نصر •

٦ ــ بـدء الكتابـة

١ ــ عصر تل حسونة ــ سامرا :

يقع تل حسونة /٣٦/ كم جنوب الموصل وقد نقب فيه عـام ١٩٤٣ ــ ١٩٤٤ ووجـد فيه أرضيات خيم فلاحي العصـر الحجري الحديث وبيوت سكنية شبيهة جدا ببيوت شمال العراق الحاليـة ، مصنوعة من الطوب ومفروشة أرضها بالطين والتبن وتحوي خوابـي للحبوب مغروسة في أرض البيت وتنانير (جمع تنور) للخبز وجرونا ومناجل صوانية ومعاول حجرية وتماثيل بدائية الصنعة وجرارا كبيرة في البيوت تضم عظام أطفال ومعهم بعض الاوعية للحياة الاخرى • بينما عظام الكبار قد وضعت في الزوايا دون أية دلائل على وجـود مراسم جنائزية • وأنواع الفخار المستوردة من شمال سوريا تمثـل مرحلة حضارية واحدة تمتد من البحر الميت حتى نهر دجله • كمـا أن دراسة البقايا العظمية تبين نوعا واحـدا مـن البشر في كل الهـلال الخصيـب •

وفي الطبقات العليا وجد نوع من الفخار وجـد منه بكثرة في سامراء مدهون وعليه صور وهذا النوع محصور في شمال الجزيرة •

٢ ــ عصر تل حلف :

قرب رأس العين في سورية على الخابور • البيوت مازالت مـن الطوب ولكن لاول مرة يظهر القرميد والمقابر وأدوات الزينة والاختام المسطحة وتماثيل من الفخار • وفخار تل حلف من نوعية جيدة جـدا

بلغت درجة من الكمال لم يزد عليها لا قبل ولا بعد • جدران الجرار رقيقة • اشكالها متعددة ومزخرفة • تلوينها ممتاز مع رسوم الزهور والطيور والحيوانات ورؤوس الثيران • وهـذا النوع من الفخار منتشر من ليكيا في أقصى الغرب من سوريا التركية حتى ايران •

٣ ـ عصر تل العبيد :

يبدو أن حضارة تل حلف قد انتهت فجأة بعد قرون من وجودها وبرزت حضارة تل العبيد في الجنوب،قرب أور كما في الشمال وكـأن بلاد ما بين النهرين قد توحدت حضاريا • مع العلم أن النصف الجنوبي من العراق كان مسكونا في عصر تل حلف في مواقع اور واريدو والتي وجد فيها معابد وزيقورة من عصر فجر التاريخ •

والمعابد متراكمة في /١٧/ طبقة • الثماني العليا منها تعاصـر عصر تل العبيد وأورك وهي دقيقة التصميم وأما معابد الطبقـات السفلى فتتكون من غرف مربعة فيها مذابح مقابل المداخل مبنية من القرميد وتعاصر تل حلف في الشمال • هذه الآثار تبين ان الحضـارة السومرية عميقة الجذور عظيمة القدم في جنوب العراق • وفخار تل العبيد من نوعية جيدة دهانه غير لامع وعليه بعض الطيور •

استعمل العبيديون القرميد في بعض البيوت ولكن وجد كوخ في اريدو من عصر تل العبيد مصنوع من الطين والقصب واما معابد اريدو فكانت مبنية من الطوب ومؤلفة مـن غرفة مستطيلة تبنى في زواياها غرف صغيرة وفيها تمثال للاله ومذبح وطاولة تقدمات ، وكانت المعابد أهم الابنية في قرى عصر تل العبيد • ان المدينة السومرية قـد نمت حـول المعبـد وليس حـول قصر أو قلعة ومرحلة تل العبيـد هي بـدء الحضارة السومرية •

بدء التاريخ : يرجح أن عصري تل حسونة وتل حلف يشغـلان

الالف ٥" ق٠م بينما عصر تل العبيـد / ٤٠٠٠ ـ ٣٣٠٠ / ق٠م وعصر اوروك / ٣٣٠٠ ـ ٣١٠٠ / ق٠م وجمدة نصر / ٣١٠٠ ـ ٢٨٠٠/ ق٠م ٠

في هذه الخمسمئة سنة الاخيرة تطـورت الحضارة السومريـة تطورا كبيرا جعل الشمال يتخلف عن الجنوب فتوسعت المدن حول المعابد وظهر التنظيم والسلطة الادارية التي تمكنت من حفر اقنيـة الري وزيادة الانتاج الزراعي وظهور الصناعـات ودولاب الخزاقي والختم الاسطواني واختراع الكتابة قبل الالف ٣" ق٠م ، كان هذا التقدم نتيجة تطور داخلي في الهلال الخصيب والسومريون أحـد شعوبه القديمة الموجودة فيه ، لاندري منذ متى استوطنوه وليسـوا من نتاج هجمة غريبة حديثة الدخول ٠ وهذا التطور دام عدة قرون ونشهده في اوروك بشكل خاص ٠

٤ ـ عصر اوروك :

تقع اطلال اوروك (الورقاد) ما بين بغداد والبصرة وهي ارك التوراة ٠ كانت المدينة في القديم مكرسة للالهين « آنو » و « انانا » ٠ وفي وسط المدينةحول زيقورة من الطين يقعمعبد « أي ـ آنا » أي بيت السماء وهو معبد انانا ربة السماء وعشتار الساميين ٠ وفي جهة أخرى من المدينة يقع معبد آنو ٠ وقد كشفهما المنقبون الالمان عام ١٩٢٨ وهندستهما مثل معابد تل العبيد في اريدو ، الا أن مصاطبها اعلى أو ربما هـذا هو أساس الزيقورة التي تميز معابـد العصور التاريخية فيما بين النهرين ، ونرى أن المصطبة في معبد آنو ترتفـع /١٦/ مترا فوق سطح السهل وفي أعلاه « المعبد الابيض » وعمره خمسة آلاف سنة ٠

في عصر اوروك حلت الاختام الاسطوانية تماما مكان المسطحة

وكانت تصنع من الاحجار الكريمة بطول /٣ ــ ٨/ سنتم مخروقة طولانيا وقد نقش عليها ما يمكن طبعه على ألواح الطين كالنباتات والحيوانات والصور الميتولوجية والمعارك والطقوس الدينية ويبدو الكهنة عراة فيها .

في عصر اوروك ايضاً اخترع الدولاب والفسيفساء وفوق ذلك وجد في معبد « أي آنا » فيأوروك أول كتابة وكانت تصويرية . هذه الكتابة التصويرية هي التي تطورت مع الزمن الى الكتابة المسمارية الى أن اختفت الصورة المقصودة فيها وأصبحت صوتية واكتملت في أواسط الاف ٣ً ق.م . وأقدم لغة كتبت هي اللغة السومرية .

٥ ــ عصر جمدة نصر :

هو آخر عصور فجر التاريخ وامتداد لحضارة اوروك بنفس المواضيع والصور والاختام الا أن الكتابة أصبحت أكثر انتشارا كما فقدت قيمتها التصويرية وأصبحت تعبر عن أصوات كان الدولاب والمحراث قد اخترعا سلفا ولكن هذه المرة ظهر فن النحت وبسرعة بلغ درجة عالية لابراز عدة مظاهر من الحياة .

ان التقدم التكنيكي والفني والكتابي كله سومري كما يعتقد الكثيرون ان الكتابة التصويرية السومرية قد سبقت مثيلتها المصرية .

ولكن لاسباب مجهولة فان هذه الحضارة السومرية العالية بقيت محصورة في الجنوب وبقي شمال الجزيرة متخلفاً عنه رغم بعده بضعة كيلومترات فقط عن مركز الحضارة .

الكتابة المسمارية

اننا لانزال نعرف القليل عن أصل السومريين الاثني رغم مرور قرن /١٨٧٧ ـ ١٩٧٧/ على اكتشافهم . ولا ندري أن كان هناك من بدأ الكتابة قبلهم وكل ما نعرف حتى الآن أنهم أول من بدأ الكتابة الى أن يكتشف غير ذلك .

ان اختراع السومريين للكتابة من أجل التعبير وخزن العلم ونقل المعرفة وضبط الحسابات منذ بدأوا حضارتهم يجعلهم مفجري العصور التاريخية . ومن المستحيل تحديد زمان ومكان أول محاولة للكتابة ولابد أن الكتابات التي وصلتنا قد سبقتها بدايات ومحاولات وتطويرات استغرقت ردحاً من الزمن لاندري مداه .

والتصوير فن وكتابة والكتابة الاولى كانت تصويرية . فبدل كلمة « غزال » مثلا ، رسم غزال وقس على ذلك كما هو الحال في الكتابة المصرية . لذا كانت الكتابة التصويرية أول خطوة في بدء الكتابة . ولكن ليس من الضروري ان تكون الصورة فنية لتعبر مادياً عما يراد بها . لذا ليس من الضرورة في شيء أن يكون الكاتب رساماً أو فناناً ليصور انساناً أو شجرة او نجمة او قدماً لنعرف ماذا يريد أن يقول . لكن التعبير المادي يرافقه تعابير معنوية لايمكن تصويرها خاصة اذا اقتحمنا مجال الفكر . فصورة « قدم » يمكن أن تعني ذلك الجزء من الجسم أو فعل المشي أو الوقوف . كذلك صورة

النجمة يعكس ان تعني ذلك الجرم السماوي أو السماء ذاتها أو الليل أو أحد الالهة على اعتبار أنهم يسكنون السماء . كذلك يمكن ربط بعض الصور لتؤدي المعنى المقصود وهكذا يمكن المراسلة عن طريق التصوير . وحتى الآن نستعمل بعض الصور المعبرة حتى دون كلام مثل الجمجمة وعظمتين على زجاجات الادوية السامة ومحولات القوة الكهربائية بدل أن نكتب « انتبه خطر الموت » .

لكن الكتابة التصويرية لايمكن أن تكون دقيقة في تأدية المعنى المطلوب . واذا ما عرضنا كتابة ما على ثلاثة قراء أمكن أن يعطوا ثلاث قراءات مختلفة . كذلك لايمكن التعبير عن الأفكار المطلقة كالشرف والحق والخير والجمال والامانة الخ ... ولا عن أسماء الاعلام . وأما بالنسبة للفظ الكلمة المصورة فكانت تقرأ لفظاً حسب لغة القارىء فصورة الجبل يقرأها السومري « كور » كذلك علامة الجبل تلفظ كور كمقطع في كلمة . وعلامة الماء «آ»وعلامةالفحم/كا/ واذا أراد السومري أن يقرأ شيئاً لايمكن تصويره جمع صورا تعطي الفاظها مقاطع اسم ذلك الشيء بعد الجمع . فاذا كان اسم شخص ما « كورا كا » فما على الكاتب الا أن يرسم جنباً الى جنب رموز الجبل والماء والفحم . فيقول القارىء « كوراكا » لايفهم من هذا اللفظ « جبل ــ ماء ــ فحم » وهذا الجمع بين العلامات والصور يكون تقدما ملحوظا في التعبير عن الافكار المطلقة . وفي البداية كانت الكتابة تبدأ من الزاوية اليمنى العليا من اللوحة وتتابع كما في اللغة الصينية .

ولسبب ما قلب السومريون الكلمة الصورة تسعين درجة بعكس عقارب الساعة فأصبح الرجل الواقف مستلقياً على ظهره والشجرة المنتصبة منقلبة على الارض . أن الرسوم قد فقدت الجزء الفني فيها وأصبحت رمزاً تعبيريا ؛ ثم أخذ التشويه يزداد في الصور

عندما أصبح الطين لوح الكتابة وأصبح القصب قلمها • والسرعة في جرح لوح الطين يمنع من تصوير القوس فيحل محله الخط المستقيم بنهاية مثلثه وبالغاء القوس الغيت الدائرة وأصبحت عدة خطوط مستقيمة • واختفت الصور مع الزمن وأصبحت الكتابة المسمارية المعروفة على الالواح وكان هناك ثلاثة أشكال من المسامير ـ العمودي والافقي والمائل أضيف اليها علامة كرأس السهم وأصبحت الكتابة تختلف تماما عن الصور التي تطورت عنها في الاصل وأصبحت رموزاً ذات قيمة صوتية منذ نحو /٣١٠٠/ ق•م • وهذا التطوير في الكتابة لم يحدث في مصر حيث بقيت الكتابة الهيروغليفية تصويرية حتى نهاية الحضارة المصرية •

ثم انقسمت اللغة السومرية لعدة لهجات تختلف حتى في اللفظ وأصبحت معظم الكلمات تتألف من مقطع واحد كذلك كانت الصورة الواحدة تعني عدة قراءات لفظية مثل صورة الرجل يمكن أن تعني رجل أو يقف أو يمشي وأخيرا أصبح للفظ « دو » شكلاً واحداً بدل /٣٢/ شكلاً كل يقرأ بلفظ « دو » وهكذا توصلوا الى كتابة المقاطع وليس الاحرف الابجدية المنفصلة كالذي طوره غربيو الهلال الخصيب في الابجدية الاوغاريتية المسمارية الى أن ظهرت أبجدية كنعان في جبيل في القرن ١٣" ق•م وأصبحت ام الابجديات المستعملة في كل العالم •

وبما أن الامبراطوريتين الاشورية والبابلية قد امتدتا خارج حدود بلاد الرافدين فقد انتقل الخط المسماري الى الحوريين والحثيين والاموريين والكنعانيين والعيلاميين والفرس والارمن القدماء والكتابات المسمارية تنقل الينا آداب ومعاملات أقدم من المصرية والتوراتية والفيدية والصينية مجتمعه • ومحتويات اللوحات الفخارية

أقدم بالتأكيد مما يعادلها في أية حضارة أخرى وقد انقرض الخط المسماري في نهاية القرن ١٠ م •

فك الرموز المسمارية :

ان معرفة الاوروبيين بوجود كتابة مسمارية يعود الى /١٦٢٥/ عندما نقل الرحالة الايطالي بيتروديللافاللي أول ألواح مسمارية الى أوروبا •

وفي عام ١٧١١/ نشر الرحالة الفرنسي جان شاردان أول نسخة من الكتابة المسمارية باللغات الثلاث الفارسية القديمة والبابلية والعيلامية •

وبين ١٧٦٠ و ١٧٦٧ أرسل العالم الدانماركي كارسن نيبوهر ألواحا من برسيبوليس • نشرها وبدأ بفك رموزها عام ١٧٩٨ ، وألواح برسيبوليس سهلت عملية فك الرموز رغم تأخرها عن الالواح الاخرى •

ان الكتابة المسماريه كانت تمثل عصورا طويلة وحضارات مختلفة مرت في تلك العصور مما يجعل اشكالا مختلفة منها فيصعب اذ ذاك فك الرموز أكثر فاكثر •

وأول من فك رموز المسارية ووضع الاسس الفعلية لفكها هو الالماني جورج فردريك غروتفند عام /١٨٠٢/ • ولد غروتفند ٩ حزيران / ١٧٧٥ / ، وكان عمره /٢٧/ عاما وكان لديه بعض الالواح من برسيبوليس ، وفي /١٨٠٢/ قدم أولى أبحاثه الى اكاديمية العلوم في غوتنغن • قرر غروتفند أن مايراه على الالواح هو كتابة وليس نقوشا للزينة • كذلك استنتج أن الكتابة افقية وليست عمودية وتكتب من اليسار الى اليمين كما في أوروبا • وبما أن بعض الصيغ

التعبيرية تتكرر ذاتها خلال مئات السنين استخلص أن بعض الرموز المتكررة جدا تعني « ملك » وما يسبقها هو اسم الملك وما يتبعها هو الالقاب • وأخيرا « توصل الى أن الكتابة تعود لداريوس » الملك الفارسي ثم انتقل من أجل اللفظ الصحيح الى التعرف على الاسماء بالفارسية بدل اليونانية ليستقيم اللفظ • ومضت ثلاثون عاماً بعد ذلك ولم يطرأ أي تقدم على قراءة المسمارية •

ثم تابع مهمة فك الرموز البريطاني سيرهنري رولنصن المولود /١٨١٠/ • ففي عام ١٨٣٧ تدلى على مقعد لينسخ كتابات صخرة بهيستون في ايران وكان عليها ثلاث لغات مسمارية هي الميلامية والبابلية والفارسية القديمة • وفي /١٨٤٦/ قدم للجمعية الملكية الآسيوية نسخة للكتابة مع ترجمة كاملة لها • ومما أمر داريوس بان ينقش على تلك الصخرة توجيها الى الاجيال القادمة :

الملك دارياوش يوجه ملاحظة هكذا :
انتم يا من في الايام المقبلة
سترون هذه الكتابة ، بالامر
قد كتبت بطرقة على الصخر ،
يامن سترون هذه الصورة البشرية ههنا
لا تمحوا ولا تخربوا شيئاً •
اهتموا ما دام لكم ذرية
بأن تتركوها دون ازعاج •

آثناء ذلك كان جول اوبيرت وهنكس يعملان في تطوير الترجمة المسمارية حتى أصبح نحو /١٨٥٠/ من الممكن ترجمة النصوص

الاشورية البسيطة وفكت رموز استين من المسمارية الفارسية القديمة ثم صنفت الكتابات في ثلاثة أشكال ، منها الكلمات البسيطة ثم المركبة وما يلفظ بشكل واحد ليعطي معاني مختلفة •

وبفضل جهود العلماء أمكن ايجاد معجم للكتابات المسمارية السومرية والسامية • ثم أرسلت الجمعية الملكية الآسيوية أربع نسخ من لوحة آشورية الى أربع قراء وهم رولنصن وتلبوت وهنكس واوبيرت دون أن يعلم أحدهم بالآخرين ثم جاء فك الرموز متطابقاً في النقاط الرئيسية عام ١٨٥٧ • هكذا في عام /١٨٥٧/ أصبح موضوع قراءة البابلية والآشورية وهما لهجتان أكاديتان علما مضبوطا • ومما عجل في معرفة هاتين اللغتين وحل رموزهما بشكل مضبوط صحيح كونهما من عائلة اللغات السامية بينما تأخرت السومرية لانها غير سامية ومن اللغات الملصقة • وقد سبق لهنكس عام /١٨٥٠/ ان شكك بكون كل هذه الالواح بابلية وذهب الى الرأي بأن من أوجد الخط المسماري انما هم قوم غير ساميين سبقوا الساميين في استيطان بلاد الرافدين •

ثم نشر رولنصن عام / ١٨٥٥ / في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية بحثا تكلم فيه عن اكتشافه كتابة جديدة بلغة غير سامية وجدها مدونة على الآجر وألواح الطين في مواقع نيبور ولارسا واوروك •

وفي /١٨٥٦/ قرر هنكس ان هذه اللغة غير السامية هي من نوع اللغات الملصقة • وفي عام /١٨٦٩/ سمى الباحث الفرنسي اوبيرت هذه اللغة تسمية صحيحة اذ اطلق عليها اسم « اللغةالسومرية» لاول مرة ، مستندا بذلك الى لقب الملوك المتكرر الا وهو « ملك سومر واكاد » •

وأهم مصادر معرفة الباحثين باللغة السومرية ظل طوال عشرات

الستين مقتصراً على النصوص المدونة باللغتين البابلية والسومرية وعلى المعاجم السومرية البابلية ولا سيما التي وصلتنا من مكتبة الملك الاشوري اشوربانيبال في القرن ٧ ً ق٠م ٠ ونحو /١٨٦٧/ ظهر أول كتاب نحو اشوري ٠

وفي /١٨٧٧/ نقب العالم الفرنسي دي سارزك في موقع مدينة لغش (تللو) السومرية فكشف عن الكتابات السومرية بأنواعها المختلفة ٠ وبين /١٨٧٧ و ١٩٠٠ / كانت التنقيبات الامريكية في موقع نبيور (نفر) حيث كشفت عشرات ألوف الالواح من الكتابات الادبية السومرية وعدد من الوثائق المدونة بالاكادية والسومرية فساعد ذلك على فهم اللغة السومرية وآدابها ٠ ومما تجمع من ألواح ٠ ومما تجمع من دراسات المختصين أصبح بالامكان فهم اللغة السومرية قاموساً ونحواً وأدباً وأصبح باستطاعة العلماء أن يترجموا وينشروا المقالات عن السومريين من أمثال جورج بارتون وليون لوغران وهنري لوتز ودافيد مهرمان وهوجورادو وستيفن لانقدن وهنري دي جويو ناك وارنو يوبل الذي وضع الصرف السومري/١٩٢٣/ والباحث في الادب السومري ادوارد اكييرا الذي ترجم أكثر من /٢٥٠/ لوحا طينيا ٠ وأخيرا صموئيل نوح كريمر الذي تتلمذ على يوبل وكييراودرس وترجم مئات الالواح وكتب المؤلفات عن السومريين مثل :

المتيولوجيا السومرية (١٩٤٢) ومن « الواح سومر » (١٩٥٦) والتاريخ يبدأ في سومر (١٩٥٦) ٠ لقد جمع حتى الان /٣٠٠/ ألف لوحة سومرية ـ ومعظم اللوحات من لغة واحدة تغطي ما بين /٣٠٠٠و١٦٠٠/ ق٠م ٠ ومعظم اللوحات من لغتين سومرية واكادية تغطي ما بين /١٤٠٠/ ق٠م وبدء العصور المسيحية ٠ ومعظم اللوحات ما قبل /١٧٠٠/ ق٠م لها قيمة اقتصادية كما يوجد لوحات قانونية

ومحاضر محاكم وادارة ورسائل • والنصوص التاريخية قليلة لاتزيد على ألف لوحة من هذه المجموعة الضخمة وعـدد قليل منها أيضـا نصوص عسكرية وسياسية مثل « مسلة الطيور » التي اقامها اباناتوم ملك لغش في القرن /٢٥/ ق•م • وبعضها اداري اجتمـاعي مثل مرسوم أوروكا جينا في أوائل القرن ٢٤ ق•م • وبعضها ديني فقط مثل اختام جوديا انـزى لغش نحـو ٢١٠٠ ق•م • ومكتشفات نيبـور وشورو ياك اعطت نصوص أدبية تعود للقرن ٢٦ ق•م • أي أقـدم نصوص ادبية في العالم •

ومعظم الادب يأتي من نيبور ومن القرنين ١٨ و ١٧ ق•م ، عندما كانت اللغة السومرية لاتزال لغة الادب • ومن ترجمات كريمر وآخرين نرى ان الادب السومري شمل الملاحم والاساطير والاناشيد والرثاء والحكم منها ملاحم جلجامش وانمركار ولوجالبندا • وقد حاول المثقفون الاكاديون اعادة استعمال اللغة السومرية بعد القـرن ١٨ ق•م فكانت الاخطاء كثيرة لكن اللغة السومرية بقيت مقروءة حتى العصور الميلادية أي مدة ألفي عام بعد زوالها من المخاطبة • وكلما اكتشفت ألواح جديدة تحققنا من السبق السومري في بدء الحضارة التاريخية •

((كي ـ أن ـ جي)) أو ((شومرو))

ان « سومر » أو الاصح « شومر » هـو الاسم القديم الـذي اطلق على جنوب العراق والذي سمته التوراة « سهل شنعار » • واسم « شومرو » كلمة أكادية تكتب بالمصطلح المسماري « كي‌انجي » أي « البلاد السـيدة » •

كانت مساحة سومر نحو ٢٥ ألف كم٢ • وهي نفس الاراضـي التي تمتد الآن ما بين بغداد والخليج الفارسي • وقد تشكلت سهولها الخصبة من تراكم الطين المترسب من مياه دجلة والفرات عبر آلاف السنين • مناخها حار وجاف لكن مشاريع الري التي صنعها السومريون جعلت الارض زراعية غنية معطاء ؛ حتى أن بعض الباحثين يقولـون أن التوراة انما عنت سومر عندما تكلمت عن جنة عدن •

وبعد أن ثبت أن سومر هي موطن أقدم حضارة معروفة في العالم ومهد ابتداع أوائل مقومات العمران البشري يتساءل المرء ، من كان هؤلاء السومريون ؟ ما أصلهم الاثني ؟ ومن‌أين نزحوا الى‌القرن‌الشرقي من الهلال الخصيب ؟ وهل استوطنوا أماكن أخرى ؟ • والواقـع أنه لا يمكن الاجابة بشكل قاطع على هذه الاسئلة أو أي منها لكننا نعلم أن‌السومريون غير ساميين‌ووجدوا في سومر قبل‌الالف ٤" ق•م‌واخترعوا الكتابة نحو /٣٥٠٠/ق•م فكانت لغتهم أقدم لغة مكتوبة • كمـا يمكننا أن نستدل ونستخلص أشياء أخرى •

فسكان تل العبيد في سومر كانوا هناك نحو /٤٥٠٠/ق٠م وقد كشفت أدواتهم الحجرية والفخارية في خرائب تل العبيد وأماكن أخرى من سومر • وقد أسس العبيديون القرى التي طورها السومريون الى مدن حول المعابد ومن غير الواضح كيف ومتى وصلوا الى تلك الارض لاستيطانها • بل يرجح أنهم أحد شعوب الشرق الادنى القديم التي كانت منذ بدء العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي أو قبل ذلك • أي أنهم كانوا دائما في جنوب العراق وربما مناطق أخرى منذ أقدم الازمنة ومن قبل العصور التاريخية ولربما هم أقدم شعب في الهلال الخصيب قبل الساميين • لان الهلال الخصيب ليس وقفا على الشعوب السامية بل يشكل خليطا منصهراً من شعوب قديمة متعددة بينها هندو ــ أوروبية أيضا •

فقد وجدت حضارة زراعية في جنوب بلاد الرافدين منذ/٥٥٠٠/ ق٠م وتطورت خلال آلاف السنين ولا يمكن اعطاء هوية لاصحابها قبل عهد الكتابة لان الهوية لغوية وليست عنصرية أو عرقية • ولكن تطورت القرى الى مدن وانشاء المدينة الدولة يعود الى الالف /٤/ ق٠م • الزمن الذي برزت فيه الحضارة واللغة السومريتين • وخلال ألف سنة تبعت تل العبيد وبدء التاريخ تغلغلت عناصر من البدو الساميين من بادية الشام في تلك المستوطنات السومرية واختلطت مع شعبها كما يتبين في بداية العصور التاريخية •

ويستدل من الدراسات اللغوية ان ثلاثة مجموعات اثنيه سكنت جنوب العراق القديم السومريون في أقصى الجنوب من نيبور الى الخليج والساميون في الوسط وفئة ثالثة لم تحدد هويتها بعد ربما من نوع شعب « إبلا » • وفي تاريخ غير واضح اختلطت الفئات الثلاث في حضارة واحدة ولكن لغتهم المشتركة المكتوبة قبل القرن /٢٤/

ق.م كانت السومرية تسمي أصحاب هذه اللغة المشتركة السومريون. ولما كتبت اللغات الثلاث فيما بعد بالمسمارية فهم أنهم ثلاث فئات اثنيه لكن الفارق كان لغويا فقط وليس سياسيا أو ثقافيا . بل لهم نفس الحضارة والتكنيك والمعتقدات التي ابتدعها السومريون في الجنوب .

التاريخ السياسي :

ينقسم عصر فجر التاريخ السومري الى ثلاث عصور فرعية قد مر ذكرها وهي عصر أوروك (الطبقة الرابعة) ، وعصر جمدة نصر وهو عصر أوروك (الطبقة الثالثة) وعصر ميسيلم ملك كيش . ورغم صغر بلاد سومر (٢٥ ألف كم٢) فقد كانت منقسمة الى وحدات سياسية ـ دينية هي المدن الدول . وكل واحدة من المدينة العاصمة مع ضواحيها من بلدان وقرى وبساتين وكروم نخيل ومراعي . فتكون مساحة كل دويلة مابين ١٠٠٠ و ٣٠٠٠ كم٢ .

كانت المدن مسورة ويتراوح عدد سكانها ما بين /١٠ و ٥٠/ ألف . شوارعها ضيقة متعرجة دون أرصفة أو مجارير والانتقال فيها مشيا على الاقدام أو ركبا على الحمير . وأبرز معالم المدينة المعبد المبني على مصطبة عالية والمخصص لاله المدينة الخاص أو شفيعها (الذي لا يحمي المدينة وحسب بل « يملكها » أرضا وشعبا والملك هو وكيل الاله على شعبه . وفي وسط المعبد برج عال هو «الزيقورة » وفي القمة مزار الاله الذي يسكنه . وفي القاعة المركزية من المعبد تمثال الاله ومذبح وطاولة التقدمات وحول الحرم غرف لاستعمال الكهنه . وجدار المعبد الخارجي مبني من الطوب والاعمدة والابواب مزينة بالصور والمزار في القمة مدهون بالالوان المختلفة .

والبيت العادي صغير مبني من طابق واحد من الطوب فيتألف من عدة غرف حول باحة غير مسقوفة • وبعض البيوت من طابقين في الارضي غرفة استقبال ومطبخ ومنتفعات وغرفة خدم وغرفة للصلاة ومن الاثاث الطاولات والكراسي والفرش وتخوت الخشب • وأدوات المطبخ من الخشب والنحاس والحجر والفخار • والسلال والصناديق من القش والخشب • وتحت البيت مقبرة العائلة حيث يدفن الموتى ومعهم بعض الاواني للاستعمال في « العالم الآخر » •

والوحدة الاجتماعية هي العائلة • والاهل يرتبون الزواج وتصبح الخطبة قطعية عندما يقدم العريس هديته لوالد العروس • وللزوجة حق التملك والعمل والشهادة في المحاكم • ويمكن أن تطلق لعدة أسباب وان كانت عاقرا يحق للزوج أن يتخذ زوجة ثانية • وأما الاولاد فكانوا تحت السلطة المطلقة للاهل ويحق للاهل حتى بيعهم عبيداً •

وكان السكان من الاحرار والعبيد ، لكن العبيد كانوا قلة ولم يلعبوا دوراً هاماً « في الحياة الاقتصادية وكانوا أما من أسرى الحرب أو مواطنين فقراء • ويحق للعبيد العمل واقتراض المال وشراء العتق وان يتزوج العبد امرأة حرة فيكون الاولاد أحراراً » •

ورغم ان المدينة كانت نظريا ملك الاله الذي « اعطيت له » « يوم خلق العالم » ففي الواقع كانت معظم الارض بادارة المواطنين والباقي اوقاف للمعابد • ومن المواطنين الفلاح والراعي والصناعي والمهني والنوتي والصياد والتاجر والكاتب والكاهن • وقد قسمت الارض الى ثلاثة أنواع :

١ ــ أرض الرب : (جانا ني ان نا) ويعمل فيها كل المجتمع من أجل المعبد •

٢ ـ أرض القوت : (جانا كورا) وهي من نصيب الكهنة لاعالتهم •

٣ ـ أرض المحراث : (جانا ـ أبن ـ لا) وتعطى للمرابعين بحصة تتراوح بين ١/٧ و ١/٨ المحصول •

وكانت محاصيل المعابد وفيرة • ويعاد توزيع قسم منها ويخزن قسم منها تحسبا « للمجاعات » كما يقايض على قسم آخر مقابل سلع أجنبية • ومع زيادة الانتاج وسعة الاقتصاد وازدياد الثروة والتجارة كانت الحاجة الى مسك الدفاتر والادارة والتنظيم لكل أشكال العمل والانتاج • فعممت الكتابة في كل المدن وظهرت طبقة البوروقراطية من كتبة ومحاسبين • وبدأ تدوين أعمال الحكام من أبنية وتقدمات للآلهة وانتصارات على الملوك الآخرين • وظهرت في الكتابات كلمات « ان (سيد) » انزى (وكيل الاله) ولوجال (الرجل العظيم أي الملك) على المسلات والقصور كما بدأت المراسيم الجنائزية للحكام بان يبنى لهم ضريح وتوضع فيه الكنوز وفوق ذلك يدفن معهم خدمهم بالجملة ، كما يتضح ذلك من مقابر اور الملكية القرن ٢٦ ق•م وفي ماري وكيش •

وفي بعض المراحل كانت تغلب المشاعية الثيوقراطية على بعض المدن وسلطة رجال الدين كانت في بعض الاحيان تفوق الاستغلال العادي لتتحول الى سلطة سياسية مباشرة كما حدث في لغش في القرن ٢٤ ق•م عندما حكم الكهنة عشرين عاما قبل ثورة اوروكا جينا الاجتماعية واعادة « الحرية » لاهل لغش •

ومنذ نحو ٢٨٠٠ ق•م نظم السومريون مجتمعهم على أساس المدينة الدولة أي وحدات سياسية اقتصادية دينية مستقلة متمركزة حول المعابد • وبسبب التهديد الخارجي أسسوا الملكية وأصبح الملك

ذو أهمية كبرى • فهو ممثل الاله وواجبه حماية المملكة مـن الاعداء وتوسيع أراضيها ونفوذها وتحسين شبكة الري والمواصلات وترميم المعابد والطرق وحماية القانون والعدل ورئاسة الكهنة •

وفي أوج سومر شملت /١٣/ مدينة دولة هي من الشمال الى الجنـوب :

١ ــ سيبار والهها أوتو

٢ ــ كيش والهتها ننماخ

٣ ــ اكشـاك

٤ ــ لاراك

٥ ــ نيبور والهها إنليل

٦ ــ ادب والهتها ننماخ (أيضا)

٧ ــ اوما والهها شارا

٨ ــ لغش والهها نينغرسو

٩ ــ بادتيبيرا والهها لتراك

١٠ ــ اوروك والهتها انانا

١١ ــ لارسا والهها اوتو (أيضاً)

١٢ ــ اور والهها نـانـا

١٣ ــ أريدو والهها انكي

١٤ ــ ماري على الفرات

وفوق رئيس الكهنة « شنجا » يأتي حاكم الدولة أو الراعي الذي يختاره آله المدينة واسمه « انزى » أو لوجال (ملك) •

الملوك الاسطوريون :

في ثبت ملوك سومر لائحة بأسماء ملوك ما قبل الطوفان الذين حكموا البلاد من عواصم مختلفة مع أرقام خيالية من السنين التي حكموا خلالها وعددهم عشرة يذكرنا بالاباء العشرة قبل الطوفان في التوراة وهم :

ـ الوليم في اريدو	حكم ٢٨٠٠٠ سنة
ـ الالمار في اريدو	٣٦٠٠٠ سنة
ـ امنلوآنا في بيت كركارا	٤٣٠٠٠ سنة
ـ كيشوتا في لارسا	حكم ٤٣٠٠٠ سنة
ـ انمنغلانا في بيت كركارا	٢٨٠٠٠ سنة
ـ دوموزي في بيت كركارا	٣٦٠٠٠ سنة
ـ سيبزيانا في الاراك	٢٨٠٠٠ سنة
ـ امندورانا في سيبار	٢١٠٠٠ سنة
ـ اوب اوراتوم في شورورياك	١٨٠٠٠ سنة
ـ زيو سودرا في شورورياك بطل الطوفان	٦٤٠٠٠ سنة

فيكون هؤلاء الملوك الاسطوريون قد حكموا نحو/٣٤٥٠٠٠/ سنة . وأما زيو سودرا بطل الطوفان السومري فقد دعاه البابليون اوثنابشتيم كما دعته التوراة نوح وقد أورد الكاهن البابلي برعوشا (بيروسوس) ان اسم الملك الاول الوروس وانه حكم /٣٦٠٠٠/ عاما ، ولم يعرف عن هؤلاء الملوك الا هذه الارقام الخيالية من السنين التي حكموا خلالها وهذا يذكرنا بأرقام خيالية أخرى وان

كانت أقل بكثير مـن هذه وهو أعمار الآباء العشرة في التوراة قبـل الطوفـان ٠

وربما كانت الارقام الكبيرة هذه قد وضعت تعبيرا عن عصـور يكون مجموعها تاريخ بدء الانسان على الارض وقد شخصت أوأنسنت بأسماء أشخاص وهميين ٠

والملك السابع الذي دعـاه برعوشا ايفيـد وروخوس ودعتـه النصوص البابلية ايفيد ورانكي له أهمية ميتولوجية خاصة وهو أنـه تلقى علما خاصا من الالهين « شمش » « وادد » لـم يعلمـه « ايا » للبشر وهو نفسه كان يجهله الا وهو عِلم العرافة ٠ ولا ننسى صلـة العرافه بالنبوه تاريخيا فالنبي صموئيل مثلا « كان عرافا » ٠ وكذلك علاقة الرقم سبعة بالنقديس واعطاء هذا الملك الرقم السابع في ثبـت الملـوك ٠

وبعد الطوفان ، يقول الثبت السومري ، ان الملكية انزلت مـرة ثانية من السماء ولكن هذه المرة بدأت في مدينة كيش / ١٥ /كـم شرق بابـل ٠

والسلالة الاولى في كيش بعد الطوفان تضم أسماء /٢٣/ملكا حكموا نحو « ألف سنة » كل واحد ٠ منهم /١٢/ اسما ساميا وستة أسماء سومرية واربع اسماء من لغة مجهولة ثالثة واسم غير مقروء ٠ وهذه التسميات هامة لانها تبين ان الساميين كانوا مسيطرين في منطقة كيش كما تبين الاندماج السلمي بـين السومريين والساميين والفئـة « الاثنيه الثالثة » وتبدأ سلالة كيش بعد / ٢٨٠٠/ ق٠م ٠ وقد بـرز منها ايثانا الراعي الملك الثالث عشر مـن ملوك ما بعـد الطوفان ٠ فقد دارت حول اسمه اسطورة الصعود الى السماء والسقوط قبـل بلوغها ٠ وذلك ليحصل على عشبة الولادة ٠

تقول الاسطورة ان ايتانا الراعي لم يرزق ولدا يرثــه فتضرع الى الــه الشمس اوتو قائلا :

« أيها الاله لتخرج الكلمة من فمك
امنحــني عشبة الــولادة
ازل عــني اثقالــي
وامنحني من سيحمل اسمي »

فتحنن شمش وأرشده الى طريقة الصعود الى السماء حيث توجد عشبة الولادة . كان نسر قــد فرخ في أعلــى شجرة وحية فرخت في اسفلها . واذا ما ذهب أحدهما لاحضار الطعام لفراخه حرس الآخــر فراخ صاحبه . ومرة غــدر النسر بالحيــة وأكل فراخها في غيابها . فذهبت وكمنت له في جيفة ولما جاء النسر ليأكل من الجيفة هجمــت الحية والتفت حوله فكسرت جناحه والقته في هوة . والآن وقد شفي كســره لكنــه لا يزال في الهــوة ، نصح اله ايتانــا الملك أن يعبــر الجبل ويخرج النسر مــن الهوة ولقاء المعروف سيحمله النسر الــى السماء . وعمل ايتانا بالنصيحة وانقذ النسر من الهوة وحلق في الفضاء وأخذ حجم الارض بالتقلص وأخذ البحر « يصغر » الى أن بلغ حجم سلة الخبز . خاف ايتانا وزاغ بصره فاسترخت يداه وافلتت قبضتــاه النسر فهوى من فوق وسقط على الارض وتبعه النسر . لكــن لائحة الملوك تذكر أنه عاش /١٥٦٠/ عاما وان ابنا له باسم بليخ قد ورث عرشه . هكذا لاينفصل « التاريخ السومري عن الميثولوجيا » .

في عهد ايتانا ملك كيش نحو /٢٨٠٠/ ق.م نجحت تلك المدينة في توحيد مدن سومر المتنافسة الى حد ما .

ومن ملوك هذه السلالة أيضا عرف ملك باسم ميسيلم الذي كان أيضا « سيدا على بلاد سومر ولو اسميا » • وقد وجد لوحان يرويان قصة تحكيم على الحدود بين مدينتي اوما ولغش والمؤرخ السومري لهذا التحكيم ونقضه لاينسى ان يخلط بعض الحقائق التاريخية بكثير من الميثولوجيا كالمعتاد•وخلاصة الخلاف أن نزاعا « نشب على الحدود بين مدينتي اوما ولغش لكن حكامهما قبلا بتحكيم ميسيلم ملك كيش وبعد أن استوحى رأي الالهه « ستران » التي تسوي الخصومات أقام ميسيلم نصبا » يعين بموجبه الحدود وكان ذلك في القرن/٢٧/ق•م• وبعد زمن مانحو ٢٦٠٠ق•م رأى «اوش» حاكم اوما ان مدينته قد ظلمت في ذلك التحكيم فحطم النصب الذي اقامه ميسيلم وعبر الحدود واحتل تخوم مدينة لغش وظلت هذه الارض بيد أهل اوما الى أيام « ايانا توم » حفيد اور ناشه نحو /٢٥٢٥/ق•م وكان حاكم لغش ، شن حربا على اوما وهزمها واعاد نصب ميسيلم وحفر خندقا « على التخوم واجترأ أن يسمي نفسه » « ملك كيش » وبذلك يدعي السيادة على كل سومر • وقد سجلت هذه الحوادث في أيام اينتيمينا حاكم لغش نحو /٢٥٠٠/ ق•م • ومن النصوص السومرية نص للملك ميسيلم القرن /٢٧/ ق•م جاء فيه :

« ميسيلم ملك كيش ، باني بيت نينغرسو

قد قدم (هذه الاسلحة المنذورة) لنينغرسو

لوجال شاج انجور انزى لغش »

ونحو /٢٧٥٠/ ق•م أسس الملك « مس كي اجاشر » سلالة اوروك الاولى • ويقال ان هذا الملك قد بسط حكمه من جبال زاغروس على الحدود الايرانية حتى البحر المتوسط ، ثم خلفه ابنه « انمركار » الذي جعلته الاساطير من أنصاف الالهة واحتل مدينة

« أراتا » في ايران ليحصل على الحجارة والمعادن من أجل بناء معبد • وقد خلد هذه الحادثة شاعر سومري فيما اعتبره كريمر اول حرب نفسية في التاريخ لذلك تدخل تحت باب الادب السياسي •

وخلف انمركار ابنه « لوجال بندا » الذي الهته الاساطير وجعلته أبا لجلجامش بطل الملحمة الشهيرة ، وهذا خلفه ابنه « دوموزي » (تموز) نحو /٢٧٠٠/ ق•م في عهد دوموزي هدد سيطرة (اوروك حاكمان من كيش ، هما « ان مي باراجي سي » المعاصر له ثم «أجا » المعاصر لجلجامش • ولم يكونا مجرد قادة عسكريين بل أيضا رجال دين ، فبنيا في نيبور في أواسط سومر آل « أي كور » (بيت الجبل معبد انليل كبير الالهة السومرية)• وبذلك جعلا نيبور العاصمة الدينية والحضارية لسومر •

في تلك الفترة وقعت المنافسة بين كيش تحت حكم « أجا » واوروك تحت حكم جلجامش نحو /٢٦٧٥/ ق•م وكادت تكون حربا من أجل السيادة على سومر • فحاصر جيش كيش مدينة اوروك حصارا قصيرا ثم تصالحت المدينتان ويظهر ان السيادة بقيت بيد اوروك وقد خلد هذه الحادثة شاعر سومري بقصيدة « جلجامش واجا ملك كيش » وفيها يذكر اول مجلس شورى في التاريخ مؤلف من مجلسين مجلس الشيوخ ومجلس المحاربين لذلك تدخل تحت باب الادب السياسي •

ثم ظهرت قوة ثالثة في اور نحو / ٢٦٥٠/ ق•م ، في عهد الملك « مس ـ أني ـ بادا » وأسس سلالة اور الاولى • ويرجح أن مقابر اور تعود الى عصر هذه السلالة • وبعد موت « مس أني بادا » عادت اوروك المدينة القائدة في سومر بقيادة جلجامش بدون منازع •

وبسبب النزاع الداخلي من أجل السيطرة على نيبور وكل سومر

ما بين كيش واوروك واور سيطر العيلاميون في الشرق ولكن نحو /٢٥٠٠/ ق٠م أعيدت السلطة الى سومر تحت حكم « لوجال اني موندو » ملك أدب في وسط سومر ٠

ثم عادت القيادة الى لغش وخلف ابانا توم ابنه اتيمينا ، ثم حكم الكهنة لغش عشرين عاما واستغلوا شعبها باسم الدين ودبت الفوضى واللصوصية في الدولة فقام المصلح اوروكا جينا بأول انقلاب اجتماعي في التاريخ وتسلم الحكم واصدر مرسوما بتخفيض الضرائب وارجاع الاراضي للمعبد وتخفيض اجور رجال الدين وحماية الفقراء من الاغنياء واللصوص وقطاع الطرق واعاد الحرية لسكان لغش ، وفي هذه الوثيقة التاريخية لاول انقلاب اجتماعي في التاريخ ثم في القرن ٢٤ ق٠م تذكر كلمة الحرية لاول مرة وباسمها السومري « امارجي » ٠

لكن اوروكا جينا لم يحكم سوى ثماني سنوات اذ قام لوجال زاغيزي انزى اوما نحو /٢٣٧٥/ واحتل لغش واوروك واور وكيش ووحد سومر في أول امبراطورية في التاريخ وتابع فتوحاته حتى البحر المتوسط ، وحكم / ٢٥/ عاما وكان تحت امرته خمسون حاكما لذا يسمى عصره « عصر بدء الامبراطوريات » ٠

حتى الآن كان ابطال المسرح السياسي من السومريين ، وكان الساميون انصاف متفرجين ولم يبرزوا في الاحداث الرئيسية الى أن ظهر أول قائد منهم وهو شروكين اوسرجون الاكادي الذي ترعرع في كيش ولم يعرف اباه ٠ وهزم لوجال اغيزي وبنى أول امبراطورية سامية شملت كل الهلال الخصيب ٠ ومنذ ذلك الحين غلبت الصبغة السامية على الشرق الادنى رغم تقلب العصور ودخول عدة شعوب هندو اوروبية في تكوين الشعب السوري ٠

آكادو او اوري

آكاد اسم لمدينة ومنطقة وامبراطورية ـ فالمدينة العاصمة هي « آكادو » ولم يكشف موقعها بعد وسماها السومريون « أجادى » • وبلاد آكاد هي المنطقة شمال سومر وتمتد من نيبور الى سامرا بما فيه وادي ديالي وقد سماها السومريون « اوري » وما الامبراطورية الاكادية فهي الهلال الخصيب بكامله كما سيطر عليه سرجون الاكادي ودامت ١٢٠ عاما (٢٣٥٠ ـ ٢٢٣٠ ق٠م) •

لاندري منذ متى وجد الساميون في الهلال الخصيب وليسوا بالضرورة هجرة من أي مكان من خارجه ، فقد كانوا فيه من عصور ما قبل التاريخ • وكل شعب لا يوجد فجأة انما يعبر عن وجوده التاريخي في حقبات الازدهار ، عندما ينشط عسكريا وسياسيا وحضاريا • وفي حقبات الانحطاط يدخل ظلمات التاريخ فيكون الميت الحي وتهمله كتابات الشعوب المتحضرة • وبما أن الانسان كان في الهلال الخصيب منذ /١٥٠/ ألف عاما دون أن يعطي هوية حيث لم تكن كتابة افليس بالاحرى ان يكون السومريون والساميون امتداد لتلك الشعوب القديمة واخذوا هويتهم اللغوية بعد بدء الكتابة ولانضيع الوقت بأن « نفلسف » الهجرات • وليس لدينا أي دليل على أن الاكاديين أو الكنعانيين بدأوا تاريخهم وهم بدو رحل • وبعض الكتابات القديمة توحي بأن الساميين كانوا قلة بين السومريين في

الجنوب وكانوا كثرة في الشمال في منطقة كيش • كانت حضارتهم سومرية ولغتهم سامية كتبت بالمسمارية السومرية • ومن الهام جدا انه ليس هناك نص سومري واحد يقول أن الاكاديين كانوا فاتحين اعداء أو بدو رحل •

كان الاكاديون من الشعوب السامية ، مزارعين عاشوا في مدن وقرى وشاركوا السومريين في طرق حياتهم ودياناتهم وثقافتهم ، وكل ما نعرف عن الفرق بين الشعبين هو الفرق اللغوي فقط • وبدء السيطرة السامية بسرجون الاكادي قد كان منعطفا سياسيا ولغويا في تاريخ الهلال الخصيب وليس حضاريا • فمن هو سرجون ؟

سرجون الاكادي ـ (٢٣٥٠ ـ ٢٣٠٠ ق•م) ـ اسمه الحقيقي شروكين أي « الملك الشرعي » • وكان من أصل وضيع ولم يعرف أباه • ولدت امه بالسر فوضعته في صندوق ورمته في نهر الفرات • لكن اكي البستاني انتشله من النهر ورباه في كيش وترعرع فيها ثم أصبح ساقي الملك أور زبابا ملك كيش • ثم تمكن شروكين من قلب السلطة وتسلم الحكم • وقصته تذكرنا بقصة موسى وانتشاله من النيل وان يكن قبل موسى بألف عام • وقد خلد هذه القصة شاعر آشوري من القرن السابع ق•م فقال : ـ

« أمي كانت «متقلبة» ووالدي لم أعرفه
أعمامي أحبوا التلال وسكنوها
ازوبيراتو مسقط رأسي تقع على الفرات
حبلت بي أمي المتقلبة وبالسر ولدتني
في سلة القصب وضعتني وبالقير غلفتني

في النهر ألقت بي ومياهه لـم تبتلعـني
بل حملني والي «اكي» البستاني أخذني
عني أكــي بتربيتي وكأبن له اتخذنـي
ثم جعلني اكي البستاني لديـه بستانيا
وأنابستاني منحتني عشتارالمحبة والنعمة
فمـارست الملـك تـلك السنـين » •

بعد أن اسقط اورزبابا ملك كيش عن عرشه سار ضد لوجـال زاغيزي امبراطور سومر (٢٣٧٥ ــ ٢٣٥٠ ق•م) وتغلب عليه بشكل مدهش واعتقله واحضره الى كيش مربوطا « بطوق كلب » الى بوابة انليل • فالى جانب موهبـة شروكين القيادية كان التسليح الجديـد للجيش الاكادي والتكنيك الحربي الذي اتبعه • فقد ادخل القـوس والرمح بدل الفأس والحربة واستخدم طريقة القتال الفـردي « رجل يقابل رجلا » بدل نظام الكراديس السومري تحميها حملة التروس •
وبعد احتلال اوروك هاجم اور ولغش واوما وكان له النصر حتى احتل كل سومر وهدم أسوار مختلف المدن « وغسل اسلحته في البحر الاسفل » (الخليج) •

لم يكتف سرجون بأن يصبح ملك كيش بل أسس عاصمة جديدة في مكان ما لم يكشف بعد على الفرات سماها « اكادو » وبنى فيهـا القصور ومعابد عشتار وزبابا الـه الحرب الكيشي • واطلق اسـم « اكادو » على مدينة ومنطقة وشعب ولغة الجزء الشمالي من بـلاد الرافدين • وسمى نفسه شروكين « أي الملك الشرعي » التي حرفت الى سرجون ربما لانه لم يبدأ بالشرعية ، وعين حكاما اكاديين علـى المدن الرئيسية وأصبحت اللغة الاكادية السامية مستعملة جنبا الـى

جنب مع السومرية لغة رسمية . لكنه احترم المؤسسات الدينية والمعتقدات السومرية فجعل ابنته كاهنة ل نانا اله القمر (سين السامبين) في اور ولقب نفسه « كاهن آنــو الممسوح » و « انزي اتليل العظيم » فكان الحدث التاريخي الجديد بملك سرجون بـروز العنصر السامي لاول مرة في التاريخ والى الآن في الهلال الخصيب .

وبعد ان ركز حكمه وثبت مركزه السياسي والديني على سومر واكاد نظم جيشه وكبره ثم عبر دجلة نحو ايران فغزا عيلام واخضع الجوتيين واللولوبي في جبال زاغروس ودفعوا له الجزية بعد أن كانوا يهددون طرق التجارة . وفي الشمال حيث النحاس وخليط من الشعوب بينهم الساميون في آشور أخضع جبال كردستان كما أخضع الحوريين واخضع موبارتو التي عادت فتمردت عليه فدمرها تدميرا شاملا « حتى أن العصافير لم تجد لنفسها مأوى فيها » وبالسيطرة على طرق التجارة أصبح ممكنا تبادل انتاج البلاد مع الانتاج الاجنبي الذي تحتاجه وخاصة الحجارة والمعادن والاخشاب .

كما سار سرجون بجيشه عبر الفرات على « بلاد مهبط الشمس حتى نهايتها » فاحتل امورو (سوريا) حتى البحر الغربي (المتوسط) ثم سار الـى غابـة الارز في جبال اللكام وجبال الفضة في الشمال (طوروس) وعبر الى قونيه . كما عبر البحر ووجدت اختام اسطوانية في قبرص تعود لعهد اكاد . ويقال انـه وصل الـى جزيرتي قبرص وكريت . كما جعل دلمون (البحرين) مركز التجارة مع الهند .

هكذا أصبحت اكاد عاصمة امبراطورية واسعة شملت الهلال الخصيب من طوروس الى الخليج ومن زاغروس الى البحر المتوسط مع قبرص . وكان سكان المنطقة يظنون انها هي كل « العالم » . ولكن كان حكم رقعة شاسعة كهذه صعبا بسبب مواصلات تلك الايام . ففي

آخر ايامه ثارت كل الاقاليم ضده لتحاصره في أكاد لكن « الاسد الشيخ » سار الى المعارك وقهرهم جميعا . ودام حكمه /٥٥/ عاما . ومع عظمة سرجون أخذت القصص والاشعار تخلط التاريخ بالاسطورة بما يسمى « ملحمة ملك المعارك » وهو ذاته يقول انه سجد امام « داجان » (اله القمح) في توتول فاعطاه داجان (داجون) الاقاليم العليا ، ماري ويرموتي وابلا حتى غابة الارز والجبل الفضي (الامانوس وطوروس) وقد وجد قناع من البرونز في نينوي يرجح أنه يمثل رأس سرجون الاكادي .

ويخلد الشاعر الآشوري القرن ٧ ق.م حكم سرجون متابعا قصة ولادته كما مر فيقول :

« أنا شروكين ملك أكاد القوي

حكمت ذوي الرؤوس السود وملكت عليهم

بيلطات البرونز قهرت الجبال العظيمة

تسلقت السلاسل العليا

وعبرت السلاسل الواطئة

جبت بلدان البحر ثلاث مرات

قبضت على دلمون بيدي

والى « دير » العظيمة صعدت ...

وأي ملك يأتي من بعدي

فليحكم دوي الرؤوس السود ويملك عليهم

ليقهر الجبال العظيمة بالبلطات

ليتسلق سلاسل الجبال العالية

وليعبر سلاسل الجبال الواطئة

وليدر في بلدان البحر ثلاث مرات ؟

وليضع دلمون في قبضة يده

وليصعد الى مدينة دير العظيمة

من « أكادو » مدينتي ••••••• »

ولما مات شروكين خلفه ابنه ريسوش (٢٣٠٠ ــ ٢١٩١ ق٠م) وكان عليه أن يتابع اخماد الثورات في سومر وايران دون نجاح كامل الى أن اغتاله جنده أثناء حملة في عيلام بعد حكم تسع سنين وخلفه أخوه ــ مانيشتوزو (٢٢٩١ ــ ٢٢٧٥ ق٠م) فقاد حملة في البحر ضد عيلام وكسر جيشال /٣٢/ حاكما حتى بلغ مناجم الفضة وكان اعداء اكاد من حولها هم شعب اللولوبي في الشرق ــ والجوتي في جبال زاغروس وعيلام في الجنوب الشرقي وكان على اكاد أما ان تتقوقع أو تحارب • وحكم /١٥/ عاما وخلفه ابنه نارام سين (حبيب سين) (٢٢٧٥ ــ ٢٢٤٠ ق٠م) واختار الحرب وانتصر واستعاد سمعة الامبراطورية وحكمهاأربعين عاما وصلتفي عهده الى ذروةالمجد السياسي والحضاري كما حقق الاستقرار « وذبح ارمان وابلا بسلاح الاله داجان » وقام بحملة على الحوريين خلدها بنصب قرب ديار بكر (آمد) وثارت ماجان في الجنوب واخضعها كما اخضع شعب لولوبي وأقام لذلك نصبا في دربندي غور في ايران موجود الآن في متحف اللوفر يظهر عليه نارام سين بعمامة ذات « قرنين » علامة القوة التي كانت تحتفظ بها الالهة • يتسلق جبلا وهو يمشي فوق جثث الاعداء• واتخذ لقب «شار كبرات اربعيم » أي **ملك** الجهات الاربع و « شار

كشاتي » أي ملك العالم وسبق اسمه في الكتابات بصورة النجمـة علامة الالوهية فتقرأ بالسومرية « دنجير » وبالاكادية « ايلـو » ان نارام سين كان ثاني وآخر عظيم في تاريخ أكاد بعد جده شروكين •

بعد نارام سين اعتلى شاركلي شاري « ملك كل الملوك » العرش وكان ضعيفا انحطت الدولة في عهده واعلن ملك عيلام استقلاله كما ثار السومريون والجوتيون واللولوبيون وبدو سوريا من الاموريين واغتيل في قصره / ٢٢٣٠ / ق•م وانهارت الامبراطورية الاكاديـة بنفس السرعة التي بنيت بها • وسادت فترة من الفوضى حكم خلالها أربعة من الملوك ثلاث سنين فقط فيقول ثبت الملوك :

« من كان ملكا » ؟

من لم يكن ملكا ؟

هل كان اجيجي ملكا ؟

هل كان نانوم ملكا

هل كان ايمـــي ملكا ؟

هل كان ايلولو ملـــكا ؟

الاربعة كانوا ملوكا « وحكموا ثلاث سنين ؟ »

استقلت اوروك في أواخر حكم نارام سين وحكم خمسة ملوك من سلالتها الرابعـة ثلاثين عاما والآن حـذت حذوها عـدة مـدن سومرية كذلك استقلت عيلام وجوتي ولولوبي •

وماصح عن السلالة الاكادية كان ينطبق علـى كل السلالات الاخــرى •

توسع سريع يتبعه التمرد والتآمر واخيراً يأتي من يضرب الضربة القاضية ليبدأ سلالة جديدة • كانت كل سلالة تقضي أيامها في الحروب والمشاحنات الداخلية والخارجية بعكس ما تحتاجه البلاد من تضامن وتفاهم بين الفئات الاثنية في الداخل والسلام في الخارج • وانتهت سلالة اكاد عمليا بموت شاركلي شاري ٢٢٣٠ ق•م •

ولكن رغم قصر عهدها فقد ادت الى انصهار الحضارة السومرية الاكادية ونشر اللغة السامية وادخلت المعادن والحجارة الى بلاد الرافدين وأعطت شعوب غريبة مثل اللولوبي والحوريين والعيلاميين الكتابة المسمارية وامتدت التجارة الى الهند • واما من الوجهة السياسية فكانت ناقوس الخطر على نظام المدينة الدولة وبدء الممالك الكبيرة عندما سيطر الاكاديون على كل الهلال الخصيب فكان أول توحيد تاريخي له • وبدأت الملكية الخاصة وأراضي القصر تحل مكان النظام السومري نظام مدينة المعبد وكانت مصر سلفاً قد توحدت • حتى أنه بعد النهضة السومرية لم يعد السومريون الى تقاليد ما قبل السرجونية • وقد بقيت أكاد مزدهرة كمدينة حتى أيام نبوخذ نصر وقد ذكرت في سفر التكوين ١٠ : ١٠ وموقعها غير معروف وكانت نحو /٥٠/ كم شمال بابل • وكانت الضربة القاضية على يد الجوتيين •

النهضة السومريـة

اجتاح الجوتيون من الجبال بلاد سومر وأكاد ودمروها وقضوا على السلالة الاكادية وحكموا قرنا من الزمن (٢٢٣٠ ـ ٢١٣٠)ق•م وكان الجوتيون من المتوحشين ارتكبوا كل أنـواع الفظائـع وكان عصرهم عصر انحطاط وتخلف حضاري • ويذكر ثبت الملوك /٢١/ ملكا جوتيا ترك خمسة منهم بعض الكتابات • ولقلـة عـدد هؤلاء البرابرة فقد نعمت بعض المدن بالابقاء على حضارتها واستقلالها وفي طليعتها لغش بينما دمروا آكاد واحتلوا نيبور • ونحو ٢١٣٠ حـرر اوتوهيجال انزى اوروك بلاد سومر من النير الجوتي وتبعه بحركته عدة أمراء من جنوب العراق واسر تيريقان ملكهم •

« جلس اوتوهيجال ، وتيريقان يتمدد عند قدميـه
برجله داس على رقبته واستعاد سيادة سومر بيديه »•

ونحو /٢١٥٠/ ق•م في أواخر العهد الجوتي برزت لغش خاصة في عهد حاكمها الورع جوديا ، الانزي الذي برز في تاريـخ الادب والدين والبناء بني /١٥/ معبدا في لغش أهمها معبد « أي نينو » معبد نينجر سو اله المدينة الذي بناه بموجب وحي في احد احلامـه الذي فسرته له الالهة نانشي « مفسرة الاحلام » • واحضر له خشب الارز من لبنان ، وهناك نشيد لذكرى ترميم معبـد انينو يعتبر من روائع الادب السومري •

وقد وجد المنقبون /١٧/ تمثالا من الديوريت للانزي جوديا وقد ملأتها النصوص المسمارية • وقد كان هذا الشاب الجالس بهدوء مثال الحاكم السومري الكامل ، ورع ، عادل ومثقف امين لتقاليد مملكته محب للسلام ولم يذكر في كل كتاباته الا حملة واحدة في « أنشان » ومعنى هذا ان كل ما احتاجه في عمليات البناء من مواد حصل عليها بالتجارة لا بالفتح والسلب •

« للمرة الثانية الى النائم ، الى مخدة النائم أظهر ننغرسو ذاته ولمسه كالبرق • ـ اليك أنت الذي يبني لي اليك أيها الانزي يا من تبني لي معبدي • يا جوديا لانك تبني لي معبدي سأعطي العلامة ، وتعليماتي بواسطة الظواهر السماوية الطاهرة أريد أن اعلنها لك • معبدي بيت الخمسين جواب السماء ، قواه السماوية هائلة تفوق كل القوى السماوية الاخرى المعبد يرمقه الملك من بعيد والذي لصوته كما لصوت الطائر المقدس « ايمدوجود » تستجيب السماء جلاله المخيف يصل الى السماء ، بريق معبدي يلطم الجبال ، وعند سماع اسمه من حدود السماء تتجمع الجبال » •

وعندما قام اوتوهيجال انزي اوروك نحو /٢١٣٠/ق•م على رأس جيش يدعمه امراء سومر الاخرون وهزم الجوتين تزعمت اوروك باقي سومر • لكن لم يدم حكم اوروك طويلاً لان حاكما آخر من معاصري جوديا وهو« اورنمو » حاكم اور قلب اوتوهيجال « ووجدت جثته مطروحة في النهر » واتخذ اورنمو لقب « ملك اور ـ ملك سومر واكاد » وبه بدأت سلالة اور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق•م) وعصر النهضة السومرية ـ عصر السلام والازدهار والفنون والاداب •

وحد اور نمو كل البلاد في مدة وجيزة ثم كرس بقية حكمه (٢١١٣ ـ ٢٠٩٦ ق•م)للبناء الداخلي واعادةالنظام والرخاء والاهتمام

بالدين ، كما حرر البلاد من اللصوص وقطاع الطرق والخارجين على القانون ، والى اور نمو يعود اقدم تشريع في التاريخ بعد وثيقة اصلاح اوروكا جينا . لقد وجد في نيبور على لوحة تالفة ولم يترجم الا حديثا . وما تبقى من التشريع هام جدا لانه بعيد عن جمود وقساوة تشريع حمورابي والتوراة لانه يسمح بالتعويض جزاء عن الجرم بالفضة . ويختلف الوزن حسب نوعية الجرم .

كذلك احيى الزراعة وحفر شبكة من الاقنية وحصن المدن ورمم ما تهدم . ومن أعظم أعماله بناء الزيقورات في أور وأوروك واريدور نيبور ومدن أخرى لا تزال أقدم الاثار هناك وأكثرها حفاظا زيقورة أور .

وزيقورة اور هي نموذج لهذا النوع من البناء بنيت من ثلاث طبقات يعلوها مزار نانا اله القمر السومري (سين الساميين) وزوجته نينغال (السيدة العظيمة) ، قاعدة البناء ٧٠×٥٠ مترا وعلو الطابق الاول وما تبقى من الثاني عشرون مترا . وربما كان الارتفاع وسيلة التقرب من السماء ولقاء الالهة مع البشر .

وفي احدى المعارك قتل اورنمو « وترك في الميدان كالقدر المحطمة » وخلفه ابنه شولغي (٢٠٩٥ ــ ٢٠٤٨ ق.م) الذي حكم /٤٧/ عاما . قضى شولغي النصف الاول من حكمه في البناء السلمي. فأكمل الزيقورات والمعابد التي اسسها والده واقام ابنية جديدة ورفع تماثيل الآلهة في مزاراتها . واصلح التقويم ووحد المكاييل ــ على أساس الجور الملكي للحبوب بدل المكاييل المحلية واعاد تنظيم البلاد سياسيا واقتصاديا واداريا . وفي السنة ٢٤ من حكمه أخذ يقوم بحملات عسكرية سنوية من غير الواضح مدى أهميتها . ومثل تارام سين سمى نفسه « ملك الجهات الاربع » وعبد مع الالهة في حياته وبعد موته واسم « شولغي المقدس » أطلق على أحد الاشهر .

وزوج بناته من بعض الامراء لاسباب سياسية • لقدكانشولغي من أعظم ملوك العالم القديم ــ كان قائدا عسكريا ورجل دولة وراع للعلم والادب وفي عهده ازدهرت سومــر وسيطرت على البلــدان المتاخمة • وبعد موته تغلغل الاموريون من سورية في العراق وكانــوا مايزالون في مرحلة البداوة •

خلفه ابنه أمارسين (٢٠٤٧ ــ ٢٠٣٩) وقسم سنيه التسعــة بين البناء والحرب واله في حياته وسمى نفسه « الاله الــذي يهب الحياة للبلاد » و « شمس البلاد » ومات من جرح في رجله ودفن مع والده وجده في مدينة اور قرب المدافن الملكية •

لقد حكم كل من شولغي وامارسين امبراطورية بحجم الامبراطورية الاكادية ولكنها أكثر تماسكا • فلم يعتمــد الاوريــون على القوة كالاكاديين اداة للسلطة بل وسعوا نظام المدينة الدولة السومري ليشمل سورية وعيلام وأقاموا الانزية المحليين (ال « ايشاكو » بالاكادية) وكان الملك هو الانزي الاكبر بينهم « يختاره » انليل في نيبور ليقود مصائر شعوب متعددة ، وبعض الانزية كما في ماري واشور كان لهم استقلال ذاتي بينما الاخرون يخضعون للملك مباشرة • وفي الاطراف كان الانزية من أهل الاقاليم ذاتها ، بينما ضمن بلاد الرافدين كانــوا ينتقون من السومريين والاكاديين دون تمييز • هذه السياسة الفدرالية الحكيمة قربت بين مختلف الفرق الاثنية وشجعت التقدم الاقتصادي والثقافي في الولايات البعيدة • وضمنت السلام العادل ، وحسنــت المواصلات بين مختلف الولايات واقيمت التحصينــات على الطــرق الرئيسية ومحطات عليها • واختلطت الحضارة السومرية مع حضارة المناطق المتخلفة وأغنتها • ولكن رغم وجود عشرات ألوف الالواح لم يتضح بعض تفصيلات النظام الاقتصادي السومري في هذا العصر • الا انه كان عصر تضامن ورخاء وسلام وكان القطاع الخاص فيالاقتصاد

ينمو على حساب قطاع المعابد ونفوذ العلمانيين يتزايد على حساب نفوذ الكهنة • وظهرت طبقة من ملاك الارض والمواشي والبيوت والقصور والعبيد • واختلفت الاسعار حسب النوع والزمان والمكان ويعبر عن القيمة بموازين الفضة أو مكاييل الحبوب • ومثقال الفضة يساوي نحو /٨/ غرامات من الفضة وال « جور » يساوي ٢٢٥ ليتراً ومساحة سار الارض نحو ١٠ متر مربع •

والفوائد ٢٠٪ والمرابع يقدم٣/١ المحصول للمالك ويضطر الفقراء لبيع أولادهم في سوق النخاسة والاكثرية يفضلون العمل في الاراضي الاميرية أو أرض المعابد وكانت المعابد أكبر المالكين ولكن ليس المالكين الوحيدين كما كانوا أيام السلالات الاولى •

كان للحكومة أراضيها ومخازنها وورشاتها وكتابها وصناعها وجيشها وعبيدها • ولم يكن التاج والمعبد في حالة تناقض لان الملك هو نفسه رئيس الكهنة وهو الذي يبني المعابد ويعين كبار الكهنة يؤم الاحتفالات الدينية • والمعابد تدفع ضرائب للدولة وعند الازمات تضع ثروتها تحت تصرف الدولة •

وقد بنى شولغي في بزوريش داجان قرب نيبور اهراء كبرى للحبوب وزرائب الابقار والاغنام والماعز ومستودعات البيرة وغيرها من المتاع المتجمعة في الامبراطورية كهبات أو كجزية أو كضرائب من الانزية بنظام دوري دقيق يسمى « بالا » والكتاب المختصون يسجلون الداخل والخارج •

وتمركز السلطة في يد ملك اور أقام مجتمعا تديره الدولة وتلك البلاد الشاسعة موحدة اداريا والاعمال الخاصة صغيرة • محددة • وهيمنة الملك واطاعته تمتد من جبيل على الساحل السوري الى شوشان في عيلام دون أية مقاومة • لقد عاد الهلال الخصيب مرة

أخرى دولة واحدة وعاصمتها اور وتزايد السكان فيها ينتهي الى بناء مدن وقرى ومعابد جديدة •

وعمت حضارة سومر كل الهلال الخصيب • وكان الناس يحسبون أن امبراطورية شولجي وامارسين صامدة في رخائها بينما الجنود على الحدود وفي المخافر على الطرقات كانوا يرون تحركات البدو في كل مكان •

سقوط اور :

خلف أمارسين أخوه شوسين « المقدس » (٢٠٣٨ ـ ٢٠٣٠ق•م) فرمم المعابد وقاد حملة ضد تحالف القبائل الايرانية في الشمال • كما بنى في سنة حكمه الرابعة حصنا يقاوم غزوات البدو الاموريين القادمين من سورية كان الحصن بين ماري وأور وحمى البلاد عشر سنين • لقد كسر شاركلي شاري البدو في جبل بشرى في العهد الاكادي وأما الان فقد قويت شوكتهم وأصبح السومريون في موقف المدافع لا المهاجم ضد هؤلاء الاموريين المتخلفين وكان السومريون يسمونهم مارتو وقد وصفوهم في أشعارهم هكذا :

« الاموري سلاحه رفيقه
انه لا يعرف الخضوع
المارتو لا يعرف الحبوب
المارتو لايملك بيتا طوال حياته
ولامدينة هؤلاء أجلاف الجبال ؟
المارتو يحفر بحثا عن الكما
ولا يحني ركبتيه ليزرع ؟

انــه يأكــل اللحــم النــيء
ولا يــدفــن بعــد موتــه .
لقد حضرت الحلوى من القمح
والجونونوز
لكن الاموري يأكل دون أن يدرك
ماذا يأكل
وأما الان فالمارتو يملك بيتــا
والان مارتو يملك الحبوب

ولما مات شوسين خلفه ابنه أبي سين ــ ٢٠٢٩ ق . م ــ ولا ندري ماذا حدث في عهده فقد تفككت بسرعة أوصال الامبراطورية المزدهرة وأعلنت عدة مدن في الشرق وفي سومر ذاتهــا الاستقلال مثل اشنونا وشوشان ، رمى الاموريون بثقلهم على الحدود . وفي السنة الخامسة من حكمه اخترقوا التحصينات وتغلغلوا في قلــب سومر وقطعو الطرق المؤدية الى اور واستعدوا لغزو تيبور وايسين. فطلب القائد العسكري لمنطقة ماري الامر بالدفاع عنها ونجح ايشبي ارا بذلك لكن المجاعة والتمرد دبا في الرعية .

وفي عام ــ ٢٠١٧ ق.م ــ اعلن ايشبي ارا نفسه ملكا فيايــين كذلك أعلن نفســه الشيخ الاموري نبلانوم ملكا على لارسا . ثمغزا العيلاميون سومر ابان ضعفها . حاول أبي سين أن يحــارب حتــى النهايــة وأن يوحد الصفوف بين الاموريين ومع ايشبي ارا ضــد العيلاميين لكن خططه فشلت . وفي ــ ٢٠٠٦ ــ حطــم العيلاميون اسوار اور التي بناها اورنمو « عالية كجبل مشع » واحتلوا المدينة ونهبوها وأحرقوها وانسحبوا تاركين خلفهم حامية صغيرة ، وسيق

أبي سين أسيرا الى ايران ومات هناك • وبعد سنين من بناء أور ثانية وعودة الازدهار اليها كان السومريون يرثون لذكرى خرابها على أنه كارثة قومية وقد خلد سقوطها رثاء شاعر يدخل تحت باب أدبالرثاء•

ان سقوط أور لم يكن سقوط مدينة بل سقوط أمة ونهاية السومريين السياسية ، وكان الانشقاق الداخلي هو السبب في الهزيمة امام العيلاميين • ولم يطل الامر بالعيلاميين حتى طردوا وبرزت مدن آشور واشنوتا في الشمال ايسين ولارسا في الجنوب حتى ٢٠٠٠ ــ ١٨٠٠ ق•م والمدن في صراعين ــ شمالي من أجل السيطرة على طرق التجارة وجنوبي من أجل السيطرة على مدينة أور وكل سومر وأكاد • وتابع الاموريون دخولهم من سورية •أثناء ذلك ظهرت السلالة الامورية الاولى في بابل وقويت تدريجيا الى أن تسلم حمورابي الحكم وهو الملك السادس من السلالة الاولى ــ ١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ق•م ــ فوحد البلاد عام ١٧٦٠ وجعل بابل في الشمال عاصمة لها • وانتهى تاريخ سومر السياسي ودخل في تاريخ بابل • لكن لغتها بقيت لغة دينية وآثارها الحضارية ما زالت حتى الان •

* * *

العواصم السومرية

منذ القرن ــ ٢٨ ق٠م ــ نظم السومريون مجتمعهم في « مدن دول » لكل واحدة استقلالها وهي عبارة عن امارات متاخمة بمساحات وتعداد سكان محدودين فمدينة لغش مثلا لم تبلغ في أوجها أكثر من (٤٠) ألفا ٠ ويبلغ عدد المدن السومرية نحو ٢٠ــ٣٠ مدينة منها نحو ــ ١٣ ــ من العواصم وهي من الشمال الى الجنوب ــ سيبار ، كيش ، آكشاك ، لاراك ، تيبور ، أدب ، أوما ، لغش ، بادتيبيرا ، أوروك ،لارسا ، أور ، اريدو وماري على الفرات ٠ وأمراء هذه المدن هم « وكلاء » آلهة هذه المدن ٠

سيبار ــ (تل ابو حبه) :

تقع على ضفة الفرات الشرقية ــ ٣٢ ــ كم جنوب غرب بغداد ضمت زيقورة مكرسة للاله شَمش والالهة انونيتوم ٠ رمم حمورابي أسوارها وفتح خندقا للمياه ٠ وبعد السلالة البابلية الاولى لم يعرف عن سيبار الا القليل حتى عام ١١٧٤ ق٠م حين نهبها الملك العيلامي كوهير تاهونتي ٠ ثم أخضعها الملك الاشوري تغلا تفلاسرا (١١٠٠ ق٠م) وابان حكم السلالة البابلية الثامنة اعاد الملك نبو ابال ادينا بناء هيكل شمش (٨٨٠ ق٠م) بعد أن دمره البدو ٠

اكتشف المنقبون فيها ــ ٠٠٠ ١٣٠ ــ لوحا باللغة المسمارية معظمها معاملات تجارية معاصرة لبنبونيد آخر ملوك الكلدان ٠ وبعد

معركة اوبيس ــ ٥٣٩ ــ ق • م واندحار جيش نبوئيد أمام كوراش الفارسي فتحت سيبار ابوابها للغزاة •

كيش (تل الاحمير) :

أطلال على بعد ــ ٢٠ ــ كم من الحلة و ــ ١٦ ــ كم شرق بابل في شمال سومر • نقبت فيها بعثة اوكسفورد وشيكاغو ١٩٢٣ •

يقول ثبت الملوك السومري أن الملكية انزلت من السماء بعد الطوفان الى مدينة كيش وتذكر ــ ٢٣ ــ ملكا منهم ايتانا الراعي وميسليم وأول ملك تاريخي هو انمي باراجسي نحو ــ ٢٧٠٠ ــ ق•م ثم أجا الذي عاصر جلجامش ونازعه السلطة على سومر ••• وستة من ملوك السلالة يحملون أسماء سامية مما يدل على التعايش السلمي والاختلاط التدريجي بين السومريين والساميين • وكان آخر ملوكها اور زبابا الذي قلبه سرجون الاكادي نحو ــ ٢٣٥٠ ــ فبدأت السيطرة السامية •

اكشاك :

تقع شمال أكاد • تغلب عليها اياناتوم ملك لغش بعد ان احتل كيش نحو ــ ٢٥٠٠ ــ ق • م بعد قرون استعادت سيطرتها على سومر وأكاد • موقعها غير معروف بالضبط الا أن كتابات ماري توحي بأنها كانت قريبة من اشنونا في وادي ديالي •

لاراك :

في شمال شرق سومر على دجلة كانت من عواصم ما قبل الطوفان •

نيبور (نفر) :

عاصمة السومريين الدينية • بنيت على الفرات ــ ٧٠ ــ كم

جنوب شرق بابل ــ ١٦٠ ــ كم جنوب شرق بغداد في لواء الديوانية، لم تكن نيبور عاصمة سياسية قط لكنها لعبت دورا في التاريخ الديني لما بين النهرين • وبعد أن انحرف الفرات عدة أميال الى الغرب بقيت أطلال نيبور تشبه تلالا في سهل •

حسب الميتولوجيا السومرية وجدت نيبور منذ الازل وكانت موطن إنليلل اله الرياح وكبير الالهة • والذي نفذ مقررات مجمع الالهة المنعقد في نيبور لتسيير الحوادث ومصائر المخلوقات • واحدى الحكايات تقول أنه في نيبور خلق انليل الانسان •

ولكون انليل اله القوة ومنفذ مقررات مجمع الالهة كان له صلاحية منح سلطته لاي حاكم زمني في أي من مدن سومر • وفي الازمنة المتأخرة لملوك بابل وآشور ورغم أن جيوش الملك يمكنها أن تخضع البلاد بالقوة كان على كل ملك أن يستجدي انليل في نيبور ليمنحه القوة الالهية كي يحكم ، ولضرورة تأييد مجمع الالهة في نيبور أصبحت المدينة مقدسة وخاصة مقام انليل بصرف النظر عن أي سلالة تحكم ما بين النهرين •

أول بعثة أميركية نقبت في نيبور بين ١٨٩٩ و ١٩٠٠ و١٩٤٨ ونبين أن الصف الجنوبي الغربي من المدينة كانت منطقة سكنية تجارية وفيها سجلات تجارية تعود لعائلة موراشو ــ ٤٤٥ ــ ٤٠٣ق‌م ــ ، وفي الحي الشرقي وجدت لوحات من الطوب المجفف بالشمس وسمي « حي الكتاب » ومعظم اللوحات وثائق تجارية وأناشيد سومرية وأساطير ونصوص في الحكمة، وفي الشمال الحي الدينيحيث وجدت المعابد لانليل والالهة والالهات الداخلين في البانتيون السومري •

قبل التاريخ كانت المدينة تتمركز حول الحي الديني • وفي

منتصف الالف ٣ ق٠م بلغت مدى أطلالها الحالية وكانت محصنة وفيها زيقورة معبد انليل • أعاد نارام سين ملك أكاد (٢٢٧٥ ـ ٢٢٤٠) ق٠م بناء أسوار المدينة ومعابدها لكن معظم ابنيته تضاءلت أمام الابنية الفخمة التيأقامها اورنموأول ملكمن سلالة أور الثالثة ـ ٢١٣٠ ـ ٢١١٢ ق٠م ـ وضع ارنمو معبد انليل « اي كور » بشكله الحالي، كما بني زيقورة من ثلاث طبقات ومعبد ومجمعات للمقامات الدينية والكهنة والمخازن •

بعد ذلك حافظ ملوك اور وايسين ولارسا على هذه المباني ورمموها ، كما عمل ملوك بابل وآشور والكاشيين على المحافظة عليها • ولكن الكلدانيين أجروا تبديلات أدت بتيبور الى الانحطاط كما بنى الفرثيون قلعة طمت مقام انليل • وانتهت المدينة بنهاية العصر الفرثي القرن ـ ٣ م ـ وأصبحت مدينة صغيرة حتى هجرها أهلها في القرن ـ ١٣ م ـ •

ادب (بسمايا) :

تقع جنوب بابل اكتشفت فيها عام ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ أبنية من عهد اورنمو حتى ما قبل التاريخ • وتمثال صغير للملك لوجال دالو • أهميتها التاريخية تعود لما قبل ٢٠٠٠ق٠م كما أن ملكها لوجال أني موندو حرر سومر من العيلاميين نحو ـ ٢٥٠٠ ـ ق٠م • الهتها الرئيسية ننهورساج • وفي القرنين ـ ٢٢ و ٢١ ـ ق٠م كان حاكمها يعين من قبل ملوك أور •

اوما (جوخة) :

تقع غرب لغش • أصبح حاكمها لوجال زاغيزي انزي اوما ملكا على سومر نحو ـ ٢٣٧٥ ـ ق • م باحتلاله لغش وأوروك وكيش حتى

البحر المتوسط فكانت أول امبراطورية في التاريخ ودامت ـ ٢٥ ـ عاما حتى قهره سرجون الاكادي ـ يقول نص للوجال زاغيزي •

« عندما انليل ملك البلدان ، الى لوجال زاغيزي ملك اوروك ملك البلاد » كاهن آن ، بني نيسابا ، ابن بوبوانزي اوما وبني نيسابا الذي يعان عليه آن ملك البلدان وانزي انليل العظيم والذي منحه الحكمة انكي والذي لفظ اسمه اوتو ، ووزير سين العظيم ورجل اوتو، الذي يقدم الى انانا ما تحتاج اليه من هبات ، طفل نيسابا الذي غذته نينهوزساج بلبنها المقدس ورضع نينا بوهادو البكر سيدة اوروك والموحى اليه من الالهة ـ عندما الى لوجال زاغيزي هذا : انليل ملك البلدان منح الملك على البلاد وعندما امام البلاد قاده وطرح البلدان تحت قدميه واخضعها له من المشرق الى المغرب مهد له من البحر الاسفل (الخليج) الى البحر الاعلى (المتوسط) ماارابدجلة والفرات » •

لغش (تللو) ـ من أهم مدن سومر /٦/ كم من شط الفراف و ١٦ كم جنوب الشتره في جنوب العراق •

نقبت فيها عشرون بعثة فرنسية ما بين ١٨٧٧ و ١٩٣٣ لحساب متحف اللوفر ووجد فيها /٥٠ ٠٠٠/ لوحا مكتوبا وهذا أكبر عدد من الالواح يكتشف في أية مدينة سومرية ، تبحث في الاقتصاد والدين والاحداث التاريخية وتلقي الضوء على معظم نشاط السومريين في الالف ٣ ق•م •

اسست المدينة قبل التاريخ وبقيت حتى العهد الفرثي (القرن ٢ ق•م ـ ٣ م) وبلغت اوج ازدهارها بين ٢٧٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق•م وفي أواخر العهد السرجوني وأيام الحكم الجوتي أيام جوديا الذي شيد المعابد وخاصة معبد نيغرسو •

في عهد السلالة الاولى سمى حكامها انفهم ملوكا (لوجبال) اولهم ان هيجال نحو /٢٧٢٥/ ق٠م ومن ملوكها لوجال شاج انجور نحو /٢٦٥٠/م ثم اورناشي نحو /٢٦١٠/ وكان من كبار البناة ٠ وقد وجدت لوحات حجرية لعائلته وهي تعاصر سلالة اور الاولى اكورجال الملك اكسورجال نحو /٢٥٥٠/ ق٠م ثم ايانا توم انزي لغش نحو /٢٥٤٠/ وكان كجده اورناشي من بناة المعابد وفاتحي القنوات كما كان محاربا عظيما فطرد العصابات العيلامية من سومر ٠ واحتل عيلام واجتاح اور واروك ثم ضم الى انزيته مملكة كيش ٠ ثم دب النزاع بين لغش واوما حول الحدود فقاد ايانا توم جيشه وطرد جيش اوما واعاد الحدود وانهى الحرب بمساعدة سلام ٠ وقد خلد ايانا توم هذا النصر بنصب « الطيور الجارحة » التي تمثل الطيور المخيفة تأكل جنود اوما ٠ وفي أواخر عهده حارب تحالفا من كيش وماري واكشاك ولم يكن النصر حاسما » ٠

ثم كان قرن من الحكومات الضعيفة ٠ من ملوكها انانا توم نحو /٢٥١٠/ ق٠م ثم انتيمينا نحو /٢٥٠٠/ ق٠م ٠وقد وجد من عهده فاز فضي نقش عليه نسر برأس أسد هو الشعار الوطني للغش ومن روائع صناعة الفضة السومرية ٠

ثم نانا توم ٢ نحو ٢٤٧٥ ثم لوجال بندا نحو ٢٤٤٠ ق٠م ٠ ثم انحطت أحوال لغش وسيطر كهنة نينغرسو على السلطة مدة عشرين عاما وأخذوا يستغلون الشعب باسم الالهة حتى جاء انقلاب المصلح اوروكا جينا نحو /٢٣٨٣/ وحكم ثماني سنوات وقهره لوجال زاغيزي ٢٣٧٥ ق٠م ٠ وكان آخر انزي على لغش حد من سلطة رجال الدين وخفف الضرائب وأجور الجنازة والزواج ٠ واللصوصية والفساد وتسلط الاغنياء على الفقراء والارامل : محرر سكان لغش من الغش

والاحتكار والجوع والسرقة والاعتداء وكرس الحرية « امارجي » ، ومنذ عهد سرجون اصبحت لغش جزءا من الامبراطورية الاكادية ثم انتقلت الى يد الجوتين (٢٢٣٠ ــ ٢١٣٠ ق٠م) وكان أعظم حكامها في العهد الجوتي جوديا وكان معاصرا لاونمو مؤسس سلالة اور ٣، سقطت بيد حكام لارسا نحو ١٩٢٦ ق٠م ٠

اوروك (ارخ ــ الوركاء) :

من المدن السومرية الجنوبية /٥٠/ كم شمال غرب اور في قضاء الناصرية ٠ نقبت فيها بعثات المانية متعاقبة من ١٩١٢ ــ ١٩٣١ ٠

كانت اوروك من أهم المدن السومرية ومحاطة بسور محيطه /٩/ كم وهو أول سور مدينة في التاريخ وينسب بناؤه لجلجامش ٠ ضمن السور آثار لمدن متراكمة من فترات ما قبل التاريخ نحو /٤٠٠٠/ ق٠م حتى أيام الفرس ٠

بدأت الحضارة فيها منذ عصر جمدة نصر ٣٥٠٠ ــ ٣٠٠٠ق٠م٠ وكانت قد اخترعت الكتابة التصويرية ثم المسارية ، ومئات اللوحات تبين ان التجارة كانت احتكارا للمعابد بينما الناس مارسوا الزراعة وتربية المواشي والتعدين ٠ وكان عصر جمدة نصر عصرا زاهيا ازدهرت فيه صناعة الذهب والفضة والنحاس والاختام والاحراز بشكل حيوانات ٠ وكانت اوروك تضم منطقتين مقدستين أقدسها تعرف باسم « بيت راش » حيث زيقورة آنو اله السماء السومري يعلوها المعبد الابيض منذ أكثر من /٣٠٠٠/ سنة ومعابد أخرى كثيرة تزينها الفسيفساء ٠ والمنطقة الثانية تضم معبد انانا (الزهرة) آلهة الامومة الكبرى في النصف الثاني من عصر فجر التاريخ وكانت انانا ذات صلة وثيقة بتموز الراعي (دو موزي) ملك اوروك الاسطوري الذي برز اسمه في اناشيد نظمت نحو / ٢٠٠٠/ ق٠م يلعب فيها دور عشيق انانا٠

وفي قدس اناتا نجد الترميم المتواصل من قبل كبار الملوك مثال: لوجال زاغيزي /٢٣٧٠/ق٠م واورنمو مؤسس سلالة اور ٣ ، وفيها التطوير الهندسي من عصر ايسين لارسانحو /٢٠٣٠/ ق٠م /١٧٧٠/ ق٠م كما نجد ترميمات اشورية وبابلية واخيمينية ٠

تابعت المدينة ازدهارها وفي العصر السلوقي بني معبد عملاق لاله السماء آنو وقرينته آناتوم وبقيت المدينة حتى عام ٧٠ ق٠م بعد انتزاع الفرثيين للعراق من سوريا ٠

لارسا (سنكره) :

اطلالها /٢٥/ كم جنوب شرق اوروك في الجنوب وقد نقب فيها العالم الفرنسي بارو لحساب متحف اللوفر عام ١٩٣٣ ويبدو أن المدينة قد أسست قبل العصور التاريخية وفيها بقايا كثيرة تعود للالف ٣ ق٠م ٠ وبدأت الازدهار عندما أصبح لها سلالتها الحاكمة المستقلة٠

أسس السلالة الشيخ الاموري نبلانوم (٢٠٢٥ ــ ٢٠٠٥) ق٠م وقد عاصره اشبي ارا ملك ايسين ومؤسس سلالتها (٢٠١٧ ــ ١٩٨٥ ق ٠ م) وبينما لم يحكم نبلانوم سوى مدينة لارسا وجوارها كانت ايسين تسيطر على جنوب سومر بقيادة اشبي ارا وهو اكادي من ماري ٠

خلف نبلانوم اميصوم (٢٠٠٤ ــ ١٩٧٧ ق٠م) ثم سميوم (١٩٧٦ ــ ١٩٤٢) ق٠م ثم جنجنوم (١٩٣٢ ــ ١٩٠٦ ق٠م) ثم ابي ساري (١٩٠٥ ــ ١٨٩٥ ق٠م) ٠ وفي عهد هذين الملكين الاخيرين أخذت لارسا في السيطرة فاحتل جنجنوم مناطق في جبال زاغروس ثم احتل اور واعلن نفسه سيدا على سومر واكاد وبعد بضع سنوات سقطت بيده كل من لغش وشوشان واوروك واصبح شعب جنوب

العراق خاضعا للارسا • أثناء ذلـك كان الملك المشرع لبيت عشتار (١٩٣٤ ــ ١٩٢٤ ق•م) يقف عاجزا أمام طموح جنجنوم وقبل موته سقطت اور وخلعه مغتصب مثله هو ابي ساري •

خلف ابي ساري سموئيل (صموئيل) (١٨٩٤ ــ ١٨٦٦ ق•م) ثم نور ادد (١٨٦٥ ــ ١٨٥٠ ق • م) ثم سين ادينام (١٨٤٩ ــ ١٨٤٣ ق•م) ثم ثلاثة ملوك ضعاف آخرهم سلي ادد الذي ازاحه العيلامــي كودور مبوج (١٨٣٤ ق • م) ووضع ابنه واراد سين (خادم او عبد سين) مكانه (١٨٣٤ ــ ١٨٢٣ ق•م) فكان عهد ازدهار في التجارة والزراعــة وتربية المواشي والتجارة الخارجية ما بين وادي الفــرات ووادي الاندوس في الهنــد •

ثم خلفه ابنه ريم سين (ثور سين) ١٨٢٢ ــ ١٧٦٣ ق • م) الذي شجــع الفنون والاداب فنظمت الاشعار والاناشيد السومرية • واحتل ايـسين عام ١٧٩٤ق • م• وبعد سنتين اعتلى حمورابي عرش بابل وفي ١٧٦٣ هاجم حمورابي مدينة لارسا وقضى على ريم سين بعد أن حكم ستين عاما • وهو أطول حكم في تاريخ بلاد الرافدين •

وقد كشفت حفريات بارو زيقورة ومعبد شفيع لارسا اله الشمس أوتو وقصر نور ادد ومقابر بعض الآثار العائدة للعهدين الكلداني والسلوقــي •

اور (تل المقير) :

موقع مدينة سومرية في جنوب العراق /٢٢٥/ كم جنوب بابل وبضع كم شرق اوروك • تـسميهــا التوراة اور الكلدانيين وتقــول ان ابراهيم الخليل نزح منها الى حران وكانت مركز عبادة القمر (نانا) كان نهر الفرات يجري بقربها ثم غير مجراه فتحولت سن أرض مروية

الى صحراء قاحلة ، فهجرها اهلها • وجرى اول تنقيب فيها عام ١٨٥٤ ثم أعيد التنقيب بعد الحرب العالمية الاولى •

تاسست اور في الالف ٤ ق • م وورد اسم الملك مشانيبادا كأول حاكـم فيها مـع زوجته نينتور • وربما كان مؤسسوها مـن عيلام استوطنوها وانتهى استيطانهم بالطوفان أي انهم ضحايا طوفـان نوح حسب التوراة وبقي قليل من الناس ثم جاء مستوطنون جدد يستعملون النحـاس •

واخيرا اصبحت اور عاصمة مابين النهرين في عصر سلالـة اور الاولى نحو ٢٧٠٠ ق•م ـ ٢٥٠٠ ق•م • وتعود لهذه السلالة مقابر اور الملكية التي نقبها البريطاني ليونارد وولي وفيها كنوز لاتقدر بثمن من الذهب والفضة والبرونز والاحجار الثمينة وأدوات الزينة والزينة النسوية كما نراها في زينة الملكة شبعاد • وتدل على عادات السومريين في دفن ملوكهم « انصاف الالهة » فيدفنون مع الملك حاشيته مـن موظفين وخدم ونساء ليتابعوا خدمتهم له في العالم الاخر مع آلاتهم الموسيقية وآنيتهم الذهبية واسلحتهم الخ ••

أيام السلالة الثالثةالتي بدأها اورنمو عادت أور عاصمةلبلادالرافدين ٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق•م وفي هذه الحقبة نجد فن الهندسة المعمارية في بناء الزيقورات المؤلفة من ثلاث طبقات من الاجر المشوي وفي الاعلى مقام نانا (القمر) اله القمر السومري سيد اور وملكها المقدس •

وتدل التنقيبات ان المهندسين الاوريين كانوا يعرفون العامود والقنطرة والعقد والقبة منذ ٢٦٠٠ ق •م وكل اسس الهندسة المعمارية والزيقورات تبرز كل هذه الاشكال الهندسية بشكل متقدم •

السلالات اللاحقة : لقد دمر العيلاميون مقابر ومعابد السلالة ٣ً غير ان المعابد اعيد ترميمها من قبل من تبع من سلالات ايسين ولارسا واور رغم أن المدينة لم تعد عاصمة لكنها حافظت على مكانتها الدينية والتجارية وكان التدمير عام ٢٠٠٦ ق٠ م وقد خلده الشعراء بمراثيهم٠

ومنذ أيام سرجون الاكادي كان لها صلات تجارية مع الهند ٠ كان ملوك اور ينقلون بضاعتهم الى دلمون (البحرين) وهناك يقايضون على بضاعة الشرق الاقصى ٠

كانت بيوت المواطنين الخاصة في عصر لارسا وحمورابي (وهي الفترة التي يفترض أن ابراهيم عاش فيها في اور) مريحة ومبنية جيدا من طابقين كما هي بيوت الطبقة العليا في بغداد والبصرة حاليا ٠ بالاتساع وعدد الغرف وموافقتها للمناخ ٠ وخلف كل بيت كان يوجد معبد صغير للصلاة لاله العائلة وتحت أرضه يدفن افراد العائلة ٠

بعد زمن من الاهمال نهضت اور في العصر الكلداني ايام نبوخذ نصر ٢ً (٦٠٥ ــ ٥٦٢) ق٠م الذي أعاد بناء المدينة ورمم المعابد وكيف الهندسة لتلائم التقاليد الاجتماعية ٠ وأيام نبونيد آخر ملوك بابل (٥٥٦ ــ ٥٣٩ ق٠م) أعيد بناء الزيقورة ولكن هذه المرة من سبع طبقات بدلا من ثلاثة مع بناء درج حلزوني وأصبح ارتفاع هذا الاثر /٤٩/ مترا ٠

وآخر من بنى في اور هو كوروش الفارسي الذي أراد ان يرى احترام الفرس لآلهةالشعوب المغلوبة٠ وبقيت اور حتى ايام ارتحشستا ٢ً (٤٠٤ ــ ٣٥٨ ق٠م) وربما في تلك الفترة غير الفرات مجراه فجفت اور وتحولت حقولها الى صحراء فهجرها أهلها ٠

أريدو (تل او شهرين) ٢٢ كم جنوب اور في منطقة الناصرية حسب ثبت الملوك تعتبر اريدو اقدم المدن السومرية لكنها ثاني المدن المقدسة بعد نيبور كان يمر فيها فرع من نهر الفرات ويصلها ببحيرة حمار ولا تزال فيها زيقورة امارسين منذ / ٢٠٥٠ ق٠م / ويمكن رؤيتها من بعد عدة اميال في الصحراء ٠

يدل التنقيب انها تأسست في الالف ٥" ق٠م وقبل وجود الكتابة فيها معبد اله الحكمة والمياه العذبة انكي سيد اريدو وهي مسرح اسطورة ادبا وسقوط الانسان التي تدل ان المدينة كانت يوما ما على ساحل الخليج وليست بعيدة الى الشمال كما هي الان : كان السكان يتعاطون الزراعة وصيد الاسماك وبقيت المدينة مأهولة حتى /٦٠٠/ ق٠م غير أن أهميتها تضاءلت في العصور التاريخية ٠

ماري اطلال مدينة سومرية ثم امورية في موقع تل الحريري/١٠/ كم شمال غرب بلدة أبو كمال /١،٥/ كم غرب الفرات وكانت قديماً على ضفته جنوب مصب الخابور ٠ دمرها حمورابي وفقدت نهائيا الى أن كشفها الاثري الفرنسي اندري بارو ١٩٣٧ — ١٩٣٩ وأهم آثارها قصر زمري‌ليم ومكتبته ومعبد عشتار ٠

أسس السومريون ماري في الالف /٣"/ ق٠م ويذكر ثبت الملوك السومريين أسماء ستة ملوك حكموا /١٣٦/ عاما ٠ ولما تغلب سرجون الاكادي على لوجال زاغيزي حاكم سومر /٢٣٥٠/ ق٠م احتل ماري ونهبها وهو في طريقه لاحتلال شمال سوريا حتى البحر وكانت ماري آنذاك عاصمة ولاية تابعة لمدينة اور ٠

نحو /١٩٠٠/ ق٠م احتلها الاموريون من منطقة حلب وجعلوها عاصمة امورية تمتد على الفرات من الخابور الى عانة ٠ وكان أول ملك اموري عليها هو يغيد ليم نحو /١٨٥٠/ ق٠م ثم يحدون ليم

نحو /١٨٣٠/ ق٠م الذي قام بحملات حتى المتوسط ٠ ثم اغتالـه خدمه واحتل الملك الاشوري شمشي ادد (١٨١٤ ــ ١٧٨٢ ق ٠م) ماري وعين ابنه اشمي داغان على ايكا للاتوم على الفرات الاوسط وابنه الاخر « يسمح ادد » على ماري وقد وجدت في ماري /٣٠٠/ لوحة عن تلك الحقبة ٠

وكانت قبائل البدو ثلاث كبرى حول ماري هي : حنّو وبيناميا الذين تعاونوا مع الاشوريين والسوتو(اسلاف الاراميين)الذين ألفوا العصابات لنهب القوافل والمدن وكان على الاشوريين استعمال القوة الرادعة معهم بشكل دائم ٠

ولما اعتلى العرش البابلي حمورابي كان شمشي ادد وابنـاه يحكمون آشور وايكللاتوم وماري وبعد موت شمشي ادد عام ١٧٨٢ جرى انقلاب في ماري ضد يسمح ادد وتسلم الحكم سلالة وطنية بقيادة الملك زمري ليم بن يحدون ليم بمساعدة اموريي « حلبو » ٠

اقام زمرىليم (١٧٧٩ ــ ١٧٦١) صداقة وطيدة مع حمورابي (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق ٠ م) وتبادلا المعلومات وحكما معا على وادي الفرات وكلاهما اموريان ٠

وفي السنة /٣٢/ لحمورابي هاجم صديقه القديم زمرىليم فخضع له وبعد سنين قام عصيان في ماري ضد حمورابي فهدم اسوار المدينة ونهب قصر زمرىليم واحرقت المدينة /١٧٥٩/ ق٠م ودمرت الى الابد ٠

وقد وجد في قصر زمرىليم /٢٠٠٠٠/لوحة مكتوبة باللغة

المسمارية الاكادية منها رسائل ملوك وموظفين ووثائق تجارية واقتصادية وادارية •

في المدينة بقايا ابنيةمن عصر جمدةنصر /٣١٠٠/ ق•م وزيقورة ومعابد اشتار وننهورساج وداجان • وفي ارشيفها ذكر لعربات يجرها الحصان وأكل الجراد وان النار كانت تستعمل للانارة والدفاع •

اللغتان السومرية والاكادية

اللغة السومرية هي أقدم لغة مكتوبة بـدىء بكتابتها قبـل /٣١٠٠/ ق•م • وكانت الكتابة المسمارية تتألف من /٣٥٠/ مقطعاً أو كلمة • وازدهرت في الالف ٣´´ ق•م ونحو /٢٠٠٠/ ق•م حلـت مكانها الاكادية لغة الحكام الساميين كلغة مخاطبة لكنها بقيت تستعمل كتابيا خاصة فيما يتعلق بالدين والعبادة ولم تنشر خارج بلادها لكـن حضارتها كانت أهم وأكثر اتساعاً بكثير بالنسبة لعدد الناطقين بها • وانتهت اللغة السومرية كلغة رسمية بسقوط سلالة اور ٣´´ نحـو /٢٠٠٦/ ق•م• لكن في سومر المجزأة الى دويلات والتي اصبحت محكومة من قبل قبائل مختلفة من الاموريين القادمين من سورية أخذ أهل الفكر يعملون على انقاذ الادب والعلوم السومرية والميتولوجيا والاناشيد والرياضيات والطب بتدوينها على ألواح بلغتهم • لـذا حافظت اللغة السومرية على قيمتها العلمية والدينية والادبية رغم انها لم تبق لغة مخاطبة •

وامتد استعمال الكتابات السومرية المسماريـة الى الحثيـين والكنعانيين حتى انقراض تلك الحضارة في القرن ١´´م وقد اقتبس الاغريق من حضارة سومر ما حفظ الاكاديون والبابليون والكلدانيون خاصة الميتولوجيا كما اقتبس الفرس الساسانيـون والشرق الاوسط هذه الحضارة وبذلك امتدت الى جذور الحضارة الاوروبية •

ولم يمكن تصنيف اللغة السومرية مع احدى العلائات اللغوية

المعروفة وشملت اصواتها أربعة أحرف صوتية وخمسة عشر حرفاً صامتاً ولم تفرق بين الفعل والاسم بل يفهم المقصود من مجمل التركيب اللغوي • وكانت تنقسم لعدة لهجات منها اللهجة الرسمية واللهجة الدينية المستعملة في نظم التراتيل والاغاني •

ولما تطورت كتابتها في بضعة قرون اصبحت صوتية وامكن التعبير بواسطتها عن الافكار الادبية والتاريخية ودونت بها عشرات ألوف الالواح التي بدىء باكتشافها في نيبور ثم في باقي المدن السومرية •

ويمكن تمييز أربعة مراحل تاريخية لتطوير اللغة السومرية •

١ ـ السومرية القديمة من / ٣١٠٠ ـ ٢٥٠٠ ق•م / وهي أول سومرية مكتوبة وهي كتابات تجارية وادارية ومدرسية وغير مفهومة بوضوح حتى الان •

٢ ـ السومرية الكلاسيكية من ٢٥٠٠ ـ ٢٣٠٠ ق•م ومعظمها من كتابات حكام لغش والى جانب الكتابات الادارية والتجارية نجد الكتابات الخاصة والرسمية والتراتيل • ولغتها مفهومة من أجل ايجاد معجم سومري وصرف •

٣ ـ السومرية الجديدة ـ عند قيام الامبراطورية الاكادية ٢٣٥٠ ـ ٢٢٣٠ ق•م ، حلت لغتها السامية محل السومرية وتوقفت عن الانتشار واحتجزت ضمن حدود بلادها• ولما انتنت الامبراطورية السرجونية انتعشت السومرية من جديد وكتبت بها ألوف الالواح الادارية وانتهت نحو / ٢٠٠٠ / ق•م ـ عندما تمكنت موجات جديدة من الساميين من القضاء على سيادة اور٣" واقامة سلالات سامية حاكمة في ايسين ولارسا وبابل •

٤ ــ البابلية القديمة ــ عندما سيطر الساميون واصبحت بابل الامورية اعظم العواصم وفقد السومريون هويتهم السياسية بدأ اختفاء اللغة السومرية من المخاطبة وبقيت فقط في الكتابة المسمارية واصبحت الكتابات الملكية بلغتين سامية وسومرية • ولكن دونت بعض المقطوعات الادبية السومرية القديمة في هذه المرحلة وبقيت حتى القرن السابع ق•م•

ومع ظهور المسيحية كانت قد اختفت اللغة السومرية ومعها الكتابة المسمارية واصبح اسم سومر في طي النسيان مدة ألفي عام حتى اكتشفت في القرن ١٩ م •

وأما اللغة الاكادية فهي أقدم لغة سامية محفوظة في الخط المسماري • وهي لغة العراق خلال الفي عام ق•م • استعمل الاكاديون الخط المسماري السومري وأقدم كتابات آكادية تعود لبدء الالف ٣ ق•م بشكل أسماء أشخاص وبعض الكلمات المستعارة وبعض الكلمات المستعارة الموجودة من آن لاخر ضمن النصوص السومرية• وأقدم نص آكادي أتى من ماري القرن ٢٥ ق•م •

وعندما قامت الامبراطورية الاكادية على يد سرجون انتشرت اللغة في كل الامبراطورية من سواحل المتوسط حتى الخليج الفارسي• وفيما عدا كبوة اصابتها في عهد سلالة اور ٣ اصبحت الاكاديةلغة المخاطبة في كل العراق واصبحت السومرية لغة الادب والدين •

واللغة الاكادية القديمة تشمل ثلاث حقبات ــ ما قبل سرجون ثم العهد السرجوني ثم عهد سلالة اور ٣ • وبعد سقوط هذه السلالة انقسمت الاكادية الى لهجتين الاشورية في الشمال والبابلية في الجنوب • ولكن في العصر الاشوري الاخير كانت اللهجة البابلية هي المستعملة عند الاشوريين في تدوين الادب والتاريخ والدين ثم عمت

اللهجة البابلية كل الشرق الادنى واصبحت لغة دولية تمتد من مصر الى عيلام والاناضول •

وعند تأسيس الامبراطورية البابلية الحديثة أي الكلدانية اخذت الارامية تحل مكان الاكادية منذ /٥٣٩/ ق•م واقتصرت البابلية على الادب والفلك والرياضيات •ومع بدء العصور المسيحية انقرضت اللغة البابلية وضاعت حتى اكتشافها حديثا وفك رموزها في النصف الاول من القرن ١٩م •

وبعكس كل اللغات السامية التي حوت ٢٢ ـ ٣٠ حرف والمنبثقة جميعا من سورية فان الكتابة الاكادية بدأت في سومر •

تتألف الاكادية الكلاسيكية من عشرين صوتا هي أ ب د ج ح خ ك ل م ن ف ق ر س ص ش وثماني أصوات ايَ ايِ وُ طويلة وقصيرة • (فتحة كسرة ضمة) وللاسم جنسان مذكر ومؤنث ومفرد ومثنى وجمع وثلاثة حالات ـ فاعل ومفعول به ومضاف اليه •
ويركب المؤنث من اضافة ت او ات الى الاسم المذكر ويصاغ الجمع بتطويل حرف العلة مثل كلبم (كلب) كلبو (كلاب) كلبتم (كلبة) كلب تو (كلبات) •

ثم صيغ الجمع المذكر باضافة مقطع ارتوى ونهاية الفاعل و المفعول به والمضاف اليه إي رفع ونصب وجر ، كلبُم ، كلبَم ، كلبِم •

آ	ماء	سومري
آب	بقرة	سومري
ابسو	الهاوية	سومري
ابسو	المياه العذبة	آكادي

أزميا	خبير (استاذ مدير مدرسة)	سومري
اتو	العنكبوت	سومري
ايتل	بطـــل	
أدبا	مدرسة	سومري
أزويرانو	عصفر (اصفرانو)	أكادي
أسوتو	طب	أكادي
أشيرتو	معبـــد	أكادي
الكوم	اقطاع ملك	أكادي
أمات شاري	كلمة الملك	أكادي
أمارجي	الحريـــة	سومري
أماني	خبراء	سومري
آن	العلي السماء	سومري
إن	سيد رب	سومري
أناكوم	تنك قصدير	أكادي
أنتين	الشتاء	سومري
أنزي	حاكـــم	سومري
أنش كرا	حصان (كر اجنبي أوحمار اجنبي)	سومري
أور	مدينة تـــور	سومري
أوكو	شعب ، سكان	سومري
أوكين	مجمع ، مجلس	سومري

أي	بيت	سومري
أيجال	هيكل (البيت العظيم) قصر	سومري
ايش	مزار	سومري
ايشاكو	حاكم	آكادي
ايكلوم	هيكل قصر	آكادي
ايمش	الصيف	سومري
ايني	الرب	سومري
اينو	رئيس الكهنة	سومري اكادي
باب	باب	آكادي
باب ايلي	بابل باب الله	**آكادي**
بيار	أبيض فضة	سومري
بحيروم	بحار	آكادي
بلتو	وزن ٦٠ مانا (٣٦ كغ)	
بنوتي	خليفة	آكادي
بيتو	بيت	آكادي
بيت مومي	بيت المعرفة (المدرسة)	آكادي
بيل	بعل رب سيد	آكادي
بيل فحاتي	مدير منطقة	آكادي
تا	آله	سومري

ترتانـو	قائد عـام	أكادي
ترجمانـو	ترجمـان	أكادي
تمينـو	أساس	أكادي
تـوم	يأتي يجلب	سومري
تـو	مولدة	سومري
تـي	حياة ضلع سهم	سومري
جـار	قياس ١٢ ذراع	سومري
جانـا	أرض	سومري
نجسيما	المساواة	سومري
جصو	جص أو جفصين	آكادي
جهلو	كحل	آكادي
جـوب	يقف	سومري
جـود	ثور	سومري
جـور	كيل يساوي	سومري
جـولا	غوله	سومري
جيمي	أمه	سومري
جين	يذهب	سومري
نجينـا	العدل	سومري
دنجر	اله	سومري

دو	يمشي ــ قدم	سومري
دوج	يتكلم	سومري
دورو	حصن	آكادي
دومو	ولد ــ طفل	سومري
دينات شاريم	قرارات ملكية	آكادي
ردوم	شرطة	آكادي
ريــم	نور	آكادي
زقارو	يبني	آكادي
زقاقيف	عقرب	آكادي
زقموك	سنة جديدة (اكيتو)	سومري
ساج	رأس	سومري
سال	حضن ــ عورة	سومري
سمانا	حميرة الزرع (مرض فطري)	سومري
سنجا	رئيس الكهنة	سومري
سهورو	مزار مقام	سومري
ســوم	ثوم (توم)	آكادي
سيسو	حصان	آكادي
شار	ملك	آكادي
شاركل شاري	ملك الملوك	آكادي

شام	ســن	آكادي
شتامو	مدير	آكادي
شركو	شخص منذور (نذير)	آكادي
شقلو	مثقال (١٠غ)	آكادي
شكنو	حاكم‌وال (معين)	آكادي
شــه	شعير	سومري
شيم	صمغ	سومري
صبيتوم	صبيه ساقية خمر	آكادي
قانــو	قصب	آكادي
قــرنو	قرن	آكادي
قلومو	حمل	آكادي
قيفو	وقاف مراتب	آكادي
كــا	فم ، باب	سومري
كاجال	بوابة	سومري
كسلماخو	حرم المعبد	آكادي
كلام	بلاد	سومري
كلبوم	كلب	آكادي
كودورو	حجــر الحــدود(حجر الطابو)	آكادي
كــور	جبل الجحيم	سومري

كي	الارض	سومري
كــو	يأكل	سومري
لحمــو	طين طمي	آكادي
نــو	رجل انسان	سومري
لوجال	ملك ــ الرجــل لعظيم	سومري
لوكنجي	رسول	سومري
ليمو	رئيس	آكادي
ليل	الهواء	سومري
مانا	وزن /٦٠/ مثقال	سومري
ماه	مبجل عظيم	سومري
مدتو	جزية	آكادي
مرو	مر	آكادي
موشن	طير	سومري
مومو	غيوم ــ ضباب	آكادي
مونوس	امرأة	سومري
مي	ناموس	سومري
ميشاروممشاروم	ارادة ملكية	آكادي
ناج	يشرب	سومري
نارام	حبيب	آكادي

نام انزي	امارة	سومري
نام لولو	انسانية	سومري
نجار	نجار	آكادي
نفطو	نفط ـ بترول	آكادي
نمو	بحر	سومري
نندا	طعام	سومري
نوبندا	مفتش عام	سومري
نـون	نهر	سومري
نين	سيدة	سومري
ها	سمكة	سومري
هورساج	جبل	سومري
واراد	خادم ـ عبيد	آكادي
يومو	يوم	آكادي
ورخو	الشهر القمري	آكادي

الحضارة السومرية

الحضارة بعكس البداوة ومن شروطها الاستقرار السكني في القرى والمدن ومن مقوماتها درجات متفاوتة من التكنيك والثقافة والتنظيم • وكما أن لها وجهها المادي ووجهها الفكري وكذلك لها ووجهها القومي ووجهها الانساني الشامل •

لقد بدأ الانسان غير متحضر لا يختلف عما يحيط به من عالم الحيوان • لم يكن له بيت أو لباس أو لغة ، وكان يعيش يومه باحثا عن القوت من أجل البقاء واشباع الغرائز لكن اكتشافنا بأن أجدادنا القدماء لم يختلفوا في عيشهم عن باقي الحيوانات يطرح أمامنا تساؤلا جديدا ـ كيف تطورت قوى الانسان العقلية ليقوى على التفكير والابداع فيخرج من طور الحيوانية ويبدأ عملية التحضير ،ان الانسان ما يزال حيوانا بحاجته البيولوجية فعليه أن يأكل وينام ويدافع عن وجوده ويتوالد ليحافظ على جنسه لكن الحضارة التي ابتدعها بما فيها من لغة ودين ومعتقدات وأخلاق وفنون وتكنيك وتنظيم لا تنتقل بيولوجيا بل عن طريق التعلم والاقتباس • اننا نولد أطفالاً غير متحضرين فنكتسب المقومات الحضارية من المجتمع الذي نترعرع فيه ويفرض علينا هذه المقومات في نحو ١٣ عاما من سني حياتنا •

لقد تطورت حياة الانسان ببطء خلال مئات آلاف السنين دون تبدل يذكر الى أن ابتدع اختراعات شكلت منعطفات جذرية وثورات حضارة •

والحضارة الاولى هي حضارة ما قبل التاريخ عندما اخذ ينتقل من الصيد الى الاستقرار في القرى الزراعية في بدء العصر الحجري الحديث ــ انشأ الانسان البيوت بدل الكهوف وبدأ بالغزل والنسيج وصناعة الاواني الخزفية والري وتدجين الحيوان ــ بذلك أمن معيشته المستقرة وكان ذلك في وادي الفرات نحو /٨٠٠٠/ ق٠م٠ او اكثر ودام حتى نحو / ٣٥٠٠ /ق٠م ٠

ثم كان اختراع الكتابة لتخزين المعرفة ونقلها من بيئة لاخرى ومن جيل لآخر ٠ ان اختراع الكتابة كان منعطفاً وثورة نقلت الحضارة الى العصور التاريخية ، وبعد قليل كان اكتشاف المعادن بدءاً بالنحاس فكانت ثورة في التكنيك وحدث الانعطاف الحضاري الكبير في الالف ٤" ق٠م ٠ فبدأ الانسان في توسيع القرى الى مدن نحو /٣٠٠٠/ ق٠م حيث يعيش المتخصصون المتفرغون الذين لاينتجون زراعيا من صناعيين وحرفيين وكهنة وتجار وكتبة وأدباء وفنانين وحكام فيجب ان يكون هناك ريف زراعي ليعيل سكان المدن ٠

ولئن كانت في العالم القديم مراكز حضارية رائدة حول الانهر كما في وادي النيل ووادي الاندوس الا ان حضارة حوض الفرات كانت الاسبق ثم بدأت الحضارة التاريخية في سومر في الجنوب حيث بدأت الكتابة ٠

وفي دراسة الحضارة السومرية نجد اوائل الاشياء من مقومات الحضارة في التكنيك والفنون والاداب والسياسة كما نجد اولى المدارس واولى المحاكم واولى التقاويم ٠ كما نجد اقدم ميتولوجيا ودين واخلاق وحكم ٠

التكنيك : ان تمركز الارض واليد العاملة حول المعبد هو الذي قاد الى التقدم الاقتصادي والتكنيكي في الالف ٤" ق٠م ٠ وكان من

أعظم المنجزات السومرية الري والزراعة • فقد بنى المهندسون الأقنية والسدود والخزانات واستعملوا أدوات التسوية والقياس والخرائط وكانت حساباتهم مرتكزة على الرقم /٦٠/ كما وحدت المكاييل • وحل المحراث مكان المجرفة كما وجدت لدى السومريين مدارس لتعليم الزراعة وصناعة المعادن والتبييض والصباغ وصناعة البويا والاصبغة وأدوات التجميل والعطور واستعمل الاطباء مشتقات النبات والحيوان والمعادن في تحضير الادوية •

كما اختصت اليد العاملة التي خرجت من القطاع الزراعي • فاخترع دولاب الخزافي الذي سمح باتناج الجملة • وتقدمت صناعة المعادن وخاصة النحاس واخترعوا الدولاب والعربة باربعة دواليب والمركب الشراعي وحجر الرحى •

والسومريون هم الذين اوجدوا النظام الستيني ومنه نقسم الساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية والدائرة الى /٣٦٠/ درجة وهم أول من بنى القنطرة والقبة والعقد • والتجارة الخارجية جلبت الى سومر الخشب والحجارةوالمعادن كالفضةوالذهب واللازورد التي تفتقدها تلك المنطقة كما تم اختراع الاختام الاسطوانية فكانت بدء الايقونات وفوق كل شيء اخترعوا الكتابة وسيلة لتخزين المعرفة ونقلها من بلد الى آخر ومن جيل الى جيل •

الفن المعماري : أوحى للسومريين مفهومهم الديني بناء المعابد فكانوا أول من وضع فن الهندسة ولئن بدأت الهندسة دينية ثم مدنية فان جذورها تمتد في العصر الحجري الحديث (معبد اريدو من عصر تل العبيد) ، ثم الانتقال لبناء المدن كما نرى في أوروك الطبقة الخامسة والرابعة والثالثة ــ وهو عصر فجر التاريخ والانتقال من العصر الحجري

الحديث . وقد بنوا ازواج من المعابد في أحياء دينية بمقاييس كبيرة فيها الاعمدة والموزاييك والتلوين .

وقد سبق ذلك صنع الاختام الاسطوانية التي هي نوع من الايقونات . ثم ظهر فن صناعة المعادن في مقابر اور ثم هندسة القصور الملكية التي ظهرت مع التطورات السياسية . ثم ظهرت تبدلات عميقة في الفن السومري في العصر الاكادي وبعدها في عصر النهضة السومرية الذي لحقه مع محاولة العودة الى الفن السومري الاصيل .

وبتحسن بناء المعابد وزينتها بدأ السومريون بصنع التماثيل والصور . كانت التماثيل غير جميلة ولا تمثل شكل انسان معين ولا السومريين بشكل خاص لان الساميين كان لهم نفس التماثيل رأس مدور وأنف بارز مستقيم ورقبة قصيرة . وكان الحاكم يعرف من كتابة « ان » أي سيد على التمثالوالتي ظهرت في أواخر الالف ٤" ق.م ثم عممت لتشمل الالهة والحكام . وكان الحكام في هذه الحقبة يسكنون المعابد وبيدهم السلطة الدينية والعسكرية ويسيرون على تقاليد القدماء وعلى مافي الكتب . ومن منجزات فن النحت السومري « سيدة أوروك » وهو من الرخام الابيض من بدء الالف ٣" ق.م و « آلهة الخصب » من ماري و « المرأة ذات المنديل » من لغش و « مسلة الطيور » ، من لغش ، و « علم اور » .

كما عمموا منذ بدء الالف ٣" ق.م صناعة الذهب والكهرباء والفضة والنحاس والبرونز . ولقايا مقابر اور تضارع ما وجد في قبر توت عنخ امون . بينها آلات الطرب وحلى الملكة شبعاد .

مقابر اور : اخذ لبونارد وولي بالتنقيب في موقع مدينة اور عام ١٩٢٧ و ١٩٢٨ فاكتشف المقابر الملكية التي تعود لنحو /٢٧٠٠/

ق•م • وعددها /١٦/قبرا عرف منها قبر «مسكلام دوغ» و « اكلام دوغ » والملكة « نينباندا » والملكة « شبعاد » وقد أعيدت قراءة اسمها « يو آبي » •

في قبر شبعاد وجدت مجموعة كبيرة من الاواني الذهبية ونموذجين لقوارب الفرات بطول /٦٠/ سنتم احدهما من النحاس والآخر من الفضة • ولباس الرأس العائد للملكة • وهو « بروكة » عليها حجارة ثمينة من الياقوت واللازورد وأوراق من الذهب وزهور وحلقات من الذهب وتـاج كعرف الديك مـن الذهب المطعم باللازورد وشريط حلزوني مـن الذهب يزين اصداغ الملكة • كما وجد وولي في قبر شبعاد صفين متوازيين من النساء وهيكل عظمي يعود لرجل هو لاعب القانون وقد زينوا هـذه الآلة الموسيقية القديمـة برأس ثور مـن الذهب المطعم باللازورد •

الموسيقى : في سومر اخترع اول نظام موسيقي وكان للموسيقى السومرية ـ الكلدانية اثرها البالغ على الحاضرة الاغريقية والمصرية والرومانية والمسيحية • وقد نظموا المزامير والدعـاءات والاناشيـد والاغاني مع اللوازم والملاحم •

وآلات العزف الكثيرة والتي ترقى الى الالف ٤ ‍ ق•م منها آلات الاوتار والهواء والقرع ـ كالقانون الافقي والقانون العمودي من ٤ و ٩ و ١٢ وتراً والبزق برقبة طويلة وثلاثة أوتار والناي والارغول المستقيم والمخروطي والطبل والطبيلة والاجراس • لقـد استعملـت الموسيقى في المعابد والقصور كما وجدت اوركسترا كاملة في احـد قبور اور •

التقويم : لقد احتاج الانسان القديم الى تقويم لتعيين المناسبات

الدينية وحفظها ، ولما استقر احتاج التقويم لاسباب اخرى زراعية وتجارية • والانسان المعاصر قد قسم الزمن لدورات اصطناعية بينما الانسان القديم كان يتبع الدورات الطبيعية واوضحها تناوب الليل والنهار واشكال القمر في الدورة القمرية •

كانت اشكال القمر هامة لتوافق الدورة القمرية مع الدورة الطمثية عند النساء كما كانت هامة بالنسبة للصيادين • والمظاهر الطبيعية الاخرى التي استعملت في التقويم كظهور اوراق الاشجار وعادات الحيوان وهطول الامطار وفصول الجفاف والفيضانات الدورية للانهر لم تكن مضبوطة زمنيا كالليل والنهار ودورة القمر • وقد راقب الانسان القديم النجوم في الليل وراقب تجمعاتها واعطاها اسماء حيوانات معروفة او الهة او الهات او ابطال وبطلات اومخلوقات ميتولوجية • وبدراسة التجمعات النجمية امكن معرفة خط سير القمر والشمس وامكن معرفة أية مجموعة من النجوم تقع فيها الشمس كما امكن بدراسة ظلال الاشجار او العصى المغروسة عموديا في الارض معرفة الارتفاع الاعلى للشمس تجاه خطوط العرض • ودراسة اطوال القمر يتتبع ظهور القمر الجديد حتى اختفائه وظهوره ثانية •

والسنة القمريـة تساوي /١٢/ دورة قمرية أي /٣٥٤/ يوما أي اقل ب ١١¼ يوما عن السنة الشمسية • وبسبب أهمية السنة القمرية دينيا وأهمية السنة الشمسية زراعياً جرت محاولات للتوفيق بين التقويمين واستصلاح التقويم القمري •

وقبل فجر التاريخ ظهر تقويسان فيما بين النهرين أحدهما يعتمد الحركة الدورية للشمس والقمر والنجوم والاخر يعتمد النمو الدوري للنباتات والمواسم • الاول ساد بين الاقوام التي كانت تعبد الاجرام السماوية والاخر ساد بين الفلاحين الذين عبدوا آلهة الخصب

والزراعة • ومع ظهور الكتابة في فجر التاريخ بدأ تسجيل احصائيات وجداول بهذه الملاحظات الدورية •

١ ـ الوحدة الزمنية هـو اليوم ويدعي بالسومرية « اود » وبالاكادية « يومو » يبدأ اليـوم بالمغيـب من /١٢/ ساعـة مزدوجة (برو) وقد استخدمت ساعات مائية لقياس الوقت •

٢ ـ الوحدة الزمنية الثانية كانت الدورة القمرية او الشهـر القمري واسمه بالسومرية « ايتي » وبالاكادية « ورخو » وهو / ٢٩/ أو /٣٠/ يومـا •

وكلمة شهر التي نستعملها حاليا تأتي من « شهر » اله القمر الارامي •

٣ ـ السنة كانت ستة أشهر قمرية لان في جنوب بـلاد الرافـدين لوحظ كسوف القمر كل / ٦ / دورات تقريبا وحسبوا ان اله القمر كان يذهب الى العالم السفلي فاقاموا الاحتفالات بهذه المناسبة وبقيامة اله القمر من الاموات (بظهور القمر الجديد) كانت تبدأ سنة جديدة • فكانت السنة سنتين من ستة أشهر الاولى تبدأ من نيسانو والثانية تبدأ في تشريتو •

وفي العصور التاريخية الاولى اصبحت السنة في مختلف المدن الدول /١٢/ شهراً قمرياً أي /٣٥٤/ يوما توافق مع الفصول بأن يضاف شهر من وقت الى آخر كي لاتصبح المواعيد الزراعية دوارة • وعدد اسماء الشهر في التقويم السومري تمثل نشاطاً زراعياً مثـل الشهر ١٢" « ايتي شيغورتو » شهر الحصاد • فان لم تنضج الحبوب في الوقت المتوقع أضيف « شهر » « ايتي ديريغ » وكان لكل من المدن السومرية اسماءها الخاصة بالاشهر •

وعندما توحدت دويلات مابين النهرين بقيام المملكة البابلية (١٩٠٠ ـ ١٦٠٠ ق٠م) أصبحت الاسماء الاكادية البابلية هي المستعملة بدل السومرية والاشهر المضافة كانت اولولو ٢ً (ايلول) أي دوبلة وآذار ٢ً (آذار) الشهرين ٦ و ١٢ ٠ ويسمى الشهر السابع تشريتو (تشرين) أي « البدء » تذكيرا بان السنة كانت ستة أشهر فقط كما تقدم ٠

وعند السومرين والاكاديين كانت ترقم السنون حسب احداث هامة ٠ وكانت السنة البابلية تبدأ باحتفال « اكيتو » تكريما لمردوخ يدوم /١١/ يوماً مع احتفال في منتصف كل شهر (ايسينو) وبعض الايام نظر اليها على أنها مصدر شؤم وهي الايام ٧و١٤و٢١و٢٨ من كل شهر وهي مقاسيم الرقم سبعة والامتناع عن القيام ببعض النشاطات بمناسبتها يبدو سببا لتقسيم الايام الى اسابيع من سبعة أيام ٠

وأسماء الاشهر الحالية في الهلال الخصيب امتداد لاسماء الاشهر السامية القديمة خاصة الاكادية وقد حفظت عبر اللغة الارامية مرتبة في تقويم ميلادي ٠

الرقم	سومري	آكادي
١	بارزغا	نيسانو
٢	غوسي سا	ايارو
٣	شيغ غا	سيمانو
٤	شونومون	ودأوزو
٥	ني ني غار	آبو
٦	تين نيني	أولولو

٧	دوكو	تشريتو
٨	ابين دوا	أرخ سما
٩	غان غان	كيسليمو
١٠	أب باي	تبيتو
١١	زيزآم	شباطو
١٢	تي كين كور	آدارو

الحضارة الاكادية : لقد تبنى الاكاديون جميع مقومات الحضارة السومرية مع اعطاء اسماء وتعابير سامية • الا أن السلالة الاكادية كانت في انشغال دائم في تطوير اقتصاد الامبراطورية وكما نرى من ألواح المعاملات التجارية فان الاقتصاد قبل سرجون كان يدار من المعابد وهي التي كانت تملك وتستخدم وبعد سرجون أصبح القصر يسيطر على الاقتصاد الى جانب الملكية الخاصة•

وفي تطوير الزراعة عممت قنوات الري في شبكات تشمل كل بلاد الرافدين وكانت قبلا تقتصر على سومر في الجنوب • كما نرى على ختم اسطواني يعود لذلك العهد صورة لرافعة الماء ويمكنها أن ترفع الماء أربعة أمتار كما تعمم استعمال البرونز من القصدير والنحاس من أجل صنع الاسلحة والادوات الفنية • وبلغت التجارة مع وادي الاندوس الاوج وكان لقاء التجارتين والحضارتين في دلمون (البحرين)• وكما أن نظام الامبراطورية الاكادي بحلوله مكان نظام المدينة الدولة السومري اسرع في تطوير الاقتصاد والتجارة كذلك أسرع في تطوير الفنون فنرى ذلك جليا بين عهد سرجون ونارامسين •

لكن هندسة القصور الملكية لانجدها الا في قصر نارام سين على

الخابور في تل براك ــ طوله ١١٠×٩٢ م وفيه اربعون غرفة و ٦باحات داخليــة بمدخل واحد وسماكة الجدار عشرة أمتار • مما يوحي بأن القصر لم يكن مجرد بيت الملك بل حصنا في آن واحد ليحمي النقل الى الاناضول •

ومن اعمال الفن مسلات النصر واسلمها مسلة نارامسين لتخليد انتصاره على اللولوبي

كما ان الاختام الاسطوانية طورت واصبحت أكثر دقة في العصر الاكادي واعظمها المهدى الى الملــك شاركلي شــاري وبينمــا كان السومريون يكتبون منذ /٣٥٠٠/ق•م لم يتوصــل أهــل الشمال لاستعمال الكتابة لكن السلطة الاكادية نقلتها الى الشمال مع كتاب وتجار الجنوب • فبدأت الكتابة في نوزي (جشور) في الالف ٢ ق•م وآشور ونينوى وتل براك وشغر بازار ومدن الحوريين •

كما أن الاكاديين اقتبــوا الخط المسماري وكيفــوه حســب الحاجة على لغات بعيدة جدا عن الســومرية وأصبحت القيمة الصوتية هي الاساس للكتابة تعبر عن مقطع او كلمة او حرف صوتي • ولعدم العثور على العاصمة حتى الان فليــس للمؤرخين سوى نثرات مــن الادب الاكادي حسبما نقله الحوريون او الحثيون او الاشوريون او البابليون •

التعليم واول مدارس :

بعد الجمود الحضاري الذي اوجده العهد الامــوي واوائل العباسي وتلك الفترة القصيرة من النشاط في عهد المأمون غمــرت الشرق موجات من العهود المظلمة منذ ألف عام حتى غدت اجيالنــا اليائسة تظن أنه منذ القديم لم يكن في بلادنا علمولا مدارس ولاحضارة

ولا انه وجدت في بلادنا اقدم كتابة وأقدم مـدارس وأول معلمـين محترفين • لقد انشئت اول مدرسة في جبل لبنان في زغرتا عام ١٦٨٠! وهي مدرسة ماريوسف ثم مدرسة أخرى في دير القمر عام ١٧٥٢ م • وأول مدرسة عالية كانت مدرسة عين ورقة التي تاسست في غوسطا ١٧٨٩ • مع العلم أن جبل لبنان كان السـابق في ميدان العلم من بين كل البقاع السورية •

لكن ألواح سومر كشفت التاريخ المطموس وبينت ان المدارس نشأت في سومر وكان ذلك امتداد طبيعي لاختراع الكتابة • واولـى الوثائق المكتوبة وجدت في مدينة اوروك وهي نحو الف لوح صغير بالكتابة التصويرية عليها وثائق اقتصادية وادارية وبعضها للتدريس • وهذا أول دليل على وجود التعليم أولـى المدارس في سومـر منذ /٣٠٠٠/ ق•م • وحتى منتصف الالف ٣" كانت قد انشئت عدة مدارس لتعليم الكتابة • وقد اكتشف في شوروباك عـام ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ عدة « كتب » مدرسية ترقى لنحو /٢٥٠٠/ ق•م •

ثم ازدهرت المدارس في النصف الثاني من الالف ٣" ق•م وقد اكتشفت عشرات ألوف الالواح الادارية والاقتصادية وألوف الكتبة المحترفين • من كتبة القصور والمعابد والحكومات ، ولكـن هـذه الالواح لم تكشف عن نظام دراسي حتى النصف الاول في الالف ٢" ق•م ، حيث اكتشفت مئات الالواح وقد كتبها طلاب من كل الصفوف كفروض مدرسية •

ولئن لم يكشف عن مناهج دراسية الا ان بعض الاساتذة كتبوا عن مدارسهم مايمكننا من الاستدلال عن تنظيم الدراسة • كانالهدف الرئيسي للمدرسة ان تخرج العدد اللازم من الكتاب للدولة والمعابد،

ولكن مع التطور وتوسع المناهج اصبحت المدارس مركز العلم في سومر وفيها تعليم اللاهوت والنبات والحيوان والمعادن والجغرافيا والحساب والنحو والادب • وأكثر الكتاب كانوا من طبقة الحكام والاثرياء وفي خدمة القصر والمعبد لكن كثيرين وهبوا حياتهم للعلم والتعليم والبحث وعاشوا من هذه المهنة والطلاب يدفعون رسوم التعليم • لم يكن التعليم عاما ولا الزاميا ومعظم الطلاب تحدروا من العائلات الغنية لان الفقراء لم يكن لديهم الوقت للعلم بدل العمل وفي /١٩٤٦/ برهن الالماني نيكولاوس شنايدر هذا الواقع من ألواح معاصرة لنحو /٢٠٠٠/ ق•م • ووجد اسماء /٥٠٠/ من الكتبة وكثيرون منهم كتبت اسماء ابائهم ومهنهم • فعرف أن اباء الكتبة كانوا حكاما وسياسيين قيمين على المعابد وضباط وتجار وجباة وكهنة من بين مختلف المراتب ومحاسبين وكتبة الخ ••• ولم يذكر من بين الخمسمائة ولا اسم امرأة لذا يستنتج أن التعليم كان وقفا على الذكور • وقد كشف في مدينة لغش عن تمثال لكاتب اسمه « دودو » عاش نحو /٢٣٥٠/ ق•م والتمثال موجود في المتحف العراقي في بغداد وعلى ظهره نقش بالسومرية اسمه وان مهنته هي الكتابة •

كان رئيس المدرسة السومرية يدعى « أميا » أي الخبير ويسمى « ابو المدرسة » والتلميذ « ابن المدرسة » والمساعد « الاخ الكبير » ومهمة مساعد الاستاذ أي الاخ الكبير ان يكتب الواح جديدة لينسخها الطلاب ويفحص الواحهم ويسمع لهم دروسهم •كذلك يوجد معلم رسم ومعلم اللغة السومرية « وصاحب السوط » أو الناظر الذي يحافظ على النظام ومن الالواح التي كتبها الطلاب يمكننا ان نستنتج بأن البرامج الدراسية كانت تحوى قسما في العلم والبحث وقسما في الادب والتأليف •

وفي الالواح اسماء النباتات والحيوانات والحشرات والمعادن والحجارة والمواقع الى جانب الواح في الحساب والنحو • وبعد انتصار الساميين الف الاساتذة القواميس بين اللغتين السومرية والاكادية وهي اقدم معاجم في التاريخ • وفي التأليف اللغوي كان نظم الشعر على آلاف الالواح في قصائد من خمسين الى الف بيت في الاساطير والملاحم والاناشيد للالهة والملوك ورثاء المدن السومرية المدمرة والحكمة والامثال وقصص الحيوان والمقالات •

ومن المدارس المكتشفة واحدة في نيبور واخرى في سيبار وثالثة في اور ويفترض انها مدارس بسبب محتوياتها من اللوحات التدريسية فقط ، ولكن في ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ اكتشف الفرنسيون غرفتي مدرسة في ماري فيها مقاعد من الاجر تتسع لطالب او اثنين او ثلاثة او اربعة •

ومن اطرف الموجودات لوح سومري كتبه معلم نحو / ٢٠٠٠/ ق•م لم يذكر اسمه لكنه يصف نشاط التلميذ اليومي • كان التلميذ يخشى الذهاب متأخرا الى المدرسة فينهض في الصباح ويستعجل أمه في تحضير زاد الغداء • واذا تأخر أو اساء التصرف يضرب بالعصا • ويبدو أن معاشات المعلمين كانت دائما ضئيلة كما هي الان فكان يسر المعلم أن يحصل على بعض الاشياء من الاهل زيادة على المعاش • تقول اللوحة :

« ايها التلميذ الى اين ذهبت منذ الصباح الباكر ؟ »
فيجيب « لقد ذهبت الى المدرسة »

« ماذا صنعت في المدرسة ؟ »

فيجيب التلميذ ما يزيد على نصف اللوحة كالآتي :

« سمعت لوحي ، وأكلت غدائي ، وحضرت لوحا جديدا كتبته

وانهيته ، ثم عينوا لي وظيفة شفوية وبعد الظهر عينوا لي وظيفة خطية، ولما انتهت الصفوف (انصرفت المدرسة) ذهبت الى البيت دخلت ووجدت والدي جالسا هناك • أخبرت والدي عن وظيفتي الكتابية ثم سمعت له لوحي فانشرح والدي • ولما استيقظت في الصباح الباكر واجهت امي وقلت لها » أعطني غداي ، فأنا أريد ان اذهب الى المدرسة • وفي المدرسة قال لي المراقب المسؤول « لماذا تأخرت » وبخوف وبقلب يطرق دخلت الى امام معلمي وقدمت الاحترام » •

ويبدو أن التلميذ قد ضرب من قبل أعضاء هيئة التدريس • وأسوأ من ذلك قال له معلمه خطك غير مرضي ، وضربه بالعصا • فاقترح التلميذ على والده ان يعزم المعلم الى بيته ويلين موقفه ببعض الهدايا • وهذا أول سجل للتملق في التاريخ « استمع الوالد لرأي التلميذ فدعا المعلم من المدرسة ولما دخل البيت اجلسوه في مكان الصدارة وحضر التلميذ يخدمه وكلما تعلم من فن كتابة الالواح عرضه امام والده » •

ثم سقى الوالد المعلم نبيذا وغداه وألبسه حلة جديدة واعطاه هدية ووضع خاتما في يده « أخذ المعلم بهذا الكرم فطمأن الشاب بهذه الكلمات » ايها الشاب ، لانك لم تهمل كلمتي ولم تتركها أرجو لك أن تصل الى قمة فن الكتابة ولتتقنها بالكمال • ولتكن قائدا في اخوتك ورئيسا على اصدقائك ومرتبتك العليا بين الطلاب • لقد اتقنت نشاطات المدرسة واصبحت رجل علم •

انحراف مراهق :

لقد كان الابناء المتمردون العقوقون مشكلة أهلهم منذ القديم كما هم اليوم ، يجوبون الشوارع ويضحبون في الساحات يسيرون في زمر ويسيئون للاداب العامة وكأن احدا لايرى يكرهون العلم والمدرسة

ويزهقون نفوس اهليهم بكثرة التشكيات والمطالب • وقد وجـدت سبعة عشر لوحا وقطعة كتبت منذ نحو /٣٧٠٠/ عاما عن كاتب وابنه الشاذ • تبدأ بحوار ودي بين الاب والابن ينصحه فيها بالذهـاب الى المدرسة والاجتهاد وان يعود الى البيت دون التسكع في الشوارع • وليتأكد الوالد من حفظ الوصية يطلب من ابنه ان يعيد الكلام من بعده • ثم ينتقل الحوار الى كلام الاب منفردا فيأخذ باسداء النصح لعل ابنه يصبح رجلاً ـ ان لايتسكع في الشوارع ان يتضع امام مراقبه ان يذهب الى المدرسة ويتعلم من خبرة الاسبقين • ثم يأخذ الاب في تأنيب ابنه الذي احزنه حتى المـوت بمخاوفه الدائمـة وتصرفاتـه اللاانسانية • وينغم الوالد لعقوق ابنه فهو لم يرسله خلف المحراث والثور ولاطلب منه احضار الحطب ولا ان يعيله كابناء الاخرين ورغم ذلك فانه اقل رجولة من اولائك • ومما يزعج الاب ان ابنه يرفض ان يسير في خطاه ويصبح كاتبا ويطلب منه أن يتبع الكتابة رغم صعوبتها بين المهن وقد ابتدعها اله الفنون والصناعات وهي كما يقول الاب افيدها جميعا لانها تنقل خبرة الانسان ، ولان انليل ملك الالهة قد امر بان يتبع الابن مهنة ابيه • وتنتهي الالواح بأقوال مبهمة فيها بعض الحكم واخيرا يبارك الاب ابنه ويصلي من أجله كي يجد نعمة في عيني الهه الخاص وإله القمر نانا وزوجته الالهة نينجال • وهذه أول وثيقـة تذكر تمرد الابناء وأول وثيقة سومرية نجد فيها كلمة « الانسانية » « ناملولو » السومرية •

يبدأ الاب بأن يسأل ابنه :

« أين ذهبت »

« لم أذهب الى أي مكان »

« اذا كنت لم تذهب الى أي مكان فلماذا تتكاسل »

اذهب الى المدرسة ، وقف امام « ابيك المدرسي » ، سمع ماعين لك افتح كيسك المدرسي واكتب لوحك ، دع « اخاك الكبير» يكتب لك لوحا جديدا . وبعد أن تكمل فروضك وتراجع مراقبك عد الي ولا تتسكع في الشوارع .

والان هل تعرف ماقلت لك :

« نعم أعرف وسأقول لك »

« تعال واعدها لي »

« سأعيدها عليك »

« قلها لي يالله قلها لي »

« قلت لي أن أذهب الى المدرسة وأسمع درسي وأفتح كيس المدرسة وأكتب لوحا بينما أخي الكبير يكتب لي لوحا جديدا وبعد أن أنهي وظيفتي أبدأ عملي وآتي اليك بعد أن أتقدم الى مراقبي ، هذا ما قلته لي » .

ويتابع الاب كلامه مطيلا لوحده .

« تعال الآن وكن رجلا » ، لاتقف في الساحات العامة وتتجول في الشوارع .وعندما تسير في الشارع لاتتلفت في كل اتجاه . كن متواضعا وأبد المخافة أمام مراقبك . عندما تبدي الخوف سيحبك المراقب »

(وبعد تلف نحو ١٥ خطا)

« أنت يا من يتجول في الساحات هل ستحقق النجاح ؟ ابحث عن الاجيال السابقة ، اذهب الى المدرسة، انها ستفيدك . يابني ابحث عن الاجيال السابقة وخذ معلوماتك منهم . »

« أيها الضال من أرعى أنا ـ لن أكون رجلا ان لم أرع ابني ـ لقد بحثت مع أقاربي وقارنت بينهم فلم أجد مثلك بينهم ، « ان ما سأرويه لك يجعل الاحمق حكيما ، ويجمد الافعى كما لو بالتعاويذ ولا يجعلك تقبل الكلام الزائف • لان قلبي طفح بالانشغال عليك ، ابتعدت عنك ولم ألتفت الى مخاوفك وتذمرك ـ كلالم ألتفت لمخاوفك وتذمرك • بسبب صياحك نعم بسبب صياحك ـ غضبت عليك نعم غضبت عليك • لانك لا تنظر الى انسانيتك انتزع قلبي كما لو بواسطة ريح شريرة • ان تذمراتك جلبت النهاية لي ، لقد أوصلتني الى حافة الموت •

« في كل حياتي لم أجعلك تحمل القصب • القصب الذي يحمله الشباب والصغار بحياتك لم تحمله قط • لم أقل لك يوما « الحق بقوافلي » لم أرسلك قط الى العمل . لتفلح حقلي لم أرسلك قط للعمل لتحفر في حقلي لم أرسلك قط لتعمل كالشغيل ((اذهب واعمل واعلني » بحياتي لم أقل هذا لك •

« الاخرون مثلك يعيلون أهلهم من عملهم • لو تكلمت مع أقاربك وقدرتهم لفاخرتهم • كل واحد منهم يقدم عشرة « جورات » من الشعير ـ حتى الصغار يقدمون لابائهم كل واحد عشرة جورات • لقد زادوا الشعير لوالدهم وأعالوه بالشعير والزيت والصوف •أما أنت فانك رجل عندما تأتي الى المشاكسة ، واذا ما قورنت بهم فلست رجلا البتة • أنت بالتأكيد لا تشتغل مثلهم، انهم أبناء آباء يجعلون أبنائهم يعملون ، وأما أنا فلم أجعلك تعمل مثلهم •

« أيها الضال على من أغضب ـ بل من الرجل الذي يمكنه بالفعل أن يغضب على ابنه ـ لقد تكلمت مع أقاربي ووجدت شيئا لم يلاحظ

بعد • الكلمات التي سأقولها لك أخشاها وكن نبيها بسببها • شريكك وزميلك تحت « النير » لم تقدره ــ لماذا لا تنافسه ؟ صديقك ورفيقك ــ لم تقدره ــ لماذا لا تنافسه ، نافس أخاك الكبير ، نافس أخاك الصغير • بين كل صناع البشرية الذين يقطنون البلاد ــ كل الذين أوجدهم الاله انكي ــ لم يخلق فن بصعوبة فن الكتابة • فلولا الشعر ــ لان مثل سواحل البحر ومثل ضفاف القنوات البعيدة هكذا بعد قلب الشعر ــ لما كنت تسمع مشورتي ولا كنت أنا أردد لك حكمة والدي • انه حسب القدر الذي سنه أنليل للانسان أن يتبع الابن عمل أبيه •

« بالليل وبالنهار أتعذب بسببك • الليل والنهار تضيعه في الملذات • لقد جمعت ثروة كبيرة وتوسعت بالطول والعرض ــ لقد أصبحت سمينا وكبيرا وعريضا وقويا ومنفوخا • لكن نسيبك ينتظر سوء طالعك وسيفرح اذ ذاك به لانك لم تنظر الى انسانيتك » •
« تاملولو» •

بعد ذلك مقطع من ــ ٤١ ــ خطا يبدو أنها تتألف من الامثال والاقوال القديمة ثم ينتهي المقال ببركة الوالد الشعرية :

« من الذي يخاصمك فلينجيك الهك نانا ،
من الذي يهاجمك فليخلصك الهك نانا ،
ولتجد نعمة أمام الهك ،
ولتسمو بك انسانيتك رقبة وصدرا ،
ولتكن رئيسا على حكماء مدينتك ،
ولتذكر مدينتك اسمك في الاماكن المفضلة ،
وليناديك الهك بالاسم الحسن ،

ولتجـد نعمـة أمـام الهـك نـانا ،

ولتنظر اليك بعطـف الالهـة نينجـال ، »

اول لائحة كتب :

ومع التعليم والمدارس أصبح لا بد من ايجاد لوائح باسم المقطوعات الادبية في أي مكتبة . وفي متحف الجامعة وجد استاذ السومريات صموئيل كريمر لوحا صغيرا ٧ × ٤ سنتم بحالة جيدة . وقد دون عليه الكاتب بعمودين كتبا بخط رفيع لائحة بعناوين — ٦٣ — عملا أدبيا . والعنوان هو جزء من الخط الاول من العمل الادبي . وبحثا عن لوائح أخرى وجد كريمر لائحة أخرى في متحف اللوفر بخط يشبه خط اللائحة في متحف الجامعة . وقد قسمت اللوحة لاربع أعمدة تحوي عناوين — ٦٨ — عملا أدبيا منها — ٤٣ — عنوانا مشتركا مع لائحة متحف الجامعة . و — ٢٥ — عنوانا غير موجود على لوح متحف الجامعة بينما هذه تحوي — ١٩ — عنوانا غير موجود في لوح متحف اللوفر . فيكون المجموع في اللوحتين — ٨٧ —عنوانا . وآخر — ١٣ — عنوانا في لوح متحف الجامعة هي في « أدب الحكمة » وكلها غير موجودة على لوحة اللوفر .

السياسة والتنظيم

بما أن من يدرس مقومات الحضارة السومرية يدرس أوائل الاشياء كذلك في ميدان السياسة والتنظيم • ففي ألواح سومر نجد أول « حرب اعصاب » وقد شنها انمركار ملك اوروك نحو /٢٧٥٠/ق•م على مدينة اراتا في ايران ـ وكان الهدف اقتصاديا ألبسوه لباس الدين تماما كما نجد في عصرنا الحاضر وفي القديم الحروب الاقتصادية يلبسها القادة ايديولوجيات مختلفة حسب روح العصر لاخفاء مطامحهم الخاصة •

كذلك نجد أول « برلمان من مجلسين » مجلس شيوخ ، ومجلس محاربين وهو مجلس الشورى عند جلجامش ملك أوروك نحو /٢٧٠٠/ ق•م • رغم أن الرأي السائد هو أن الشرق كان دائما يخضع للطغاة منذ القديم •

وفي ألواح سومر نجد أيضا أول « انقلاب اصلاحي » وهو الذي قام به اوروكا جينا انزى لغش نحو /٢٣٨٠/ ق•م ضد سلطة رجال الدين الذين استغلوا المعبد وايمان الناس عشرين عاما فأعاد « الحرية » لابناء لغش وقضى على اللصوص والمستغلين الاقوياء وحمى الضعفاء ، وتبرز لنا ألواح سومر أقدم « تشريع » معروف حتى الآن وهو تشريع اورنمو مؤسسة سلالة اور الثالثة نحو /٢١١٣ق•م/

ق٠م كذلك لمنع الغش وحماية الضعفاء وهو أقدم من تشريع حمورابي ب /٣٠٠/ عاما ٠

كما نجد أول « محضر محكمة » في دعوى قتل جرى قبل /٤٠٠٠/ عاما أي أنه وجد قانون ومحاكم وقضاة فتجاوز أجدادنا القدماء مرحلة الحكم العشائري الكيفي بايجاد اولى المحاكم ٠

اول حرب أعصاب :

من ملوك عصر الابطال في سومر انمركار ولوجال بندا وجلجامش وقد اعتبرهم الناس آنذاك انصاف آلهة أو ربما آلهة متجسدة تعيش فيما بينهم ٠

كان انمركار ملك اوروك نحو /٢٧٥٠/ ق٠م وقالوا انه هو الذي بنى المدينة ٠ وقد وجدت في متحف الشرق القديم في استنبول لوحة سومرية من ستمئة سطر مسمارية ترجمها صموئيل كريمر تمثل أول حرب أعصاب مدونة عرفت حتى الآن حدثت وقائعها بين انمر كار وسيد اراتا قبل خمسة آلاف سنة ٠ ومازالت حرب الاعصاب تشن بين الدول عن طريق وسائل الاعلام الحديثة ٠ ولا يتورع بعض الحكام المعاصرين أن يستغلوا الدين في حربهم كما فعل انمركار ولكن قبل خمسة آلاف سنة ٠

كان سيد اوروك يريد ان يحصل على الحجارة والمعادن من مدينة اراتا الى الشمال في ايران وكان يفصلهما « سبع سلاسل » من الجبال ٠ فنجح انمر كار عن طريق حرب الاعصاب والتهديد بغضب الآلهة والبرهنة على أنها انحازت الى جانبه ضد اراتا في قتل معنويات حكام أراتا ٠

ففقدوا استقلالهم واستسلموا وتبعوا اوروك وقدموا ما ارادت٠

والشاعر يحكي لنا كيف ان انمركار بن اله الشمس « اوتو » :

بعد أن صمم على اخضاع اراتا رجا اخته « انانا » الهة الحب والحرب السومرية أن تعمل على اجبار شعب اراتا ان يقدم الذهب والفضة واللازورد والاحجار الكريمة الى معبد ابسو المكرس للاله أنكي •

نصحته انانا بأن يرسل مبعوثا مناسبا الى سيد اراتا يهدده بتعويذة الاله انكي وان انانا انحازت الى جانب اوروك وان عليه أن يخضع لانمركار ويرسل له ما يريد • فاقتنع الحاكم بصحة هذا التهديد ووعد بتقديم كل شيء اذا ما أعطاه انمركار ما يكفي من الحبوب • ولما عاد الرسول واخبر انمركار استشار « ندابا » الهة الحكمة السومرية • وبعد ذلك عاد الرسول الى اراتا ومعه الدواب محملة بالحبوب • هنا ابتهج شعب اراتا وكان مستعدا لتلبية مطالب انمركار لكن ملكهم نكث بوعده • وبعد عدة سنين اعاد انمركار الرسول ومعه صولجانه دون رسالة • خاف سيد اراتا عندما رأى الصولجان وبعد أن أبدى استعداده للخضوع عاد الى تحدي انمركار وطلب منه أن يرسل احسن مقاتليه لينازل مقاتلا من اراتا في قتال منفرد يبين من الاقوى •

ولما أخبر الرسول انمركار بالتحدي طلب اليه العودة الى اراتا وان يقدم انذارا من ثلاث نقاط :

١ ــ انمركار يقبل التحدي ومستعد لان يرسل مقاتلا يقابل واحدا « من اراتا » •

٢ ــ يطلب من سيد اراتا ان يكوم الذهب والفضة من أجل انانا في اورك •

٣ ـ ينذر اراتا بالخراب التام الا اذا خضع سيدها وشعبها واحضروا « حجارة الجبل » ليبنوا مزار اريدو • لكن اله الامطار السومري ايشكور احضر الى اراتا القمح البري والفول وكومه امام سيد اراتا فاستعاد الثقة بالنفس وقال للرسول بأن انانا لم تترك أراتا وان بيتها وفراشها في اراتا • وبعد ان تتلف بعض النصوص نجد أن اراتا خضعت وارسلت الذهب والفضة واللازورد الى اوروك الى معبد ايانا لتقدمه لـ انانا •

والقصيدة مستخلصة من عشرين لوحة وكسره وهي اطول شعر ملحمي سومري والاولى من نوعها في الادب العالمي •

في قديم الزمان السيد الذي اختارته انانا في قلبها المقدس
الذي اصطفته انانا من بلاد شوبا في قلبها المقدس
انمر كار بن اوتو
الى اخته ملكة الخير
الى انانا المقدسة يقدم التماسا
من أجل اوروك ياختي انانا
اجعلي شعب اراتا يصوغ الذهب والفضة
دعيهم يحضرون اللازورد النقي من الصفاح
دعيهم يجلبون الحجر الثمين واللازورد النقي
لارك البلد المقدس
لبيت انشان حيث تقفين
دعيهم ينون (اسه)
والجبار المقدس حيث جعلت مسكنك
والجبار

فلـيزين شعب اراتـا داخلـه
وأما أنا فسأقدم الصلوات في وسطه
فلتخضـع اراتـا لاوروك
ودعـي شعب اراتـا
بعد أن يأتوا بحجارة الجبال من مرتفعاتهم
يبنون لي المصلى الكبير ويقيموا لي المزار العظيم
وليبنوا لي المزار العظيم مزار الالهة
وينفذون شرائعي السماوية في « كلاب »
ويصنعون لي الابـسو مثل جبل مقدس
ويظهـرون لي أريدو كالجبل
ويظهرون لـي مصلى الابـسو المقدس كالكهف
وأما أنا فلما انشد التراتيل من الابـسو
عندما احضر الشرائع المقدسة مـن أريـدو
عندما أجعل الامارة الصافيـة تزهـو
عندما أضع التاج على رأسي في اوروك وفي كلاب
عسى ان يؤتى بالمصلى الكبير الى « الجيبار »
وعسى ان يؤتى ب الجيبار الى المصلى الكبير
عسى ان ينظر الناس بالاعجاب والاستحسان
وعسى ان ينظر اوتو بعـين الابتهـاج
والتي هي بهجة « آن » المقدس ، الملكة التي ترمق الجبال
السيدة التي كحلها اموشو مجالانا (زرقة السماء العظيمة)

انـانـا ملكـة جميـع البلـدان
قالـت لانمركار ابـن اوتـو :
« هلم يا انمركار سأقدم لك النصح فاعمل بارشادي
كلمـة سأقولها لك فاصغ اليها ؟
اختر لـك رسولا حسن المنطـق
ودع الكلمات العظيمة من انانا الحكيمة تبلغ مسامعه
دعـه يتسلق الجبـال
ودعه يهبط من الجبال
وأمـام ... الخاص بانشان
دعـه يسجد كالمغني الشـاب
وقد تملكه خوف الجبال العظيمة
دعـه يتجول في الغبـار
ان اراتـا ستخضع لارك :
وان أهـل اراتـا
بعد أن يأتوا بأحجار الجبال مـن بلادهم
سيبنون المصلى الكبير ويقيمون لك المزار العظيم
وسيظهرون لك المزار العظيم ، مـزار الآلهة
وسينفذون لك النواميس المقدسة في كلاب
ويصنعون لك الابسو مثل الجبل المقـدس
ويظهرون لك اريـدو مثل الجبل
ويظهرون لك مصلى الابسو المقدس وكأنه الكهف :

وانت حين تنشـد التراتيل من الابسو
وعندما تحضر النواميس المقدسة من أريـدو
وتجعل الكهنوتية الطاهرة تنمـو وتزدهـر
عندما تضع التاج على رأسك في اوروك وفي كلاب
فسينقل ••• الخاص بالمصلى الـى الجبار
والخاص بالجبار الـى المصلـى
وسيعجب الناس ويستحسنوا
وسينظر اوتـو بعين الرضى
وان شعـب اراتـا
(فقدان أربعـة أسطر)
سيركعون امامك كأغنـام الجبـال :
وياصدر البيت الذي يشبه ظهوره الشمس
أنت مزوده المحبـوب
يا انمركار بن اوتو لك التمجيد ؟ »
لقد اصغى الـسيد الى كلمة انانا المقدسة
واختار رسولا حكيم المنطـق
واعاد عليه الكلمات العظيمة التي قالتها انانا الحكيمة
اصعـد الجبـال
واهبـط مـن الجبـال
وامـام الـ ــ في اشـان
اسجد كالمغني الحـدث
وقد تملكه الخوف من الجبال العظيمة

تجول وانت معفر بالتراب ...

أيها الرسول بلغ سيد اراتا وقل له :

« سأجعل شعب تلك المدينة يهربون كالاطيار من الشجر

سأجعلهم يفرون كالطير الى العش المجاور

سأجعل اراتا خرابا

سأجعل التراب يملأها كمدينة خربت تماما

اراتا ذلك الموطن الذي لعنه انكي

سأدمر ذلك المكان واجعلها خرابا

وقد قامت اانا بالسلاح وراءه

لقد انزلت الكلمة وقد ارجعتها

كاكوام التراب سأكوم عليها التراب

وبعد ان صنع ... الذهب في تبره

وطرق ... الفضة في ترابها

صاغ الفضة ....

وشد السلال على حمير الجبال

وبيت انليل فتى سومر

الذي اصطفاه الرب نودموك في قلبه المقدس (انكي)

ليبنه لي أهل الجبال حسب النواميس الالهية الطاهرة

ويجعلوه مزدهرا من أجلي كشجرة البقس

ولينيروه من أجلي مثل اوتو يشرق من « الجانون »

وينيرون الى عتباته

(فقدان ١٧ سطرا)

« لقد اصغى الرسول الى كلام ملكه
وفي الليل سار على هدى النجوم
وفي النهار سار مع اوتو السماوي
ان كلمات انانا العظيمة اسرت اليه
انه يتسلق الجبال
وانه يهبط من الجبال
وامام .... انشان
سجد مثل المغني الحدث
وقد تملكه خوف الجبال العظيمة
أخذ يتجول وهو معفر بالتراب
عبر خمس جبال ، ست جبال وسبعة
رفع عينيه واشرف على اراتا
وفي ساحة اراتا وضع قدمه بفرح
واعلن عن امجاد ملكه
وقال باحترام كلام قلبه
وقال الرسول لسيد اراتا
« ان اباك مليكي قد ارسلني اليك
سيد ارك ، سيد كلاب قد بعثني اليك
ماذا تكلم ملكك وماذا قال ؟
هذا ما تكلم به مليكي وهذا ما قاله :

ان مليكي الخليق بالتاج منذ ولادتـه ،
سيد ارك والثعبان القائد في سومر
الكبش المليء بقوة الامارة في الهضاب المسورة
الراعـي الـذي ......
ولدته البقرة الامينة في قلب الجبال
انمركار بن اوتو قـد ارسلني اليك .
وهذا ما يقولـه لـك مليكـي :
سأجعل شعب مدينته يفر كالطير من شجرته
سأجعلهم يهربون كالعصفور الى (عشه) المجاور
سأجعلها خرابـا يبابا
سأجعل الغبار يملأها كمدينة حل بها الدمار الشامل
اراتا ، ذلك الموطن الذي قد لعنه انكي
لادمرن هذا الموطن كأي مكان خرب
لقد أشهرت اناتا السـلاح وراءها
لقد انزلت الكلمة وارجعتهـا
كاكوام التراب سأطمرها بالتراب :
وبعد ان يصنع الذهب في تـبره
وتطرق الفضة في ترابهـا وتضـاع
وتشد السلال على حمير الجبال
بيت انليل فتى بـلاد سومر
الذي اصطفاه انكي في قلبـه المقدس

ليبنيه لي أهل الجبال ذوي النواميس الالهية
ويجعلونه مزدهرا لاجلي مثل شجر البقس
وينيروه لي مثل اوتو مشرقا من « الجانون »
ويزينوا لـي منـه العتبات ؟
(حـذف خطـين)
« نفذ ما سأقوله عن هذا الامر
والى المكرس الملتحي بلحية طويلة من اللازورد
الى من ابقاره القوية ــ البلد ذو النواميس الالهية الطاهرة
الى من نبتت بذرته في تربة ارانا
الى من رضع الحليب في حظيرة البقرة الامينة
الى من كان خليقا بالسيادة على كلاب بلد كل الشرائع الالهية العظيمة
الى انمر كار بن اوتو
سأقول تلك الكلمة ، كلمة خير في معبد ايانا
في الجيبار الذي يحمل الثمار كالشجرة الغضة
سأبلغها لمليكي سيد كلاب » .
وبعد أن بلغه هذا الكلام .
« أيها الرسول بلغ ملكك سيد كلاب وقل له
انني انا الرجل الخليق باليد الطاهرة
ان التي هي ملكة السماء والارض
سيدة كل النواميس المقدسة ، انانا المقدسة

هي اقامتني في اراتا بلد النواميس الالهية المقدسة
وجعلتني اعلق « وجه البلاد الجبلية » مثل باب كبير
فكيف اذن ستخضع اراتا لارك ؟
ان اراتا لن تخضع لارك ـ بلغه هذا »
وبعد ان كلمه هكذا
اجاب الرسول سيد اراتا
ان ملكة السماء العظيمة التي بيدها الشرائع الالهيةالمخيفة
التي تسكن جبال مرتفعات شوبا
التي تزين الاقحوان في جبال شوبا
لان السيد مليكي الذي هو خادمها
جعلها « ملكة اى آنا »
فان سيد اراتا سيخضع .
هذا ما قالته له في بيوت كلاب
اكتأب سيد اراتا وحزن كثيرا
لم يحر جوابا واخذ يبحث عن جواب
وعند قدميه طرح نظرة حائرة ووجد الجواب

اول برلمان من مجلسين :

عندما تذكر الديمقراطية يتبادر الى ذهن المؤرخ الديمقراطية الاثينية المباشرة والتي كان بموجبها الحق لكل مواطن من الاحرار أن يدي رأيه في اجتماع عام بغض النظر عن درجته العلمية وقدرته

العقلية . هذا النوع من الديمقراطية جعل الغوغاء والجهلة يطغـون على المثقفين فيحكمون على المعلم سقراط بالموت . فأشمأز من ذلـك تلميذه افلاطون وتحول عن هذه الديمقراطية المباشرة الى القـول بحكم النخبة او الارسطوقراطية وان الملك الفيلسوف هو الرجـل الوحيد الجدير بقيادة امة . وهذا يعني بمفهومنا المعاصر الديمقراطية البرلمانية اللهم اذا لم تزور بالارهاب او المال وغيرهما من الالاعيب البرلمانية .

كذلك عندما نذكر الديمقراطية يتبادر الى ذهن الانسـان المعاصر الديمقراطية الاوروبية البرلمانية وتعـدد الاحـزاب والمناهج وحـق التعبير عن هذه المناهج بواسطة وسائل الاعلام المختلفة متناسين قصور الديمقراطية السياسية بدون ديموقراطية اجتماعية .

ولا يتبادر لذهن المرء انه كان في هذا الشرق الادنى بالذات برلمانات او مجالس شورى منذ نحو /٥٠٠٠/ عام . بل لقد اعتـاد الناس على حكم الطغاة المطلقين دون رقابة في هذا الشرق يحكمـون وكأنهم يملكون شعوبهم كآلهة المدن السومرية . ان من اعتبروا طغاة العهود القديمة كان لهم مجالسهم الاستشارية وعملـوا على تقـدم بلدانهم الحضاري واحترموا العلم والمعرفة لانهم بعد كل شيء كانوا طغاة وطنيين ليسوا كطغاة العصر يعملون لحساب الطغاة العالميين . لذا كان لاهل المعرفة رأي ولم يبعدوا عن دفة الحكم لان التقدم ظل رائدهم بينما التخلف هدف طغاة اليوم ولمصلحـة قـادة الطغيـان العالمـي .

وأول مجلس شورى في التاريخ المدون انعقـد نحو /٢٧٠٠/ ق.م في مدينة اوروك السومرية في عهد ملكها جلجامش وكان يتألف من مجلسين ــ مجلس شيوخ ومجلس محاربين كان الصراع بـين

المدن السومرية من أجل القيادة وكانت كيش مركز السيادة على سومر وملكها اجا بينما مدينة اوروك بقيادة جلجامش برزت لتزاحمها على القيادة فأرسل اجا انذارا الى جلجامش • فانعقد المجلس في اوروك وطلب مجلس الشيوخ السلام بأي ثمن أي ولو بفقدان الاستقلال أي الاستسلام فحزن جلجامش وذهب الى مجلس المحاربين الذي قرر الرفض والمقاومة بالسلاح « فابتهجت روحه » • وبعد بضعةايام حاصر جيش كيش مدينة اوروك فقاومت وبشكل ما توصل القائدان الى تسوية • وقد خلد هذه الحادثة شاعر سومري زاد في الاختصار لكن المهم في لوحه المكتوب هو ذكر أول برلمان • من مجلسين في التاريخ الحضاري المدون وفي هذا الشرق بالذات •

« ان رسل أجا بن انميبر اغيزي
ساروا من كيش الى جلجامش في اوروك
عرض السيد جلجامش الامر على شيوخ مدينته
وقال لهم :
علينا الا نذعن لبيت كيش ولنحارب بالسلاح ؟
لكن مجلس شيوخ المدينة المنعقد اجاب جلجامش
لنذعن الى بيت كيش ولا نحارب بالسلاح ؟
أما جلجامش سيد كلاب
الذي يحقق اعمال البطولة من أجل الالهة انانا
فلم يسر لكلام شيوخ مدينته
ان جلجامش سيد كلاب مرة اخرى
عرض الامر على محاربي مدينته وطلب القرار

لاتذعنوا لبيت كيش ولنضربه بالسلاح
فأجاب مجلس المحاربين المنعقد جلجامش
لن نذعن لبيت كيش ولنضربه بالسلاح
عندئذ سر جلجامش سيد كلاب
بكلام محاربي مدينته ، وابتهجت روحه ؟ »

اول انقلاب اصلاحي :

ليس الدين مجرد ميتافيزيك وطقوس بل هو أيضا طريقة في الحياة وكل المصلحين الدينيين سنوا فضائل تكون بمثابة شرائع تحسن علاقات الناس الاجتماعية . وجميع مؤسسي الاديان التي عمل بها العهد السومري البابلي حتى يومنا هذا متفقون في الخطوط العريضة على مجموعة الفضائل . لذلك قيل « الافاضل من كل الاديان دينهم واحد » .

وأكبر ما ابتليت به الاديان « رجال دين بلا دين » . وهذا ليس بجديد وليس وقفا على الكنائس اليهودية والمسيحية والاسلامية وغيرها من الكنائس ، وليس استغلال بسطاء الناس باسم الدين جديدا في التاريخ ، بل يستدل بأنه قديم قدم وجود الدين وان السيمونية لم تبدأ بسيمون المجوسي ولم تنته بالخلفاء وحماة الايمان من الملوك. ولا بد من أن نجد من يخاف الله حقيقة فيثور على هذا الاستغلال . ويكون كفره ايمانا ولذا نجد في الواح سومر ان أول انقلاب من اجل الاصلاح الاجتماعي مدون في التاريخ حدث في القرن /٢٤/ ق.م في مدينة دولة لغش بقيادة اوروكا جينا ، وكان موجها ضد استغلال رجال الدين للدين وكانوا آنذاك كهنة تنجرسو الاله الحامي لمدينة لغش . لقد دون هذا الانقلاب مؤرخ سومري عاش تلك الاحداث منذ نحو /٤٤٠٠/ عاما ، على ثلاث مخروطيات من الطين ولوح

بيضاوي • ووجد المنقبون الفرنسيون هذه الوثيقة في خرائب لغش عام ١٨٧٨ وترجمها لأول مرة فرنسوا تورو دانجان ثم ارنوبوبل وهي اول وثيقة في التاريخ تذكر « الحرية » باسمها السومري « أمارجي» •

كانت دولة لغش في الالف /٣/ ق•م تتألف من مجموعة من مدن مزدهرة تتجمع كل منها حول معبد • وحسب المعتقد السومري كان حاكم المدينة ممثلاً للاله الذي أعطيت له هذه المدينة يوم الخليقة وكان اله لغش الاكبر هو « تنجرسو » وكان مدير المعبد (سنجا) يقوم بدور سياسي بارز في شؤون المدينة •

كان القسم الاكبر من سكان لغش من الفلاحين واصحاب الماشية والملاحين والصيادين والتجار والصناع • وكانت الارض من الوجهة النظرية ملكا للاله، أي لمعبده الذي كان يميس عليها بهيئة أمانة او وديعة لجميع المواطنين • لكن كان للافراد ايضاً ملكيتهم الخاصة كما كان المعبد يؤجر الاراضي لاخرين لقاء حصص معينة • من الغلة•

وكانت تحكم لغش السلالة التي اسسها اورناشي نحو/٢٥٠٠/ ق•م وكان الحاكم اوالانزي (ايشاكو بالاكادية) في كثير من الاحيان يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية فيكون حاكما ورئيس كهنة او سنجا • ولكن يبدو انه بعد قرن من وجود السلالة أي في عهد الحاكم اتيمينا أخذ القصر ينفصل عن المعبد فنجد على طاس من الفضة مقدم للاله تنجر سوان « دودو وكان سنجا تنجرسوفي تلك الايام » أي ان الحاكم اتيمينا لم يكن سنجا •

وبانفصال السلطتين كان يقع الصراع بين القصر والمعبد على السلطة • كان اتيمينا نحو /٢٤٠٠/ ق•م قد اقام ميثاق اخوة مع حاكم اوروك واور لوجال كينيشي دودو وانتهى عهده بالسلام

والرخاء • ثم تدهورت الحالة في لغش وقبض كهنة ننجرسو على السلطة الزمنية مدة عقدين من الزمن • ودبت كل انواع الفساد والاستغلال والتسلط والنهب واخذوا يكدسون الثروات على حساب المعبد والمواطنين الى ان قام رجل يخاف الله باول انقلاب اصلاحي في التاريخ وهو اوروكا جينا ليرفع الظلم والسرقة والاستغلال ويسكن « الحرية » لاهل لغش نحو /٢٣٨٠/ ق•م • لكن حكم اوروكاجينا لم يدم طويلا ليثمر فقلبه بعد ثماني سنوات فقط لوجال زاغيزي الزي اوما الذي احتل من البحر الاسفل الى البحر الاعلى أي كل الهلال الخصيب كما يدعي في احدى كتاباته فكان اول منشيء امبراطورية •

لكن لندع المؤرخ الذي عاش تلك الاحداث قبل نحو /٤٤٠٠/ عاماً يروي لنا الحقيقة بعباراته الخاصة : « وضع ناظر الملاحين يده على المراكب ، وقبض ناظر الماشية على الماشية كبيرها وصغيرها ، واستحوذ ناظر صيد السمك على مصايد السمك • واذا المواطن من لغش احضر غنمه الى القصر لجز الصوف عليه أن يدفع خمس شيقلات اذا كان الصوف ابيض واذ طلق رجل امرأته يأخذ الايشاكو خمسة شيقلات ووزيره شيقلا واحدا • اذا صنع عطار نوعا من الزيت حصل الايشاكو على خمسة شيقلات والوزير على شيقل واحد وناظر القصر على شيقل آخر • واما عن المعبد واملاكه فقد استحوذ عليه الايشاكو وكأنه ملكه الخاص •

استعملت ثيران الالهة لحرث اراضي الايشاكو المخصصة لزرع البصل كما خصصت أحسن حقول الاله لزراعة البصل والخيار العائد الى الايشاكو • وفوق ذلك فان موظفي المعبد البارزين وخصوصا السنجا اغتصبت حميرهم وثيرانهم والكثير من حبوبهم •

حتى الموت لم يخلص الناس من الجبايات والضرائب • فعندما يؤتي بالميت الى المقبرة ليدفن يحضر عدد من الموظفين والطفيليين ديدنهم

الاستحواذ من أهل الميت على مقادير من الشعير والخبـز والجعـة والمؤن المختلفة • من اقصى الدولة الى اقصاها انتشر جباةالضرائب • فلا عجب اذا تضخمت ثروة القصر ورخاؤه ، حتى اصبحت اراضيه واملاكه تشكل عقارا واسعا متصلا •

« بيوت الايشاكو وحقول الايشاكو ، بيوت حريم القصر ، وحقول حريم القصر ، بيوت اطفال القصر وحقـول اطفـال القصر ازدحمت الواحد الى جانب الاخر » •

« في هذه الفترة من انحطاط الشؤون السياسية والاجتماعية في لغش برز حاكم جديد يخاف الله ، هو اوروكاجينا الذي اعاد العدل والحرية الى المواطنين المظلومين • رفع يـد ناظر الملاحين عن المراكب ويد ناظر الماشية عن الماشية كبيرها وصغيرها • ازاح ناظر صيد السمك عن مصائد السمك وازاح جابي الفضة التي فرض دفعها من اجـل جزالغنم الابيض • واذا ما طلق رجل امرأته لم يحصل الايشاكو ولا وزيره على أي شيء • واذا ما أعد العطار زيتا فلا الايشاكو ولاالوزير ولا ناظر القصر حصل على أي شيء •واذا ما جيء بميت الى المقبرة للدفن تقاضى الموظفين أقل بكثير من ممتلكات الميت مما تقاضوا في السابق وفي بعض الحالات أقل من النصف بكثير • أصبحت أملاك المعبد موضع احترام كبير • ومن اقصى البلاد الى اقصاها » لم يعد هناك جاب للضرائب ، فان اورو كجينا قد « أقام الحرية » للمواطنين في لغش •

« فاذا كان بيت الوضيع بجوار بيت الثري الكبير وقال له الرجل الكبير اريد ان ابتاعه منك فاذا عندما عزم الرجل الكبير ان يشتريه منه قال الرجل الوضيع : ادفع لي الثمن الذي آراه مناسبا ، فلم يوافق

الرجل الكبير فلايحق لذلك الرجل الكبير أن يتملك بيت الرجل الوضيع » .

« وطهر اوروكا جينا المدينة من المرابين واللصوص والقتلة ، فاذا هيأ ابن الفقير بركة لصيد السمك فلا يجرؤ أحد الان ان يسرق سمكها . ولا يجرؤ الموظف الثري ان يعتدي على بستان ام الفقير ان يقطع الاشجار او يغتصب الثمار كما كان يجري سابقاً . لقد قطع اروكاجينا عهدا مع ننجرسو اله لغش بانه لن يسمح بأن يقع الارامل واليتامى فريسة لظلم الاقوياء » .

اول تشريع :

عندما بدأ الانسان يعيش في مجتمعات أصبح لابد من اعراف ومقاييس تحدد العلاقات والحقوق والواجبات وتنظم المجتمع الواحد. ومع اختراع الكتابة أصبح من الممكن تدوين هذه الاعراف والمقاييس في قوانين وشرائع ثابتة تحدد العلاقات الاجتماعية بين الافراد في جهة وبين الافراد والدولة من جهة اخرى ثم بين دولة ودولة . وتزداد القوانين تعقيداً مع التقدم والتعقيد الاجتماعي وتبدل مع التبدل الاجتماعي ولكن يبقى هناك قانون للتطبيق مهما اختلف النظام في أي مجتمع متقدم . ومتى اصبح القانون ألعوبة للبلبلة لا للتنفيذ دبت الفوضى وانتهت العدالة وضاعت المثل كما نرى امثلة من هذا فيبلدان العالم الثالث اليوم تحت براقع مختلفة بغية تخريب مجتمعاتها من الداخل باحلال الفوضى مكان النظام .

واذا اعتبرنا العرف والعادة شرائع غير مدونة فلا يمكن بالضبط تحديد متى بدأت الشرائع وكل شريعة نسميها « الاولى » نعني اننا لم نكتشف بعد اقدم منها . فالتسمية نسبية لامطلقة .

حتى عام /١٩٤٧/ كانت شريعة حمورابي تعتبر أقدم الشرائع وفي نفس الوقت أكمل تشريع واسلمه من التلف ، اذ تتألف من مقدمة و /٢٨٢/ مادة ثم خاتمة أي انها اوسع من التشريع القرآني كما انها ترقى لنحو /١٧٥٠/ق٠م ٠ وقد كتبت باللغة الاكادية البابلية على مسلة من الديوريت تحفظ الان في متحف اللوفر في باريس ٠

وفي عام ١٩٤٧ اكتشف تشريع لبيت ــ اشتار ملك ايسين (١٩٣٤ ــ ١٩٢٤ ق٠م) الذي سبق حمورابي بنحو /١٥٠/ عاماً وهو مكتوب على لوح مجفف بالشمس نقش بالخط المسماري واللغة السومرية ٠ فيه مقدمة وعدد غير معروف من المواد التشريعية ثم خاتمة ٠ وقد سلم من التلف كليا او جزئيا نحو / ٣٧ / مادة ٠ واعتبر آنذاك أقدم تشريع لكن هذا الاعتبار لم يدم طويلاً ٠

ففي ــ ١٩٤٨ ــ كشف طه باقر المشرف على متحف بغداد في تل حرمل لوحين من الشرائع كتبا بالبابلية مع مقدمة بدون خاتمة ٠ وتذكر المقدمة بيلالا ما حاكم اشنونا نحو ــ ٢٠٠٠ ــ ق ٠م أي قبل لبيت عشتار بنحو ــ ٧٠ ــ عاما وقبل حمورابي بنحو ــ٢٥٠ــ عاما٠

وفي ــ ١٩٥٢ ــ اكتشف في نيبور أقدم تشريع معروف حتى الان وقد سنه الملك السومري ارنمو مؤسس سلالة اور الثالثة نحو ــ ٢٠٥٠ ــ ق٠م أي أقدم من تشريع حمورابي بنحو ــ ٣٥٠ ــ عاما ٠ ولوحة التشريع احدى مئات الالواح السومرية الموجودة في متحف الشرق القديم في استنبول وهو لوح رمادي مشوي بالشمس مقاييسه ٢٠ × ١٠ سنتم ، وقد تلف نصف ما كتب عليه ٠

لقد نظمه كاتبه في ثمانية اعمدة أربعة على كل صفحة وكل عمود من ــ ٤٥ ــ سطرا ٠ وفيه مقدمة قرئت جزئيا هكذا ٠

« بعد ما خلق العالم وبعد ما قدر مصير بلاد سومر ومدينة اور عين آن وانليل كبير الالهة السومرية اله القمر نانا ملكا على اور . وفي أحد الايام اختار الاله اورنمو ليحكم سومر وأور كممثله الارضي . وأول أعمال الملك الجديد كانت تتعلق بسلامة اور وسومر العسكرية والسياسية . وقد وجد على الاخص أن عليه أن يحارب مدينة لغش المتاخمة التي كانت تتوسع على حساب أور فقهرها وقتل حاكمها « نامهاني ومن ثم بقوة نانا ملك المدينة » أعاد الحدود السابقة لمدينة أور . وبعدئذ التفت الى الشؤون الداخلية . ليقيم الاصلاحات الاجتماعية والاخلاقية. فأزاح الذين يخطفون ثيران المواطنين وأغنامهم وحميرهم . ثم أقام الموازين والمكاييل الصحيحة التي لا تتبدل . واهتم بأن « لا يسقط اليتيم ضحية الغني ، ولا تقع الارملة ضحية القوي ، والرجل صاحب الشيقل لا يقع فريسة الرجل صاحب المنا (٦٠ شيقلا) » .

وعلى ظهر اللوحة المواد التشريعية لكنها تلفت لحد لم يبق منها سوى خمسة فقط قابلة للقراءة جزئيا . أحدها تتعلق بالامتحان بالماء واخرى تتعلق برد العبد الى سيده لكن تشريع اور نمولا يسن شريعة العين بالعين والسن بالسن كما فعل حمورابي وموسى ومحمد بل أقام التعويض المادي بديلا لهذه العقوبة .

« اذا رجل ضد رجل ... باله ... قطع القدم فعليه أن يؤدي عشر شيقلات من الفضة » .

« اذا كسر رجل عظام رجل آخر بالسلاح فسوف يؤدي (منا) وحدا من الفضة » .

« اذا قطع رجل أنف آخر باله ــ جيشبو « فسوف يؤدي ثلثي المنا من الفضة » .

وكم سيظل اورنمو محتفظا بمكانته على أنه أول مشرع في العالم، الارجح أنه لن يظل زمنا طويلا .

اولى المحاكم :

اذا كان الضمير هو الالوهية الداخلية في الانسان فان صفاء الضمير بين المتخاصمين يمكنه ان يكتفي بتحكيم فريق ثالث ممن عرفوا بالوجدان الصالح دون اللجوء الى القوة . لأن الخصمين يعرفان حقيقة موضوع الخلاف قبل ان يعرفه القاضي . وهذا الاسلوب في فض المشاكل لا يزال موجودا في الريف .

ولكن عندما يوجد القانون توجد المحاكم لتطبيق القانون واذا فسدت الضمائر فلا بد من اللجوء الى القوة . وفي المجتمع المتمدن المحكمة تمثل قوة القانون والقانون يمثل قوة الدولة . ومتى فسدت الدولة فسد القضاء وعدم تنفيذ القوانين وعلقت مشاكل الناس دون حل . ولنزاهة المحاكم تلجأ الدولة المتمدنة الى استعمال قوتها في حماية حصانة القضاء وتنفيذ أحكامها القانونية ، يلجأ الناس الى المحاكم طلبا للعدالة ولا عدالة بدون قوة نزيهة تحميها .

وقد قدس الاقدمون العدالة واستنزلوا القوانين من السماء وعينوا الها للعدالة هو اوتو أو شمش اله الشمس عند السومريين والساميين . وكل المصلحين قالوا في مقدمات قوانينهم انهم يرمون الى حماية الارملة واليتيم والفقير والضعيف ضد اللصوص والمرابين والاقوياء . والمجتمع السومري الذي انجز أقدم تشريع اوجد اقدم محاكم فيها اتهام ودفاع واجتهاد في تطبيق العدالة على سوية جديرة بالاحترام حتى في القرن العشرين . وكان مجلس القضاء في مدينة نيبور بمثابة « محكمة عليا » .

وفي ـ ١٩٥٠ ـ اكتشفت بعثة مشتركة من المؤسسة الشرقية في جامعة شيكاغو ومتحف الجامقة التابعة لجامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة لوحتين لدعوى بجريمة قتل حصلت نحو ـ ١٨٥٠ ـ ق • م في سومر •

ثلاثة رجال ـ حلاق وبستاني واخر لم يذكر صنعته ـ قتلوا أحد موظفي المعبد واسمه لوانانا ـ ولسبب ما قام القتله بابلاغ زوجة القتيل نين ـ دادا بمقتل زوجها ولكنها كتمت سرهم ولم تبلغ السلطات •

لكن السلطات علمت بشكل آخر وابلغت الملك اورنينورثا في العاصمة ايسين • فرفع الملك الدعوى امام « مجلس المواطنين في نيبور » الذي كان بمثابة محكمة عدل • وفي هذا المجلس قام تسعة رجال بدور الاتهام وقالوا بأن ليس الرجال الثلاثة القاتلين مجرمين وحسب بل الزوجة كاتمة السر يجب أن تعدم معهم لان صمتها كان متمما « للجريمة • لكن رجلين آخرين في المحكمة قاما بالدفاع عن الزوجة باتها لم تشترك في جرم قتل زوجها وقبل المجلس دفاعهم عندما علموا بأن الزوج القتيل كان محجما عن اعالة زوجته واتهوا الى الحكم بأن « معاقبة الذين ارتكبوا فعلا جريمة القتل تكفي » وهكذا حكم مجلس نيبور على الرجال الثلاثة بالاعدام وبرئت الزوجة • وهذا النص التقريبي لمحضر المحاكمة مستخلص من اللوحين الذين يرويان نفس المحاكمة •

نانا ـ سيج بن لوسين • وكو ـ انليل بن كو ـ نانا الحلاق وانليل ـ أنام عبد ادا كللا البستاني قتلوا لوانانا بن لوجال ايندو المستخدم في المعبد •

وبعد ان قتل لوانانا بن لوجال ايندو اخبروا نيندادا ابنة لونينورتا زوجة لوانانا ان زوجها لوانانا قـد قتل •

لكن نين دادا ابنة لونينورتا لم تفتـح فاهـا وبقيـت شفتاهـا مغلقتـين •

عندئذ رفعت قضيتهم الى مدينة ايسين امـام الملك والملك اور نينورتا أمر بأن ترفع دعواهم الى مجلس نيبور •

هناك نهض كل من اورجولا بن لوجال •••• دودو صياد الطيور وعلي عيلاتي الخادم وبوزو بن لوسين وايلوتي بن ايا ، وشيش كللا الحاجب ولوجال كان البستاني ولوجال ازيدا بن سين اندول وشيش كللا بن شاره ••• وواجهوا المجلس وقالوا :

ان من قتلوا انسانا لايستحقون الحياة • أولئك الرجال الثلاثـة وتلك المرأة يجب قتلهم أمام كرسي لوانانا بن لوجال ايندو موظـف النشـاكو •

ثـم واجـه شو ••• ليلوم الموظف التابع لنينورتا واوبارسين البستاني المحكمة وقالا :

مع الاعتراف بأن زوج نين دادا ابنة لونينورتا قد قتل ولكن ماذا فعلت المرأة حتى تستحق القتـل ؟

ثم التفت اليهم اعضاء محكمة نيبور وقالوا :

ان زوجة لم يقم زوجها باعالتها ولو كانت تعرف اعداء زوجها وان كان بعد مقتل زوجها قد سمعت ان زوجها قد قتل فملام لا تظـل ساكتة عنه ؟ هل هي التي قتلت زوجها ؟ ان معاقبة الذين فعلا قتلوه يجب أن تكفـي •

وبموجب قرار مجلس نيبور سلم كل من نانا سيج بن لوسين ، وكوانليل بن كوناتا الحلاق وانليل انام البستاني عبد ادا كللا الى الجلاد ليقتلوا .

هذه قضية نظرت فيها محكمة نيبور .

* * *

الأدب السومري

من حسن الحظ أن الادب السومري ـ البابلي قد كشف متأخرا وبعد ان تخطى العلماء والمثقفون مراحل الارهاب الفكري فلن تطمسه يد الارهاب • انه أقدم الاداب وأقدم من الادب الاغريقي بأكثر من ألف وخمسمئة عام • انه مرآة عصورنا القديمة بما فيها من قيم ومناقب ومعتقدات وقصص وقد عبر عنها بالنثر والشعر في مواضيع شتى • منها الغزل والرثاء ، المديح والهجاء أدب الحكمة والاخلاق والامثال المناظرات الادبية وقصص الحيوان كذلك الشعر الملحمي والادب الديني •

ان الارهاب الفكري والتعصب اللامسئول قد قضى على الادب الارامي بحجة محاربة الوثنية فلم يبق منه الا القليل ما خلا الادب السرياني الديني • والارهاب الفكري قضى أيضا على تراثنا الادبي من عصور ما قبل الاسلام وحتى على هوية المفكرين السوريين من عصور ما قبل الفتح فسلخوا من تراثنا والصقوا بالتراثين الاغريقي واللاتيني وهم أبناء آرام ومن نوابغ الفكر العالمي •

ولن يتكامل الادب السومري البابلي حتى تتم ترجمة النصوص المسمارية المدونة على عشرات آلاف الالواح المشتتة في مختلف متاحف العالم • ولن يكتمل لان الكثير من الالواح قد أصابها التلف ، لذا

نجد انفسنا مضطرين للاكتفاء بأمثلة قليلة مقتضبة من هذا الادب نماذج لبعـض محتوياتـه .

الغزل والجنس ـ « شوسين »

مـن سلالة اور الثالثة (٢٠٣٨ ـ ٢٠٣٠ ق.م) ابن الملـك « شولغي » خلف اخاه « امارسين » بعد تأليهه اقام معبدا « باسمه في اور . قاوم تغلغل الاموريين من سوريا الى العراق وبنى حصنا بين ماري واور من أجل صدهم » .

وقد وجدت لوحة مسمارية في متحف استنبول عام ١٩٥١ وعليها شعر هو « أول اغنية حب » موجهة الى الملك المؤلة شوسين . ولـم تكن اغنية حب عادية بين رجل وفتاة بـل موجهة من فتاة الى رجلهـا الملك ويرجح انها كانت تتلى مع الشعائر المقدسة خاصة في مناسبـة دينية باسم « الزواج المقدس » لانه كان على الحاكم ان يتزوج كل عام من كاهنة ممن نذرن أنفسهن لالهة الحب والتوالد اناثا ، وكانت تتلى في رأس السنة . وقد ترجمها عالـم السومريات صموئيل كريمر الى الانكليزية وهي كمايلي في العربية حسب ترجمة طه باقر :

أيها العريس الحبيب الـى قلبي

جمالك باهـر ، حلـو كالشهـد

أيهـا الاسـد الحبيب الـى قلبي

جمالك باهـي حلـو كالشهـد

لقد أسرت قلبي فدعني أقف بحضرتك وأنا خائفة مرتعشه ،

أيها العريس سيأخذونني اليك الى غرفـة النـوم

لقد اسرت قلبي ، فدعني اقف بحضرتك وانا خائفة مرتعشة

أيها الاسد ستأخذ بي الــى غرفــة نومــك
أيها العريس دعــني أدللــك
فان تدليلي اطعم واشهى من الشهد
وفي حجرة النــوم المــلاى بالشهد
دعنــا نستمتع بجمالك الفاتــن
أيها الاسـد دعــني أدللك
فان تدليلي اطعم واشهى من الشهد
أيها العريس لقد قضيت وطر لذتك مني
فابلغ امــي وستعطيك الاطايــب
أما ابــي فسيغدق عليــك الهبــات
وروحك ، أنا أعرف كيــف ابهج روحك
أيها العريس نــم في بيتنا حتى انبلاج الفجر
وقلبك ، اعرف اين ادخل السرور الى قلبك
أيها الاسـد نــم في بيتنا حتى انبلاج الفجر
وانــك لانــك شهواني
هبني بحقك شيئا من تدليلك وملاطفتــك
يامولاي الالــه ، ياسيدي الحامــي
موضعك جميل حلو كالشهد فضع يدك عليه
قــرب يــدك عليه كرداء أل « جشبان »
ضم كفــك عليه كرداء أل « أبجشبان »
انها قصيدة غناء « بلباله » من قصائد « انانا »

والاغنية السومرية الاخرى الوحيدة المعروفة بكونها اغنيـــة في الحب وجدت أيضا مدونة في لوح من ألواح استنبول • وقــد نشــر ذلك اللوح ادوارد كيبرا عام / ١٩٢٤ / وترجمها ادم ملكننشتاين عام ١٩٤٧ • غزلها صادر عن كاهنة منذورة لم يذكر اسمها تخاطب فيهــا ملكها شوسين • والمعنى مبهم في جملة مواضع وهي مؤلفة مــن ست مقطوعات وهاهي كما ترجمها طــه باقــر :

لقد ولدت النسل الطاهر ، انجبت الطاهر
ولــد الملكــة ذلــك الطاهــر
انجبت « ابسيمتي » ، ذلك الولد الطاهر
يامليكي يامن كرمت باعضائها المتناسقة
يا مليكتي يا من كرمت باعضائها المتناسقة
يا سيدي يا من شعره ••• ايها المولى « شوسين »
ياسيدي يا من كلمته ••• يا ولدي من « شولجي »
لانني فهت بها ، لانني قلتها ، اكرمني المولى بهبته ،
لانني انشدت اغنية الـ « الارى » خصني المولى بهبة •
قلادة من الذهب ، وخاتم من اللازورد اعطاني المولى هدية
حباني المولى بخاتم من الذهب ، وخاتم من الفضة
يا سيدي ان هباتك ملأى ••• ارفــع وجهك الي
يا شوسين ان عطاياك ملأى بـ ••• ارفع وجهك الي
أيهــا المولــى •••• أيهــا المولــى ••••

•••• كالسلاح ••••

هاهي ذي المدينة ترفع يدها مثل « تنين » يا سيدي شوسين
انها رابضة عند قدميك مثل شبل الاسد . يا ابن شولجي •
يا الهي ان « ساقية الخمر » شرابها حلــو
ومثل خمرتها ، فرجها حلو ان شرابها حلو
ومثل رضاب شفتيها ، حلو فرجها . حلو شرابها
شرابها الممزوج حلــو . شرابها (حلــو)
يا شوسين الذي يخصني بكرم حظوتــه
آه يا شوسين الذي يخصني بحظوته ويدللني
يا شوسين الــذي يخصني بحظوتــه
يا شوسين المحبوب عنــد انليــل
يا مليكي ، يا الــه بــلاده •
انها اغنية (بلبالــه) مــن « بــاو »

انانا وشوكليتودا ــ أو الخطيئة المميتة ؟ ــ هذه القصيدة كتبت على لوح مقياسه قبل التلف نحو ١٥×١٨ سنتم ، تذكر شيئا من فــن البستنة والاشجار التي تصد الرياح الى جانب أسطورة عن الجنس بين فلاح والهــة الحب والتوالــد « انانا » مثيلة عشتار وافروديت عنــد السومريين وهي هناك تمثل المرأة لكن اهانة الانسان الفاني للالهة بمضاجعتها كان خطيئة مميتــة •

في قديم الزمان عاش بستاني اسمه شوكليتودا ، كان يعمل ويكد

في بستانه ويروي الاخاديد فتأتي الرياح تلطم وجهه وتدمر بستانه • رفع عينيه غربا وشرقا ليدرس في النجوم نذر الالهة وارادتها وعندما نال الحكمة غرس شجرة « السريبتو » (وربما هي السرو) الوارفة الظلال وبعد ذلك ازدهر بستانه بالغرس •

ذات يوم كانت اانا قد عبرت الارض والسماء فاضطجعت في بستان شوكليتودا لتريح جسدها المنهوك • راقبها البستاني وهو الانسان الفاني ثم استغل فرصة انهيار قواها من عناء السفر ونومها العميق وضاجعها • ولما طلع الفجر ذعرت اانا مما حصل وتلفتت حولها علها تجد ذلك الفاني الذي تجرأ وجللها بالعار •

وسلطت على بلاد سومر ثلاثة أنواع من الاوبئة انتقاما من ذلك السومري •

١ ــ ملات جميع الآبار بالدم كما فعل يهوه بمياه مصر في سفر الخروج واصبحت جميع احراج النخيل والكروم ملأى بالدماء •

٢ ــ سلطت رياح وعواصف مدمرة على البلاد •

٣ ــ سلطت بلاء مجهول الطبيعة بسبب تلف النصوص لكن أانا لم تستطع أن تجد البستاني لانه كان ينتقل هاربا « بين بيوت » ذوي الرؤوس السود من اخوانه السومريين •

أخيرا يئست وذهبت الى اريدو لتستشير الاله انكي الحكيم لكن نهاية القصيدة قد تلفت •

شوكلليتودا ••••

حين يجري الماء في السواقي

وحين يحفر الآبار في ارجاء البستان

كان يتعثر بالجذور فتجرحه
الريـاح العاصفة بما حملت معهـا
وبتراب الجبال كانت تلطم وجهه
تقتلـع مازرعت يـداه ولم يعرف ...
ثم رفع عينيه الى الاقاليم السفلى
وتطلع الى النجوم التي في الشرق
ورفع عينيه الـى الاقاليم العليا
وتطلع الى النجوم التي في الغـرب
راقب الطوالع المرموقة في صفحة السماء
وعرف من السماء المرقومة علامات النـذر
وهناك رأى كيف ينفذ النواميس الالهيـة
ودرس ارادات الالهـة .
وفي البسـتان في خمسـة الى عشرة مواضع منيعة
في تلك المواقع غرس شجرة تكون غطاء واقيا
انها شجرة الـ « سربتو » ذات الظل العريض
ان ظلها لايزول ، لا في الفجـر
ولا في الظهيرة ،ولا في الغسـق
وذات يوم بعد ان عبرت ملكتي السماء وعبرت الارض
اناتا بعـد أن عبرت السماء وعبرت الارض

بعد أن قطعت بــلاد عيلام وشوبور
اقتربت « البغي المقدسة » الى البستان في عنائها وعظت بالنوم
رآهــا شوكلليتودا مــن حافــة بستانه
فضاجعهــا وقبلهــا
وعــاد الى حافــة بستانه
انبلج الفجــر وطلعت الشمس
تطلعت المرأة حولهــا مذعــورة
انانا نظرت حولها وجلة فزعــة
فتأمل الضرر الذي عملته المرأة من أجل عورتها ؟
انانا من اجل عورتها مــاذا فعلت ؟
لقد ملأت جميع آبار البــلاد بالــدم
كل احراج وبساتين البلاد اشبعتها دمــا
حين يذهب العبيد للاحتطاب لايشربون الا الدم ؟
والاماء لايملأن جرارهن الا بالــدم
لقد قالت « لاجدن من ضاجعني في كل ارجاء البلاد »
لكنها لم تجــد الذي جامعهــا
لان الشاب قصد بيت أبيــه
شوكلليتودا قــال لابيــه :
ابتي ، حين أجرى المــاء في السواقي

حين أحفر الابار في الارجاء
كنت اتعثر بالجذور فتجرحني :
الرياح العاصفة بما حملت
وبتراب الجبال كانت تلطم وجهي ؟
فرفعت عيني نحو الاقاليم السفلى
وتطلعت الى النجوم في الشرق
ورفعت عيني نحو الاقاليم العليا
وتطلعت الى النجوم في الغرب
حدقت بالطوالع السعيدة المرقومة في السماء
وعرفت من السماء المرقومة علامات النذر
هناك رأيت كيف سأنفذ النواميس الالهية
ودرست ارادات الالهة •
وفي البستان في خمسة الى عشرة مواقع منيعة
في تلك المواضع غرست شجرة واحدة لتكون غطاء واقيا
الشجرة الواقية بظلها هي شجرة أل سربتو ذات الظل العريض
ان ظلها لا يزول لا في الفجر
ولا في الظهيرة ولا في الغسق
وذات يوم بعد ان عبرت مليكتي السماء وعبرت الارض
انانا بعد ان عبرت السماء وعبرت الارض

بعد ان قطعت بلاد عيلام وشوبر
البغي المقدسة في عنائها اقتربت من البستان وغطت في النوم
فرأيتها من حافة بستاني
جامعتها وقبلتها
وعدت الى حافة بستاني
انبلج الفجر وطلعت الشمس
فتلفتت المرأة من حولها فزعة
انانا تطلعت حولها فزعة
فتأمل الضرر الذي عملته المرأة من أجل عورتها ؟
انانا من أجل عورتها ماذا صنعت ؟
لقد ملأت جميع آبار البلاد بالدم
جميع أحراج وبساتين البلاد أشبعتها بالدماء
العبيد حين يحتطبون لايشربون الا الدماء
والا ماء اذا وردن يملأن الجرار إلا بالدم
لقد قالت ــ يجب ان اجد من جامعني
ولكن من ضاجعها لم تجده •
اذ اجاب الاب ابنه الشاب
الاب اجاب شوكلليتودا ؟
يابني اقم قرب مدن اخوانك
وجه الخطى واذهب الى اخوانك ذوي الرؤوس السود

فالمرأة لن تجدك وانت في وسط البلدان ٠

اقام شوكلليتودا قريبا من مدن اخوانه

وجه خطاه الى اخوانه ذوي الرؤوس السود

ولم تجده المرأة وهو في وسط البلدان ٠

فتأمل المرأة من أجل عورتها أي شر فعلت ؟

انانا من أجل عورتها ماذا صنعت ؟

تستمر القصيدة لتذكر البلاء الثاني الذي انزلته انانا على سومر ٠

الرثاء :

اور : احدى أهم المدن السومرية مدينة اله القمر نانا وعاصمة مابين النهرين نحو /٢٧٠٠/ ق٠م حيث تركت لنا سلالة اورو الاولى آثارهم الفنية في مقابر اور الشهيرة ، ثم عادت عاصمة لبلاد الرافدين أيام سلالة اور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق٠م) التي بدأت بالمشرع الاول اور نسو ٠ وقد خلدتها التوراة باسم اور الكلدانيين وقالت بأن ابراهيم خرج منها الى حران ثم الى أرض كنعان ٠ وقد كانالسومريون فخورين بعاصمتهم هذه فاعطوها مكانا بارزا في معتقداتهم وكيف ان الاله انكي عندما كان ينظم شؤون سومر قد اتى الى اور خصيصاً ليقرر مصيرها فقال أحد الشعراء ٠

« لقد اتى انكي الى « اور » الى المزار

انكي « ملك العمق » يقرر مصيرها قائلا

ايتها المدينة الموفورة الزاد العميقة المياه

القائمة كالثور القوي الثابت

انت منصة خير البلاد ، انت خضراء كالجبل

انت غابة الخاشور ذات الظلال الوارفة

عسى ان يحسن توجيه نواميسك المقدسة التي اكتملت

لقد اعلن « الجبل العظيم » انليل اسمك المتسامي في السماء والارض

ايتها المدينة التي قدر مصائرها انكي

يا اور ، ايتها المزار ، عساك ان ترتفعي الى عنان السماء »

ونحو عام ٢٠٠٦ ق•م وقف العيلاميون عند اسوار اور الشاهقة التي بناها الملك العظيم اور نمو ـ بناها « عالية كجبل مشع » ثم هاجموها واحتلوها ونهبوها وجعلوها طعاما للنيران وانسحبوا تاركين وراءهم حامية صغيرة • كما أسروا ملكها ابي سين وقادوه الى ايران ومات هناك • وبعد اعوام وبعد ان عادت اور مدينة عامرة كانت ذكرى خرابها لاتزال عالقة في أذهان السومريين يرثونها على انها كارثة وطنية فقال الشاعر :

« أيها الاب انانا ، لقد دمرت المدينة

كقطع الخزف المهشم ملأ أهلها جنباتها

هدمت اسوارها وناح اهلوها

في بواباتها العالية حيث كانوا يتنزهون

طرحت الاشلاء مبعثرة هنا وهناك

في شوارعها حيث احيوا الاعياد نثرت أجسادهم

في كل الدروب حيث كانوا يتنزهون تناثرت الجثث
وفي ساحاتها حيث احتفلوا تراكمت أكوام قتلاها .
« ايه اور ان ضعفاءك وأقوياءك قد قضى عليهم الجوع
الامهات والاباء الذين لم يغادروا منازلهم . التهمتهم النيران
الاطفال في احضان الامهات قد جرفتهم المياه كالاسماك
وفي المدينة ، الزوجة تركت والابن أهمل ، والممتلكات نهبت
ايه نانا ، ان اور قد خربت واهلوها قد شتتوا »

موت جلجامش :

جلجامش ملك اوروك نحو /٢٧٠٠/ ق٠م بطل ملحمة من اعظم الشعر الملحمي في التاريخ ومن النتاج السومري البابلي ، قيل انه في ثلثية كان الها وفي ثلث واحد بشرى . وصف بالقوة والحكمة والوسامة وتحوله من الشر الى الخير حتى عبده شعبه ، ذبح تنين الشر هواوا في جبال اللكام ، وقتل ثور السماء الذي أنزلته عشتار ليدمر اوروك ، كذلك بعد موت صديقه انكيدو حار في أمر الحياة والموت وراح يبحث عن عشبة الحياة . وجدها في قاع البحر وعند عودته الى مدينة اوروك سرقتها منه الحية لتنعم بطول الحياة وبقي الانسان مائتا فانيا . ومن قصص جلجامش السومرية لوحة عن موت جلجامش هي نهاية ملحمة مآثرة .

« ان قضاء انليل الجبل وابي الالهة
الذي فرضه على جلجامش قد تحقق
في باطن الارض ستنقلب له الظلمة نورا

لن يخلف بشرى للاجيال مايضارع ما خلفه ؟
الابطال والحكماء كالقمر الجديد لهم صعودهم وخفوتهم
سيقول الناس من حكم بقوة وسلطان مثله ؟
وكما في الشهر المظلم كذلك لن يكون بدونه نور
أي جلجامش هذا كان تفسير حلمك
لقد اعطيت الملك وهذا كان قدرك
واما الخلود فلم يكن مقدرا لك
لا تدع قلبك يحزن من أجل ذلك
دعك من الغم والكآبة
لقد أعطيت سلطانا لتحل وتربط
لان تكون الظلام او تكون النور للبشر
لقد وهبتك سلطانا على الشعب لا مثيل له
والنصر في المعارك لايعود منها هارب
وفي الغزوات التي لايعود منها أحد
ولكن لاتسيء استعمال سلطتك
اصنع العدل مع خدمك في القصر
أقم العدالة أمام وجه شمش » •
لقد رقد الملك ولن يقوم ثانية
سيد كلاب لن يقوم ثانية

لقد قهر الشر ولكنه لن ياتي ثانيــة
ورغم قوة ساعده لن يقوم ثانية
كان حكيماً وسيم الوجه لكنه لن يأتي ثانيــة
لقد ذهب الى الجبل ولن يأتي ثانيــة
على سرير القدر ينام ولن يقوم ثانيــة
ومن الاريكة المتعددة الالوان لن ينهض ثانية .
« لم يسكت أهل المدينة كبارهم وصغارهم
بل تعالــى نواحـــهم
كل ذي لحم ودم يجهش بالبكاء
لقــد نطـق القـــدر
هو ذا يتمدد على فراشه كسمكة أمسك بها الشص
ومثل غزالة قد امسك بها الفخ
ان نمتار الذي لا يرحم لشديد الوطأة عليه
نمتار الذي ليس له يد ولا قــدم
الذي لا يشرب ماء ولا ياكل لحما » .
« لقد قدموا قرابينهم من أجل جلجامش بن ننسون
زوجته وابنه ومحظيته وموسيقيوه ومضحكــه
خدامه وحجابه وكل من عاش في القصر
قدموا قرابينهم من أجل جلجامش بن ننسون
فجلجامش هو قلب أوروك .
لقد قدموا القرابين لـ اريشكيغال ملكة الموت

ولكل آلهة الموتى .

الى نمتار الذي هو القدر قد قدموا القرابين

خبزا لنيتي حارس البوابة

خبزا لننجيز يدا اله الافعى رب شجرة الحياة

لدوموزي الراعي الشاب الى انكي ونينكي

الى اندو كوجا ونيندو كوجا انمول ونينمول

الى كل الالهة الاوائل آباء انليل .

أقاموا عيدا لشولباي إله الاعياد

قدموا القرابين لسوموقان اله القطعان

الى الام تنهورساج والهة الخلق في قصر الخلق

الى اجناد السماء ، للكهنة والكاهنات قدمو قرابين الموتى .

جلجامش بن نينسون يرقد في قبره

في مكان التقدمات قدم الخبز

وفي مكان القرابين سكب الخمر

وفي تلك الايام رحل السيد جلجامش

ابن ننسون ، الملك الذي لانظير له بين البشر

الذي لم ينس انليل سيده

أي جلجامش سيد كللاب جل حمدك ؟

لعنـة اكـاد :

في ممجوعة « هلبرشت » نحو /٢٥٠٠/ لوحا سومريـا منها / ١٥٠ / لوحا ادبيا في مختلف ابواب الادب ومعظمها مكسر لكنها تصلح لسد الثغرات في النصوص التالفة جزئيا • ومن أهم الالواح واحد من / ٣٠٠ / سطرا من الهجاء الديني يمكن تسميتها« لعنة أكاد : الثأر للايكور » •

نحو /٢٣٥٠/ برز في الهلال الخصيب سرجون الاكادي الذي قهر كيش في الشمال واوروك في الجنوب وجعل الهـلال الخصيـب امبراطورية واحدة وبني مدينة أكاد / اجاده / وجعلها عاصمته • ولا يعرف مكانها حتى الان وهي في الشمال من سومر واصبحت اعظم المدن • وفي أواخر عهد سرجون قامت الثورات التي عمل على قمعها وتابع عملية القمع كل من ابنيه ريسوش ومنيشتـوزو ، ثـم كـان عهد حفيده نارام سين (٢٢٧٥ ــ ٢٢٤٠ ق•م) فاختار الحرب لاخضاع اعداء اكاد ودمر مدينة نيبور السومرية المقدسة وفيها آل ايكور معبد انليل فدنسه « لذلك اتجه انليل الى الجوتيين في الجبال وجعلهـم يأتون ليدمروا اجاده ويثأروا لمعبده الذي احبه » • وكي يهدئوا من غضب انليل تحول ثمانية من آلهة سومر وأصدروا لعنتهم على اجادة لتظل خرابا مهجورة الى الابد • كما هجرت انانا معبدها « اولماش » في اكاد • والالهة اصحاب اللعنة هم سين وانكي وانانا ونينورتـا وايشكور ، واوتو ، ونوسكو وندابا ــ جاءت اللعنة على لسـان المؤرخ الشاعر بعد وصف عظمة اجادة وخرابها كما يلي :

« ايتها المدينة، يامن تجرأتعلى مهاجمة الايكور وتحديتانليل

يا اجادة ، يامن اجترأت بالهجوم على الايكور وتحديت انليل

عسى أن تتكدس غاباتك في أكوام التراب

عسى ان يعود آجرك الى « الهاوية »
وليكن آجرا ملعونا من « انكي »
عسى ان تعود اشجارك الى غاباتها
ولتكن اشجارا ملعونة من « نين الدو »
ثيران الذبح ــ عساك تذبحين زوجاتك بدلا منها
اغنام الذبح ــ عساك تذبحين ابناءك بدلا منها
فقراؤك ــ عسى الجوع يجبرهم على اغراق أطفالهم الاعزاء
يا اجادة ، قصرك المشيد بالفرح عساه يتحول خرابا محزنا
وحيث كنت تقيمين شعائرك
الثعلب الذي يسكن الخرائب عساه يهز ذيله .
عسى قنوات مراكبك لاينبت فيها سوى الاعشاب الضارة
وعسى طرق مركباتك لا ينمو فيها سوى « النبات الباكي »
وفوق ذلك في أماكن جر القوارب والرسو
عساه لايقدر انسان ان يسير بسبب الماعز الوحشي والديدان
والافاعي وعقارب الجبل .
وسهولك حيث تنمو النباتات المسرة للقلب
عساه لاينمو سوى « قصب الدموع »
يا اجادة ، بدل مياهك العذبة الجارية عساها تجري المياه المرة
ومن يقول « اريد أن اسكن تلك المدينة » لايجد مكانا صالحا
للسكن

ومن يقول « ساضطجع في اجادة »لن يجد مكانا صالحا للنوم.

ويختتم المؤرخ الشاعر قوله بأن كل ذلك وقع لمدينة اجـادة .

لم ينبت في مكان جر القوارب سوى الاعشاب الضارة

وطرق العربات لم تنبت سوى النبات الباكي

ولا انسان يستطيع ان يعيش

بسبب الماعز الوحشي والديدان والافاعي وعقارب الجبل

وفي السهول حيث نمي النبات المسـر للقلب لـم ينم سـوى « قصب الدموع »

وفي أكاد بدل المياه العذبة الجارية جرت المياه المرة

ومن قال سأسكن تلك المدينة لم يجد موضعا صالحا للسكن

ومن قال ساضطجع فيها لم يجد للنوم مكانا صالحا

في الاخـلاق :

ان التراتيل التي نظمت للالهة نانشي والاله اوتو تبين أن حكماء سومر قد فضلوا ماهو اخلاقي وصالح على الفساد والكبرياء والظلم والسرقة وكل ما هو خارج على مبادىء الاخلاق وقد خصوا عـدة الهة بالاشراف على النظام الاخلاقي بكونهوظيفتهم الرئيسية وامتدحوا الصدق والعدل والرحمة .

وفي احدى التراتيل وقوامها نحو /٢٥٠/ سطرا تحوى اوضح اقوال في السلوك والاخلاق وهي تصف الالهة نانشي هكذا :

هي التي تعرف اليتيم وتعرف الارملة

تعرف ظلم الانسان للانسان ، وهي ام اليتيم
نانشي التي تعتني بالارملـة
التي تنشر العدل لافقر الناس
انها المملكة التي تحتضن اللائذين بهـا
وتهيء المـلاذ للضعفاء ....
وقد وصف الاشرار من البشر هكذا :
من سلك سبيل العدوان واغتصبت يداه ماليس له ،
من تخطى النظم المقررة ونقد العقود والعهود ،
من نظر نظرة الرضى الى مواطن الشر ،
من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير ،
من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير ،
من أكل ماليس له ولم يقل « اكلته »
ومن شرب ماليس له ولم يقل « شربته »
من قال لآكلن ما قـد حـرم
ومن قال لاشربن ما قد حرم
نانشي تواسي اليتيم ولا تهمل الارملة
تعد تعد المكان الذي تهلك فيه الطغاة
وتسلم الاقوياء للضعفاء ...
ان نانشي تبحث في قلوب البشر ... »

ويقول نشيد لنرجال اله العالم السفلي كوتا :

ترتدي النور

وتحني رؤوس المتكبرين

قوية هي أياديك ورحب هو صدرك

وما أن تشع عظمتك المرهبة

فان المسيء والشرير يرتميان

في أصداع الارض ....

في الحكمة :

وجدت في مدينة نيبور بعثة جامعة بنسلفانيا قصيدة مدونة على ستة ألواح في ـ ١٣٩ ـ سطرا ـ . وقد جمع ما بقي دون تلف . وأهمية هذه القصيدةالسومرية تكمن في كونها أول محاولة مدونة للانسان في معالجة موضوع العذاب والخضوع الذي اشتهر في الادب الديني بسبب سفر أيوب رغم أنها قد دونت قبل سفر أيوب بنحو ألف عام .

عنوان القصيدة « لولو نما دنجيري » أي « الانسان وتمجيد الهه » ، يعرض فيها الشاعر قصة رجل لم يذكر اسمه كان غنيا حكيما وصالحا ينعم بصفاء العيش مع الاصدقاء وذوي القربى ثم أحدقت به المصائب والاسقام . فلم يجدف أو يعترض على الله بل توجه اليه بذلة وخضوع . فناح وذرف الدموع وتضرع . فسر الهه لذلك وشمله برحمته واستجاب لصلواته وخلصه من بليته وأحال عذابه الى فرح وسرور . وقد جاء بعدها قصيدتان تطرقان نفس الموضوع هما

« لودلول بيل نمقي » أي « سأمجد رب الحكمة » البابلية وسفر أيوب في العهد القديم •

لولو نماه دنجيره

انني رجل عارف مدرك ، لكن الذي يحترمني لايفلح ،

لقد تحولت كلمتي الصادقة كذبا

لقد اكتنفني الرجل المخادع بـ « الريح الجنوبية » وأنا مكره أن اخدمه

والذي لم يوقرني قد اخزاني امامك

لقد غمرتني بالعذاب المستديم المتجدد

ادخل البيت وانا مثقل بالاحزان

واخرج الى الشوارع وانا معذب القلب

لقد غضب علي راعي الصالح ونظر الي نظرة العداء

لقد ساق علي راعي قوى الشر • أنا الذي لست عدوه

وصاحبي لايقول لي كلمة صدق

وصديقي يقول عن صدقي انه كذب وزور

لقد تآمر علي الرجل المخادع

وانت يا الهي لاتحبط مسعاه ••••

انا الحكيم ، لم أقيد مع الاحداث الجهلة ؟

انا المدرك ، لم احسب مع الجهال ؟

الطعام وفير في كل مكان ولكن طعامي الجوع ؟

في يوم القسمة ، كان نصيبي العذاب والالـم .
يا الهي اريد أن أقف بـين يديك
أريد أن أكلمك .... وكلمتي انـين وحسرة
أريد أن أعرض عليك امري واندب مرارة سبيلي
أريد أن أندب اضطراب نفسي ؟
على أمي التي ولدتني أن لاتكف عن الرثاء لي امامك
لتكف اختي عن الترنم وترديد الاغنية السعيدة ؟
ولتبك وتنح بمصائبي بـين يديـك ؟
لتصرخ زوجتي بالرثـاء لعذابـي
وليندب المغني المـاهر نصيبي التعس
يا الهي يشرق النهار نيرا على البلاد لكن نهاري مظلم
الدموع والنواح والجـزع والغـم ملازمة لـي
يحذق بي العذاب لكن كمن لم يقدر له سوى الدموع
الحظ السيء يمسك بي ويسلبني حتى نفس الحياة
والمـرض الخبيث يعـم جسدي ....
يا الهي ، يامن انت ابي الذي ولدني ارفع وجهي
كالبقـرة البريئـة ، بعطـف اصـغ لانيني
الى متى ستهملني وتتركني بـدون حمايتك ؟
الى متى ستتركني بـدون هدايتك ؟

لقد قال « الحكماء الصناديد » كلمة حق وصدق :
لـــم يولد لام طفــل بلا خطيئة
والطفل البرىء لم يوجد قط منذ القدم •
ان ذلك الرجل ــ قد استمع الهه لبكائه ومر دموعه
ان ذلك الشاب ــ قد استرضى نواحه قلب الهه
وتقبل منه الهه كلماته الصادقـــة الطاهرة
ان الكلمات التي اعترف بها الرجل في صلاتـــه
قد افرحت لحم الهه ، فسحب يده من كلمة الشر
لقد طرد شيطان المرض الذي نشر عليه جناحيه
والمرضى الذي ضربه بـــه ــ قد أزاله وبدده
وبدل مصير السوء الذي قدر عليه بموجب حكمه
وبدل عذاب الرجـــل فرحـــا وحبـــورا
واقام الى جانبه الملك الحارس ليحميه ويحرسه
زوده •••• بملائكة سيماؤهم خـــيرة •

في الامثـــال :

لقد بقي الناس لفترة طويلـــة يظنون ان سفر الامثال في العهـــد القديم هو أقدم مجموعة من الامثال الحكمية في التاريخ المدون • انه من أقدم الامثال وليس أقدمها وقـــد كتب في القرن /٥/ ق•م وهو وحدات ادبية لحكماء مختلفين جمعت في كتاب واحد ثم نسبت لسليمان رغم أن ملك في القرن /١٠/ ق•م أي قبل خمسة قرون تحت اســـم

« مشلي شلومو » ولكن هناك ثلاث مجموعات أقدم من القرن /٥/ وهـي •

١ ــ حكمة احيقار الذي جمع نحو /٥٥٠/ ق•م وهو مجموعة أمثال وحكم آشورية وبابلية كتب بالآرامية • وكان احيقار مستشارا للملكي آشور سنحريب (٧٠٤ ــ ٦٨١) ق•م وابنه اسر حدون (٦٨٠ ــ ٦٦٩) ق•م •

٢ ــ الحكم المصرية ــ وقد كشفت مجموعات منها في القـرن « ١٩ و ٢٠ » •

٣ ــ لكن الامثال السومرية هي أقدم الامثال واقدم من المصرية بعـدة قـرون •

منذ قبل أربعين عاما تقريبا لم يعرف أي امثال سومرية بلغة واحدة، بل كان هناك بعض الامثال السومرية مـع ترجمتها الاكادية • تعـود للالف الاخير ق•م •

ولكن في عام ١٩٣٤ نشر ادوارد كبيرا عدة ألواح في الامثال من مجموعة نيبور كتبت في القرن /١٨/ ق•م ومنذ ١٩٣٧ أخذ صموئيل كريمر بجمع ألواح الامثال من متحفي جامعة بنسلفانيا والشرق القديم في استنبول ، منها نحو /٨٠/ لوحا في استنبول « وقد استخرج ادموند جوردون نحو ثلاثمائة مثلا » مـن هذه الالواح وضعها في أربـع مجموعات • ولاشك ان الامثال السومرية بقيت تتردد شفويا عدة قرون قبل أن تـدون •

١ ــ هل يكون حمل بـلا جماع

وهل يكون سمنة بـلا أكل ؟

٢ ــ كتب علينـا المـوت فلننفـق

وما دمنا سنعيش طويــلا فلنوفــر ؟

٣ ــ الشعير المبكر سيفلح ؟ ــ كيف نعلم ؟
الشعير المتأخر سيفلح ؟ ــ كيف نعلم ؟

٤ ــ خير للفقير ان يموت من أن يعيش ؟
ان كان لديــه الخبز فقــد الملــح
وان كان لديــه الملــح عــدم الخبز
وان كان لديه اللحم فقد فقد الحمــل
وان كان لديه الحمل فيكون قد فقد اللحم ؟

٥ ــ يقترض الفــير فتركبه الهموم ؟

٦ ــ ليس كل عيال الفقير خضوعين على السواء

٧ ــ من ملك الفضة الكثيرة يمكن ان يكون سعيدا !
ومن ملك شعيرا كثيرا يمكن أن يكون سعيدا
ولكن من لا يملك شيئا يمكنه أن ينام

٨ ــ انني جواد أصيل ولكني ربطت مع البغل
وعلي أن اجر العربة واحمل القصب والاكداس

٩ ــ الوصيف (الزلة) يلبس دائما الثياب القذرة

١٠ ــ كل امرء يميل الى من يلبس الثياب الفاخرة

١١ ــ الكاتب الذي لايعرف السومرية ، أي كاتب يكون ؟

١٢ ــ من لم يعل زوجة أو طفلا سلم أنفه من المقود ؟

١٣ ــ زوجتي في المعبد وامي عند النهر .
وأنا هنا أموت جوعا ؟
١٤ ــ المرأة المتبرمة في البيت تضيف عذابا الى عذاب
١٥ ــ من أجل لذته ــ الزواج
واذا ما تفكر بالامر ــ الطلاق
١٦ ــ القلب الفرح ــ العروس
القلب المنغم ــ العريس
١٧ ــ متجر في الصحراء حياة الرجل
والحذاء عين الرجل
والزوجة مستقبل الرجل
والابن ملجأ الرجل
والابنة خلاص الرجل
والكنة شيطان الرجل
١٨ ــ الصداقة تدوم يوما
وأما القرابة فتدوم أبدا
١٩ ــ لم يستطع كلب الحداد أن يقلب السندان
فقلب وعاء الماء بدلا منه
٢٠ ــ لم يمسك الثعلب بعد
لكنه يصنع الحبل لعنقه

٢١ ــ تخلصت من الثور الوحشي فجابهتني البقرة الوحشية

٢٢ ــ يد ويد ويعمر البيت معدة ومعدة ويخرب البيت

٢٣ ــ الدولة الضعيفة التسليح لايطرد العدو من أبوابها

٢٤ ــ تذهب فتأخذ ارض العدو ثم يأتي العدو ويأخذ أرضك

٢٥ ــ يمكن أن يكون لك سيد أو يكون لك ملك
لكن من تخشاه فهو الجابي

٢٦ ــ الانسان أطول انسان لا يمكن أن يطال السماء
الانسان اعرض انسان لا يمكن أن يغطي الارض

٢٧ ــ من يترك القتال قبل ان ينتهي لن يعيش في سلام

في قصص الحيوان :

المشهور من قصص الحيوان والحكم والعبر المروية على لسان الحيوانات عند الرومان والاغريق واوروبا هي قصص ايسوب الذي عاش في آسيا الصغرى في القرن السادس قبل الميلاد •

ولا يوجد في الاشعار الهوميرية حكم وقصص على لسان الحيوان ولكن بعض الشعراء الاغريق ذكروا قصص متفرقة من هذا النوع حتى في القرنين / ٨ و ٧ / ق•م كقصة الباشق والعندليب ل هيسيود والثعلب والقرد لـ ارخيلوخوس • وكانت تظن أنها أقدم قصص في العالم • واشهر قصص على لسان الحيوان في الشرق هي مجموعة (كليله ودمنه) التي نقلها الى العربية عن البهلوية عبد الله بن المقفع المتوفي عام ٧٦٠ م • والاصل الهندي لقصص كليله ودمنه وجد منذ القرن /٤/ ق•م وما بعد •

لكن ألواح سومر تكشف أن أقدم قصص الحيوان كانت سومرية وأقدم من ايسوب بأكثر من ألف عام • وقد جمع غوردون أمثال وقصص على لسان الحيوان بلغت /٢٩٥/ مثلا وقصة لها علاقة بنحو /٦٤/ نوع من الحيوانات من اللبونة وحتى الحشرات ، ويبدو أن أكثر القصص تدور حول الكلاب فمن أصل الـ /٢٩٥ ـ ٨٣/ قصة عن الكلاب ، ثم البقر ، ثم الحمار ، ثم الثعلب ، ثم الخنزير ، ثم الغنم، وأخيرا الاسد ، والثور البري والماعز ، والذئب •

عن شراهة الكلب :

ذهب الكلب الى وليمة ولما نظر الى العظام الموجودة خرج وقال « حيث أنا ذاهب سأجد كمية أكبر لآكلها » •

عن حب الاطفال :

قالت الكلبة باعتزاز « لا فرق عندي أكانوا صغاري بلون الظبي أم مرقطين فاني احب صغاري » •

والثعلب مكار ويتباهى منافقا يريد أن يضخم دوره أكثر من حقيقته بالادعاء الفارغ : ـ

دعس الثعلب على حافر الثور البري وقال « ألم يؤلمك »

لم يستطع الثعلب ان يبني لنفسه بيتا فدخل بيت صديقه كالمنتصر

كان مع الثعلب عصا فقال « من سأضرب بها » وحمل وثيقة

قانونية فقال « ماذا استطيع أن اتحدى ؟ »

يكز الثعلب بأسنانه بينما رأسه يرتجف ؟

« قال الثعلب لزوجته « هلمي ولنسحق مدينة اوروك بأسناننا

كالكرات ؟ وهلمي لنشد مدينة كلاب الى أقدامنا كما لو كانت صندلا»
ولكن عندما وصلا لمسافة /٦٠٠/ جار (نحو ميلين) من المدينة أخذت الكلاب تنبح عليهما من داخل المدينة فصاح الثعلب لزوجته « جمي تمال جمي تمال ؟ لنذهب الى البيت لنهرب ؟ انهم يتهددوننا بالنباح من داخل المدينة .

طلب الثعلب من الاله انليل قرني ثور بري فلصق له قرنين ثم ثارت الرياح والامطار ولم يستطع الثعلب ان يدخل حجره . ونحو نهاية الليل عندما هبت ريح الشمال الباردة وهطلت الامطار عليه تضرع الى انليل ان ينزع القرون من رأسه .

عن شرف الاسد :

الاسد في الادغال لا يلتهم الرجل الذي يعرفه .

عندما اتى الاسد الى حظيرة الغنم كان الكلب يحمل مقودا من الصوف .

امسك الاسد بخنزير بري وأخذ يعضه قائلا حتى الآن لم يملأ لحمك فمي بينما زعيقك أصم أذني .

تباهى الفيل وقال ليس مثلي في الوجود فلا تشبه نفسك بي فأجابه عصفور صغير ولكن أنا مع صغري قد خلقت كما خلقت أنت .

الحمار يأكل حتى فراشه ؟

لم يقدر لحماري ان يركض بسرعة بل قدر له أن ينهق (يشهنق)

بعد ان رمى الحمار حمولته قال ويلات الماضي لاتزال كثيرة في أذني .

قوة شبابي تركت ساقي كالحمار الهارب ؟

لن اتخذ زوجة عمرها ثلاث سنوات كما يفعل الحمار ؟

ويبدو أن الحصان عرف في سومر نحو /٢٠٠٠/ ق٠م كحيوان للركوب وقد وجد مثل يعود الى / ١٧٠٠ / ق٠م عن الحصان يقول٠

بعد ان رمى الحصان راكبه قال « اذا كان هذا حملي دائما فأنا ضعيـف » ٠

وأما عن البغل فيسخرون من تحدره ويقولون ٠

« أيها البغل هل سيعرفك أبوك أو ستعرفك امك ؟ » ٠

عندما يذبح القصاب الخنزير يقول له « ايجب أن تزعق ، هـذا هو الطريق الذي سلكه أبوك وجدك وأنت تسلكه الآن أيضا ورغـم ذلـك تزعـق » ٠

كل اريدو تعيش برخاء لكن قرد قاعـة الموسيقى يجلس في كومة النفايـات ٠

كتب القرد رسالة الى امه يقول :

امي لوسا لوسا تكلمي : هذا ما يقوله القرد ، ان اور هي مدينة الاله نانا المبهجة واريدو هي مدينة الاله انكي المزدهرة ولكني أنا هنا أجلس خلف أبواب قاعة الموسيقى الكبرى ٠ علي أن آكل النفايات وارجو أن لا أموت من ذلك ، حتى انني لا أذوق الخبز ولا أعرف طعم الجعة ٠ ارسلي لي ساع خاص ٠٠٠ مستعجل !

في أدب الحوار :

في الادب السومري المعروف ثلاثة قصص تمثل نزاع الراعـي والفلاح قبل أن تمثل هذا النزاع قصة قايين وهابيل في التوراة ٠ وهي قصة لهار الراعي واشنان الفلاحة ٠

صـار لهار يقف في حظيرتـه

وهو الراعي الذي أفاض من خيرات الحظائر

واشنان تقــف بــين غلاتهــا

وهــي العــذراء الطيبــة السخية

وبعد أن أكثر لهار واشنان من شرب الخمر أخذا يتشاجران في المزارع والحقول • يتجادلان ويتفاخران • كل يقلل من أهمية الآخر وأخيرا يعلن انليل وانكي تفوق اشنان الفلاحة •

كذلك نجد في الادب السومري حوار الاخوين ايعيش (الصيف) واثين (الشتاء) الراعي والفلاح ويختلفان ويصلح انليل ما بينهما •

لقد جعل « اثين » النعجة تلد الحمل والعنزة تلد الجدي

وجعل الابقار والعجول تتكاثر ، وأكثر الحليب والزبد

وأما ايعش فقــد أوجد الاشجار والحقول

وسع المرابط وحظائر الغنم

وفي المزارع ضاعف الانتاج وغطى الارض

جعل الحصاد الوفير يملأ البيوت ويتكدس في الاهراء

وفي الخصومة بــين ايغش واثين

انتصر اثين فلاح الالهة المخلص على ايشن

فسبحانك أيهــا الاب انليــل ؟

واما الحوار الثالث فيقع بين دوموزي (تموز) الراعي وانكيمدو الفلاح بسبب حبهما لنفس المرأة انانا (عشتار)• احب دوموزي أنانا وكم قصد بيت الالهه بينما اللبن والزبد يقطر من يده وجوانبه • يلح

بالدخول بينما هـي تغتسل وتطيب نفسها بالدهون وترتدي حللها الملكية وتزين نفسها بالحجارة الكريمة قبل أن تفتح الباب لتستقبل عريسها المرتقب •

لكن دوموزي لم يكن العاشق الوحيد بل وجد منافسا اه في الفلاح « انكيمدو » فتقدما يطلبانها مـن اخيها « اوتو » (شمس) وهو اله العدل والمساواة والمهتم بخير البشر • فنصحها اخـوها ان تختار من هو أكثر نفعا للبشر وحسب رأيه يكون الراعي ودار حوار كل يدافع عن نفسه ويبرر تقدمه من « ملكة السماء » لكن انانا كانت تفضل الفلاح على الراعي •• لكن ••

اخاها البطل المحارب اوتـو
يقول لانانا الطاهـرة
يا أختاه دعي الراعي يتزوجك
يا انانا العذراء ، علام انت راغبة عنه ؟
ان زبده طيب وحليبه لذيـذ
وأي شيء مـسه يـد الراعي يصبح زاهيا
يا انانا دعي الراعي دوموزى يتزوجك
انت يا من تتحلين بالجواهر علام عزوفك ؟
سيشاركك اكل زبده الطيب
فيا حامية الملك لماذا لاتقبلين؟
اجابت انانا بالرفض وصممت ان تتزوج الفلاح انكيمدو :
انا لن يتزوجني الراعي

وبحلته الجديدة سوف لايكسوني
وصوفه الناعم سوف لا يغطيني •
أنا العذراء الفلاح سيتزوجني
الفلاح الذي يجعل النباتات تنمو بوفرة
الفلاح الذي يجعل الحبوب تنمو بغزارة ؟
فادلى دوموزى بدفاعه وقارن نفسه بالفلاح :
الفلاح افضل مني ؟ ماعند الفلاح اكثر مني ؟
انكيمدو صاحب السد والساقية والمحراث
افضل مني ؟ فماذا عند الفلاح اكثر مني ؟
اذا ما اعطاني حلته السوداء ،
اعطيته نعجتي السوداء بدلاً منها ،
اذا ما أعطاني حلته البيضاء
أعطيته نعجتي البيضاء بدلاً منها •
اذا ماسكب لي جعته المفضلة
قدمت للفلاح لبني الاصفر بدلا
اذا ماصب لي جعته الجيدة
فسأعطية لبن « الكسم » بالمقابل
واذا ادار جعته المخففة
ادرت له لبن النبات مقابلها
واذا ما اعطاني من اطايبه

فـأعطي الفلاح لبن أثردا .

واذا قدم لي خبزه الطيب

فـأعطي الفلاح جبني الحلو بدله

واذا ما قدم لي فوله الصغير

قدمت للفلاح جبني الصغير بدلـه

وبعد ان آكل واشرب كفايتـي

سابقي له الزبد الفائض

وسابقي له الحليب الزائـد

الفلاح افضل مني ؟ ماذا عنده اكثر مني ؟

ولعل حجج الراعي اقنعت اتانا أن تتزوجه فنراه مبتهجا عنـد ضفة النهر بعد أن غيرت رأيها وهناك يلتقي بالفلاح فيبدأ الخصام .

لقد ابتهج ، على طين الضفة ابتهج

ان الراعي على ضفة النهر ابتهج

وفوق ذلك ساق الراعي غنمه على ضفة النهر

والى الراعي الذي يمشي ذهابا وايابا عند الضفة

اقترب الفلاح ، اقترب الفلاح من الراعي ،

الفلاح انكيمدو قد اقتـرب

الفلاح ملك السد والجدول في سهلـه

لقد شرع الراعي في سهله يخاصمه

الراعي دوموزى في سهله بدأ يخاصمه .
لكن انكيمدو يرفض ان يدخل في الخصام ويسمح لدوموزى ان يرعى قطعانه في أية بقعة شاء من أراضيه .

أيها الراعي لماذا اخاصمك

دع اغنامك تأكل عشب الضفة

وفي أرضي المزروعة دع اغنامك تسرح

وفي حقول اوروك الخضراء فلتأكل الحبوب

ودع اجداءك وحملانك تشرب ماء جدولي « اونون »

رضى تموز من كرم الفلاح فدعاه كصديق الى حفل عرسه :

انا الراعي عساك تحضر حفل عرسي

ايها الفلاح عساك تحسب لي صديقا

أيها الفلاح انكيمدو لتكن من اصدقائي .

انشرح قلب الفلاح فعرض على دوموزى وانانا بعض الطيبات من انتاج مزرعته هدية العرس :

سأقدم لك قمحا سأحضر لك فولا

سأحضر لك عدسا

واليك ايتها العذراء انانا مهما اردت

ايتها العذراء سأقدم لك .

أدب الملاحظم :

اشتهر في التاريخ ثلاثة عصور بطولة عرفت جيدا وهي عصر

البطولة الاغريقي الذي ازدهر نحــو نهايــة الالف الثاني ق٠م وعصر البطولة الهندي الذي جاء بعد الاغريقي بنحو قرن ثم عصر البطولــة التيوتوني الذي عم شمال اوروبا في القرن ٤ً ــ ٦ً م٠ مع تشابــه واضح بين العصور الثلاثة بسبب عوامل اجتماعية وسياسية ونفسيــة متشابهة ٠

وتميزت عصور البطولة بالادب الملحمي اذ كان الشعراء والمغنون ينظمون القصائد القصصية أو الاغاني التي تشيد بأعمال المغامرةومآثر البطولة الخاصة بالملوك والنبلاء وتتلى في المآدب والاعياد ٠ على ان تلك الملاحم لم تصل في صورها الاصلية لتأخر تدوينها عن عصر البطولة ذاته ٠ لان المؤلفين الاصليين كانوا شعراء ومغنين اميين من قبــل عصر الكتابة ، لذا جاءت الملاحم المدونة نسخا ادبية منقحة ومجموعات مختارة لاتحوي عددا مختارا من الاناشيد وقصائد الايام القديمة ٠

وفي ألواح سومر اكتشف عدد من القصائد الملحمية تدخل عصر بطولة آخر واقدم في تاريخ عصــور البطولة هــو عصر البطولــة السومري ٠ الذي يسبق عصر البطولة الاغريقي بنحو /١٥٠٠/ عاما٠ وهناك كل الاسباب للاعتقاد بأن تدوين أدب الملاحم السومري قــد تأخر بنحو / ٥٠٠ ــ ٦٠٠ / عاما عن نهاية عصر البطولة وبعد ان دخل عليه تعديلات جمة على ايدي الكهنة والكتاب ٠ والنصوص المعروفة الآن ترقى الى النصف الاول من الالف ٢ً ق٠م فهي الاقدم ويمكن القول بأن الشعر الملحمي قد بدأ في سومر ٠

وتختلف قصائد الملاحم السومرية في انها تتألف مــن قصص منفردة منفصلة مختلفة الاطوال وقد اختصت كل واحدة منها بحادثة منفردة فلم يحاول السومريون جمع الحوادث وتنسيقها وربطها وجعلها في وحدة اكبر واشمل ٠ فكان الشعراء البابليون اول من حقق ذلك

حيث اقتبسوا تلك القصص السومرية القصيرة وحوروا فيها واعادوا صياغتها وزادوا عليها • ويتضح هذا العمل البابلي خاصة في ملحمة جلجامش البابلية التي تتجلى فيها مقدرتهم على انتاج ملحمة مركبة طويلة • كذلك الشعر السومري يقصر في تصوير الاشخاص والتعمق النفساني في تحليل سجاياهم فيكونون عاديين دون ميزات خاصة فتروى حوادث القصة باسلوب جامد يختلف عن الشعر البابلي والاغريقي • كما ان النساء معدومات الادوار في ادب الملاحم السومري • ومن ناحية الصيغة والاسلوب كان الشاعر السومري يضمن التأثيرات الموسيقية الايقاعية على الاغلب بطريق التنويعات الناجمة من الاساليب المعادة المكررة • وهو لا يستعمل ابدا اسلوب الاوزان او الابيات الشعرية المنتظمة المطردة • وهو الامر الذي يميز أسلوب أدب الملاحم الهندو اوروبي • •

وما لدينا الان من شعر الملاحم السومري هو تسع قصص ـ اثنتان تدوران حول انمركار واثنتان حول لوجال بندا وخمسة حول أشهر ابطال الملاحظم جلجامش • والثلاثة مذكورون في ثبت الملوك السومريين في اوروك وهم الملوك الثاني والثالث والخامس وبعدهم انتقلت القيادة الى كيش •

والقصيدة الاولى عن انمركار هي التي ذكرت تحت عنوان حرب الاعصاب واما القصيدة الثانية فهي أيضا تدور حول الصراع من أجل السيادة والقيادة بين اوروك وارتا ولكن هذه المرة سيد أرتا واسمه هنا انسوكو شسيرانا يتحدى انمركار ويرسل كاهنا من رتبة مشمش الى اوروك فيقتل وبعدها تدور الدائرة على ارتا فتخضع لاوروك •

واما ما جاء عن لوجالبندا فقصيدة يمكن عنوتها « لوجا لبندا

وانمركار » وتتألف من أكثر من أربعمئة سطر ؟ فيها تجد لوجا لبندا تائها في أرض « زابو » البعيدة ويريد العودة الى اوروك • فعزم أن ينال صداقة طير الامدوغود الذي يقدر المصائر • فذهب لوجالبندا الى عش الطير أثناء غيابه وقدم لفراخه الدهن والعسل والخبز وصبغ وجوههم • ولما عاد طير الامدوغود قرر أن يصنع جميلا مع صانع الجميل ـ فتقدم لوجالبندا واعطاه كلمة العودة مع البركات وعاد الى اوروك • هناك وجد سيده انمركار ابن اوتو في حزن عميق لان المارتو (الآموريين) كانوا يتغلغلون وينهبون في بلاد سومر وأكاد ويحاصرون اوروك • وهنا برز لوجالبندا بمهمة خطيرة وهو أن يذهب وحده الى انانا سيدة اراتا ليطلب منها العون لانمركار • فتسلح وعبر سبعة جبال ووصل ارتا وبلغ رسالة انمركار الى انانا والنهاية غير واضحة •

والقصيدة الثانية يمكن عنونتها « لوجالبندا وجبل هرم » وطولها نحو /٦٠٠/ سطرا • وفيها ان انمركار ملك اوروك قام بحملة على أرتا بأمرة سبعة قادة « ابناء حميمون لكلاب » أبناء الالهة اوراش «ولوجالبندا ثامنهم»ولما وصلوا جبلهرم سقط لوجالبندا فريسةمرض شديد حاول زملاؤه أن يسعفوه عبثا وقطعوا الامل من شفائه بعد أن بدا وكأنه ميت ، فقرروا تركه على جبل هرم ومتابعة الحملة على ان يأخذوا جثته حين العودة من أرتا الى كللاب • وبعد يومين ونصف من العذاب وحيدا في محنته رفع لوجالبندا رأسه الى شمس الشروق الى الاله « اوتو كما لو الى ابيه الذي ولده وتضرع بصلاة » كي لا يدعه يفنى على جبل هرم •

« حيث لا ام تقف الى جانبي ولا أب

لا صديق يقف الى جانبي ولا عزيز

حيث لاتقول لي أمي « يا بني »

وحيث لا يقول لي أخي « آه يا أخي »

وتقبل اوتـو صلاتـه

وانزل اليه الى جبل هرم نفس الحياة » •

ثم يرفع لوجالبندا عينيه نحو الزهرة ويتلو صلاة الى انانـا العاهرة الذاهبة الى الماخور والتي تطيب غرف النوم وكما لو لابيـه الذي ولده يتلو صلاته بان لاتدعه يفنى على جبل هرم ، جبل شجر الخاشور • وقبلت انانا صلاته واعطته نفس الحياة وغطته كالحلة بقلب فـرح •

ثم رفع لوجالبندا وجهه الى القمر وتلا صلاته الى الالـه سين « الكوكب الذي ينير الجلد بعد الغروب الذي ينير ظلمة الليل والذي طلعته اللامعة تنير جبل هرم » •

« أيهـا الملك الذي لايطال في السماء البعيـدة ،

ايه سين ، يامن لاتطـال في السمـاء البعيدة ،

ايها الملك الذي يحب الاستقامـة ويكره الشر

ايـه سين ، يامن تحب الاستقامة وتكره الشر

امـح الشـر كأفعى ••• »

اصغى سين الى لوجالبندا « واعطاه الحياة » ثم يعود لوجالبندا ويرفع عينيه الى الشمس ويتلو صلاة تمجيد الى اوتـو :

ايه اوتو ياراعي البلاد واب ذوي الرؤوس السود

عندما تذهب الى النوم يذهب معك الشعب لينام

يا اوتو القدير ، عندما تنهض ينهض الشعب ايضا معك
بدونك يا اوتو ، الامير لا يترحل ، والعبد لا يسافر
ولن يسافر لوحده أنت الشقيق التوأم
وللرجل في رحلة يا اوتو أنت ثالثه ،
وللاعمى انت العين التوأمة
الفقير والبائس والعريـان
يلفهم صدور نورك كحلة من الصوف الطويل
والمحتاج تغطيه بحلة من الصوف الابيض
أيها البطل ابن الالهة الالهة تنجال ، اني أنشد مجدك ؟

عادت صحة لوجالبندا بعد ان تلقى خبز الحياة وماء الحيـاة وهام وحيدا في المرتفعات الصحراوية يعيش على صيد البر والنباتات البرية.

ومرة في نومه حلم لوجالبندا بان اوتو امره بأن يحمل سلاحه ويصطاد ثورا بريا يقدم شحمه لاوتو المشرق • وانيذبح جديا ويسكب دمه في حفرة وينثر شحمه على السهل •

ولما أفاق لوجالبندا لم يكتف بتنفيذ ما جاء في الحلم وحسب ، بل حضر طعاما وشرابا قويا لـ آن وأنليل وانكي ونهورساج الالهة الاربعة الرئيسية في البانتيون السومري وينتهي الشعر بمدح أنوار السماء السبعة التي تساعد اله القمر نانا واله الشمس أوتو والهـة الزهرة انانا في اضاءة الكون •

وأما القصائد عـن جلجامش فهـي جلجامش وارض الاحياء ، جلجامش ونور السماء موت جلجامش ، وجلجامش واجا ملك كيش جلجامش وانكيدو في العالم السفلي • وقد اقتبس البابليون هـذه الاشعار ونسقوها وزادوا عليها في تأليف ملحمة جلجامش البابليـة الا أن « جلجامش واجا ملك كيش » فلم تدخل في الملحمة كما أن موت جلجامش ذاته لم يدخل القسم الاخير منـه •

ان فكرة قتل التنين ممثل الشر قد وجدت في ميتولوجية كثير من الشعوب لكنها اشتهرت في الادب الديني المسيحي في قصة القديس جاورجيوس وقتل التنين عند خليج مار جرجس في بيروت ، وقد خلدت هذه القصة آلاف اللوحات الفنية في البيوت والكنائس في مختلف أرجاء العالم •

وفي ألواح سومر ثلاث قصص لقتل تنين الشر أولها قصة الـه مياه العمق انكي يقتل كور الذي اختطف اريشكيغال الـى العالم السفلي حيث أصبحت الهه عالم الاموات •

والثانية قصة اله الريح الجنوبية البطل نينورتا في نحو ـ ٦٠٠ ـ سطرا يقتل شيطان المرض « أساج » الذي يسكن « كواري » السفلي •

والثالثة قصيدة « جلجامش وأرض الاحياء » التي تعادل قصة غابة الارز في ملحمة جلجامش البابلية وفيها يقتل جلجامش وصديقه انكيدو والتنين هواوا ساكن غابة الارز في جبال اللكام • وهذه المرة بطل القصة انسان وليس الها كما في القصتين السابقتين وخلاصة القصة أن السيد جلجامش عندما تحقق انه ككل الفانين سيموت عاجلا أم آجلا صمم أن يخلف اسما خالدا قبل أن يصل الى النهاية المحتومة فتوجه بأفكاره الى « أرض الاحياء » البعيدة حيث يمكن أن يقطع بعض أشجار الارز يحضرها الى أوروك ليستخدمها في بناء المعابد • أخبر صديقه أنكيدو بما يجول في خاطره فأخبره بأن هذه الارض تخص اله الشمس اوتو • فقدم له الذبائح راجيا منه العون في مهمته •

وعندما قرر أن يعينه اختار جلجامش خمسين شابا من اورك ليس لهم « بيت أو أم » مستعدين لان يفعلوا كل ما يأمرهم به • واستحضر الاسلحة ثم عبر الجميع سبعة جبال بعون اوتو بعد ذلك

سقط جلجامش في نوم عميق وبعد أن أفاق أقسم بأمه ننسون وأبيه لوجالبندا بأنه سيدخل أرض الاحياء ، لا يرده أي تدخل كان ، من انسان كان أم من اله • لكن انكيدو خاف ورجاه أن يعود أدراجه لان حارس الارز هو التنين هواوا الذي لا يقف في وجهه أحد • لكن جلجامش شجعه • كان هواوا يراهم من بيته الارزي فرجا جلجامش أن يعود عن مقاصده ، لكنه قطع سبع أرزات ووصل الى حجرة هواوا ويبدو أن هواوا خاف فتضرع الى اوتو وجلجامش فحن جلجامش وأراد أن يعفو عنه لكن انكيدو أخذ يحرضه فدارت المعركة وقتلا التنين وقطعا رقبته وقدما الجثة امام انليل وننليل •

الى أرض الاحياء توجه السيد بأفكاره

السيد جلجامش عزم على المضي الى أرض الاحياء ،

فقال لخادمه انكيدو ،

يا انكيدو ان الختم والاجر لم يعلنا بعد النهاية المقدرة

سأدخل تلك الارض وسأخلد اسمي هناك

سأقيم اسمي حيث تكتب أسماء عظماء الرجال

وحيث لم تقم الاسماء بعد سأقيم أسماء الالهة »

فأجابه خادمه انكيدو :

« سيدي ان أنت أزمعت أن تدخل تلك الارض

فأخبر اوتو ، اوتو البطل

ان الارض أرضه

ان ارض الارز الذي ستقطعه تخص اوتو

أخذ جلجامش جديا أبيض لا شية فيه
وجديا أسمر على صدره يقدمهما قربانا
حمل الاثنين في حضرة شمش
وأخذ في يده صولجانه الفضي
وقال مخاطبا اوتو السماوي
أي أوتو أريد أن أدخل تلك الارض فكن حليفي
سأدخل أرض الارز المقطوع فكن سندي •
فأجابه اوتو السماوي
« أي جلجامش حقا أنك قوي
ولكن ما شأنك وأرض الاحياء ؟
« أي اوتو أريد أن أكلمك فاسمع كلمتي
أريدها أن تصل اليك فاستمع لها
يموت الرجل في مدينتي وقلبه مثقل بالهموم
يهلك الرجل وهو محزون القلب
ها أنذا أنظر من فوق الاسوار
فأرى الجثث تطفو على النهر
وأنا سيحل بي حقا نفس المصير
الانسان ، أطول انسان ، لا يمكنه ان يطال السماء
الانسان أعرض انسان لا يمكنه ان يغطي الارض
وما دام الاجر والختم لم يعلنا النهاية المقدرة بعد

فقد عزمت على دخول تلك الارض لاخلد اسمي
سأرفع اسمي حيث رفعت أسماء الرجال العظام
وحيث لم ترفــع الاسماء بعــد
سوف أرفع أسماء الالهة .
فتقبل اوتــو دموعــه بمثابة قربــان
وكرجل رحيم أظهــر لــه الرحمــة
وعــين لجلجامش حلفــاء أقويــاء
الابطــال السبعة ، أبنــاء أم واحــدة
وأتــى بهــم الــى كهــوف الجبال
ان من اقتلع الارز فقد فعل ذلك بسرور
السيد جلجامش عمــل بسرور وابتهــاج
وفي مدينته كالرجل الواحــد (وقفوا)
من كان لــه بيت فليعــد الى بيتــه
ومن كانت له أم فليعــد الــى امــه
ليكن خمسون رجلا عازبا يفعلون ما أفعــل
هــم الذين الــى جانبــي يقفــون
فمن كان لــه بيت فقــد عــاد الــى بيته
ومن كانت له ام فقد عــاد الى أمــه
ووقــف الــى جانبه خمسون اعزبــا

كمـا يفعـل يفعلـون
ووجه خطاه الى بيـت الحدادين
الفأس « قوة بطولته » جعلها تصب هناك
وتوجـه الـى بستان السـهل
شجرة الصفصاف والتفاح والبقس اقتطعها هناك
فأخذها أبناء مدينته الذين رافقوه في ايديهم

والاسطر الخمسة عشر التالية ناقصة لكن يفهم منها انـه بعد أن عبر سبعة جبال غط في سبات عميق •

لقـد لمـه لكنـه لايستيقظ
لقـد كلمه فلم يحـر جوابا
أيهـا النائم أيهـا الراقد ؟
يا جلجامش أيها السيد : يا ابن كللاب الى متى ستنام
لقـد اظلمت الارض وانتشرت الظلال عليها
والغسق قـد نشر ضوءه
لقد ذهب اوتو رافعا رأسه الى حضن امه ننجال
أي جلجامش حتـام ستظل نائمـا ؟
لا تدع أبناء مدينتك الذيـن رافقوك
يقفون مطيلين الانتظار في سفح الجبـل
ولا تدع أمك التي ولدتك تطرد الى ميدان المدينة

فاتتبــه ،

وبكلمة بطولته أحاط نفسه وكأنها رداء
ولف صدره بحلة تزن ثلاثين مثقالا كان يحملها بيده
وكالثور قام واقفا على الارض العظيمة ؟
ووضع فمه على الارض فاصطكت أسنانه بالقسم
بامي نشون التي ولدتني من أبي الطاهر لوجالبندا
ليتني أصبح كمن يجلس على ركبتي نسون فيعجب الناس بــي .
ثــم كــرر القــول ثانيــة
بأمي نشون التي ولدتني من أبي الطاهر لو جالبندا
حتى أقتل ذلك الرجل إن كان انسانا
أو حتى اقتلــه اذا كان الهــا
فان خطاي التي وجهتها الى تلك الارض لن اعود بها الى المدينــة .

فاستعطفه الخادم الامين وتضرع له من أجل الحياة
وأجــاب سيده
سيدي ، انك لست خائفا اذ لم تشاهد ذلك الرجل
وأنا الذي رأيته ، اني خائف أشد الخوف
فان ذلك المحارب له أسنان كأسنان التنين

ووجهــه وجــه أســد

وزمجرتــه كالسيل العــرم

من جبهته التي تلتهم الاشجار والقصب لا يسلم أحد

فيا سيدي سر أنت الى تلك الارض

وأما أنا فسأعود الى المدينة

وسأبلغ امك عن امجادك لعلها تفرح

سأخبرها عن موتك الآتي لعلها تذرف مر الدموع

ما من أحد سيموت عني والقارب المحمل لن يغرق

والنسيج ذو الطيات الثلاث لــن يقص

والنار لن تدمــر البيت والكــوخ

فان ساعدتني وساعدتك فما عسى سيحل بنا ؟

هلم نسر قدما ونلقي عليــه النظرات

واذا ما تقدمنا وبك خوف فانزع الخوف عنك

وان كنت تشعر بالهلع فاقض عليــه ...

هلــم نمضــي قــدمــا .... .

وما كاد يبلغ تقدمهما الى مسافة ١٢٠٠ قدما

حتى أخذ هواوا وهو في بيته الارزي

يثبت نظرته على جلجامش وهي نظرة الموت

هــز لــه رأسه وحركــه عليــه

اقتلــع جلجامش أول شجرة

فعمد أبناء مدينته الذين رافقوه

على قطـع اغصانها في حـزم

ووضعوها في سفـح الجبـل

وبعد ان قطع الارزة السابعة اقترب من حجرة هواوا

لقد دار على « حية مرفأ الخمر » في جدارها

وكما يعطـي الانسان قبلة لطم خـده

اصطكت اسنان هواوا وارتجفت يـداه

دعـني أقـول لـك كلمـة

يا اوتو ان الام التي ولدتني لا أعرفها والاب الذي رباني لا اعرفـه •

فانك في الارض انت ولدتني وفيها ربيتني

ناشد جلجامش بحيـاة السماء وبحياة الارض وحيـاة العالم السفلي •

فـرق قلب جلجامش عليـه

فقال لخادمـه انكيـدو

دع الطائر الحبيس يعود الى مكانه

دع الرجل المأسور يعود الى حضن أمـه

فأجاب انكيـدو جلجامش

ان المرء لا رأي له مهما استطال

سيلتهمه نمثار ، نمثار الذي لا يميز بين الرتب

اذا الطائـــر الحبيس عـــاد الى مكانـــه

واذا اعاد الرجل المأسور الى حضن أمـــه

فلن تعود الى مدينة الام التي ولدتـــك

فقـــال هـــواوا لانكيـــدو

يا انكيدو لقد تحدثت بالشر اليه ضدي

أيها الاجير ، لقد اشرت عليه بالشر ضـدي

ولمـــا قـــال هكـــذا

قطعـــا رقبتـــه

ووضعـــا عليـــه ....

وقدماه أمام انليل وننليـــل

* * *

العلـوم السومرية

في الطب :

بين ألواح سومر لوح كشفته بعثـة أميركية في خرائب نيبـور ونقلته الى متحف جامعة بنسلفانيا طوله نحو /١٦/ سم وعرضه نحو /٨/ سم • لقد دون عليه طبيب سومري عاش في أواخر الالف ٣ ق•م أهم وصفاته الطبية كي يطلع عليها زملاؤه وطلابه ، وهي أقدم مخطوطة طبية حتى الآن • وقد ترجم اللوح الاستاذ صموئيل كريمر بالتعاون مع مارتن لايفي الذي يحمل شهادة دكتوراه في تاريخ العلوم وذلـك عـام ١٩٥٣ •

ويبدو ان الطبيب السومري قد لجأ الى المشتقات المعدنية والحيوانية والنباتية لتحضير مواده الطبية ــ مثل ملح الطعام (صوديوم كلورايد) وملح البارود (بوتاسيوم نايترات) وطين النهر والحليب وجلد الحية وبيت السلحفات والعسـل والاكاسيـا والآس والصعتر والصفصاف والدراق والتين والتمر • يستخرج المواد مـن البذور أو الجـذور والاغصان أو القشر أو الصمغ عن طريق الحرق أو الغلي وتحفـظ جامدة او مطحونة كالبودرة وتذاب في الجعة أو الحليب أو الماء أو نبيذ « كوشما » وتستعمل اما للدهن الخارجي أو شرابا عن طريق الفم •

لكن النقص الاساسي في اللوح انه لا يسمي الامراض المعالجة

كما لا يذكر أية تجارب وفوق ذلك لا يذكر الكمية من كل مادة في التركيبه ولا المقادير وكم مرة تستعمل يوميا •

مع العلم ان السومريين كانوا يؤمنون بوجود نحو ست شياطين للمرض ذكروا في نشيد الى آلهة الطب باو (نينسينا اوغولا) التي وصفوها بأنها « الطبيبة العظيمة لذوي الرؤوس السود » لكن هذه المخطوطة هي أقدم صفحة من كتاب طبي قد خلت خلوا « تاما » من الامور السحرية الغامضة الخارجة عن نطاق المعقولات •

اول تقويم زراعي :

من ألواح سومر لوح مقياسه ٧٫٥ × ١١٫٥ سنتم • وجدته بعثة أميركية في نيبور عام ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ هو أول تقويم زراعي يعود لنحو ٣٥٠٠ عاما • كذلك كشفت ثمانية ألواح وكسر أخرى وأصبح مجموع هذا الكتاب الخاص بمباديء الزراعة « يحوي /١٠٩/ اسطر وهذه الاسطر هي مجموعة نصائح يوجهها فلاح الى ابنه بغية ارشاده في شؤون زراعته السنوية ، تبدأ بالسقاية في الحقول في أيار وحزيران وتنتهي في عملية تنقية وتذرية الحاصل المحصود في نيسان ــ أيار •

يبدأ كتاب « مباديء الزراعة » السومري بالسطر القائل في الازمان القديمة زود فلاح ابنه بهذه الارشادات لكن الوثيقة تعود لتنتهي بالقول ان هذه الارشادات الزراعية ليست من صنع الفلاح نفسه بل هي ارشادات نينورتا الابن « والفلاح الحقيقي » للاله انليل • وهذا ادعاء الكاتب بالتنزيل نحو /١٧٠٠/ ق•م •

ولما كان من الضروري ري الارض فتبدأ تلك الارشادات بالنصائح المتعلقة بأعمال الري كبذل العناية لئلا يرتفع الماء ارتفاعا كبيرا فوق الحقل والمحافظة على الارض المروية من دوس البقر • وينبغي

تطهير الحقل من الحشائش وجذور النباتات المتروكة من موسم الحصاد السابق ، كما يلزم احاطة الحقل بالسياج •

ويجب على افراد العائلة والمساعدين الاجراء ان يهيئوا الآلات والادوات الضرورية والسلال والاوعية • ويجب أن يكون هناك ثور اضافي للمحراث وقبل ان يبدأ بالحرث يجب عليه ان يعزق الارض ويكسرها بالفأس مرة وبالرفش مرة ثانية كما يجب كسر كتل التراب الكبيرة بمطرقة • ويجب أن يشرف على عماله الاجراء كي لا يتهاونوا عملهم •

وكانت عمليتا الحرث والبذار تجريان معا بواسطة آلةبذارمربوطة الى المحراث كالقمع تنثر البذار في الاخاديد • ويرشد الفلاح بأن يكون عدد أثلام الفلاحة ثمانية في كل عشرين قدما • كما نصح بأن يجعل البذور تنزل في الاتلام الى أعماق متساوية « راقب من يبذر بذور الشعير بحيث يجعل البذور بعمق اصبعين بوجه منتظم » •

« اذا ما انتهيت من حرث الخطوط المستقيمة فاحرث بعدئذ خطوطا مائلة ، واذا أتممت حرث هذه الخطوط المائلة فاحرث خطوطا مستقيمة » •

« في اليوم الذي تشق فيه البذور الارض يلزم الفلاح بأن يقدم الصلاة الى الالهة نين كيليم » الهة فئران وديدان الحقل كي لا يؤذوا الزرع النامي • ومتى نما الشعير وملأ خطوط الحرث يجب على الفلاح أن يرويه • واذا تكاثف النمو وملأ الحقل كالبساط يجب أن يرويه ثانية • ومرة ثالثة يجب أن تروي « الغلة الملكية » • واذا لاحظ احمرار في الزرع المروي فانها آفة « السمانا » (الحميرة الفطرية) الخطرة على الموسم • واذا تحسن حال الزرع فعليه ان يرويه مرة رابعة وبذلك يضمن زيادة المحصول (١٠٪) •

واذا حان موعد الحصاد فينبغي ان لاينتظر الفلاح حتى ينحني الشعير بثقل السنابل بل يقطعه وهو ابان قوته أي في الوقت المناسب • وكل ثلاثة رجال يعملون سوية ـ الحصاد والحزام وثالث لم يذكر مهمته بوضوح •

أما الدراسة بعد الحصاد فتنجز بواسطة « المرج » خلال خمسة أيام ، ثم يفتح الشعير بفتاحة تجرها الثيران ، وعندما تتسع الحبوب من ملامسة الارض يقوم الفلاح بصلاة خاصة ثم يذري الحبوب بمذراة ليحررها من الوسخ والغبار • وأما زرع الاشجار الواقية للبساتين فقد وردت في قصة شوكليتودا •



آلهة سومر

اطلق السومريون على الكون اسم آن ــ كي اي السماء والارض وظنوا ان الارض قرص مسطح وان السماء قبة تغطي الارض وربما ظنوها من معدن القصدير لانهم اطلقوا على القصدير اسم « معدن السماء » ويفصل السماء عن الارض والهواء الجوي الذي سموه « ليل » كما ظنوا ان القمر والشمس والكواكب مصنوعة من مادة الجو الا انها مختصة بالنور والاضاءة ويحيط بالسماء والارض من كل الجهات ومن فوق ومن اسفل بحر لاحدود له ٠ بذلك توصلوا الى أن البحر الاول « نَمّو » هو بدء الخلق ومنه خرجت السماء والارض ثم جاء الهواء ليفصل بينهما ، ثم خلقت من الجو الاجسام المضيئة اي الشمس والقمر والكواكب والنجوم وبعد ذلك خلقت الحياة النباتية والحيوانية والانسان من تراب الارض ٠

ولكن تساءل مفكرو سومر أنه اذا كان الخلق تم هكذا فمن يكون الخالق وكيف يسير الكون من يوم الى يوم وعبر الاجيال وفق نواميس لاتتبدل ، فاستنتجوا ان هناك مجمع آلهة ،اي مجموعة من الكائنات الحية الشبيهة بالبشر من حيث الشكل لكنها تمتاز عن البشر بالقدره والخلود ٠ اي الانسان على صورة الله ولئن لم تقدر عين الانسان الفاني أن ترى الالهه الا انهم يقودون الكون ويديرونه وفق خطط ونواميس ٠ كل اله مسؤول عن جزء او ظاهرة من هذا الكون

يدير نشاطاته وفق النواميس الالهية المتفق عليها في مجمع الالهـة فيكون هناك اله مسؤول عن السماء وآخر عـن الارض والآخر عـن البحر والهواء والشمس والقمر والكواكب والهة للريح والعاصفة والنهر والسهل والجبل الخ ••• وفوق ذلك اله المدينة واله الدولة والسد والقناة والحقل والمزرعة وحتى اله المحراث وقالب الاجر والفأس أي كما أن لكل شيء في المجتمع انسان يديره هكذا لكل شيء فيالعالم اله يديره وحتى لكل انسان الهه الخاص أي ملاكه الحارس حسب التعبير الحالي • ومن يدير هذه الاشياء الكبرى لاشك أقوى مـن البشر وكذلك لايموت كالبشر ولو كان الاله يموت لدبت الفوضـى فيما يديره عند موتـه •

وقد أطلقوا اسم جنس على الالهة هو « دنجر » أي اله • ولكن ليس كل الالهة في المجتمع بنفس الاهمية ولا يمكن لاله السدأوالقناة أن يكون باهمية الاله المسؤول عن كل الارض • أي كما في تنظيـم الدولة ليس لكل المواطنين نفس المهمـة ولا نفس القيمـة ورئيس الباتتيون اله أعلى هو ملك الالهـة مثـل رئيس الدولـة • فالالهة الثانويون هم بمثابة متممين للآلهة الكبار في مهماتهم الثانوية • ومن مجموعات الالهة الهامة « سبعة » يرسمون الاقدار وخمسون أطلقوا عليهم اسم الالهة العظام وهذا المفهوم ليس بعيد عـن مفاهيمنـا الدينية الحالية حتى في ظل التوحيد لان الى جانب الله الملائكة الكبار السبعة الذين أطلق عليهم القرآن اسم « الملائكة المقربون » كذلـك مفهوم الاله الشخصي والملاك الحارس •

وأهم من ذلك صنفوا الالهة لفئتين ـ خالقه ومدبرة فاله السماء أو الارض أو البحر أو الهواء اله خالق كل أوجد جزءا رئيسيا مـن

الكون وأما الالهة المديرة فمسؤولة عنجزيئات هذه الاجزاء الكبرى.

واما عن طريقة الخلق فقد وضع الفلاسفة السومريون عقيدة دينية هي ام العقائد الشرقية المعمول بها حاليا ــ موسويا ومسيحيا ومحمديا وهي ان « الكلمة » الالهية هي وسيلة الخلق أي يقول الاله « كن » فيكون وهذا تعبير عن الارادة والقدرة الالهية في آن واحد فالاله الخالق يضع الخطة وينطق بالكلمة ويلفظ الاسم . وبعد الخلق يسير كل مخلوق وفق نواميس وضعت من قبل الخالق لايحيد عنها سميت « مي » غير ان اللاهوتين السومريين لم يضعوا نظرية دينية متكاملة بل على الباحث ان يستكشف هذه المعتقدات من نصوص الاساطير والتراتيل والصلوات . ان كاتبي هذه الاداب الدينية هم كتبة وشعراء عبروا عن النظريات والمفاهيم الدينية دون أن يكونوا هم واضعيها بل هم من أفراد الشعب الذين تقبلوا هذه النظريات والتفسيرات وآمنوا بها ثم عبروا عنها بوسائلهم الادبية الخاصة .

وبما ان لكل شيءأو ظاهرة في هذا الكون قوة خلقية هي الهه كالخالق أو المدبر فقد اتسع الباتيون السومري حتى شمل أكثر من /٣٠٠٠/ الها لكن أعظمهم أربعة آن اله السماء ، وانليل اله الهواء ، وانكي اله الحكمة والمياه ،وننهور ساج أمنا الارض ، ولكن أمالخليقة هي البحر الاول « نمو » .

آنو :

ابو الالهة ورئيسهم وابن نمو ام الخليقة ولدته مع مرور الزمن وتمدد على شكل قوس من قطب الى قطب فصار السماء واله السماء واحد الثلاثي آنو انليل انكي . رقمه الرمزي /٦٠/ الذي أصبح

مقدسا واساس الحساب الستيني في قياس الوقت والدائرة • حيوانه الرمزي الثور مثل ايل زقس •

لم تسند اليه قوة معينة ولم يكن اله مدينة أو اقليم بل اصبح مرادفا للسماء والكلمة تعني « العلي » والعلي أصبحت الآن من صفات الله العلي القدير مركز عبادته الرئيسي اوروك كان يترأس مجامع الالهة وأخيرا حل ابنه انليل مكانه في الرئاسة •

انليـــل :

ابن آنو واله الهواء والرياح ولد من اتحاد آنو وكي (الارض) وفصل بينهما • قرينته نينليل الهه الحبوب وابنهما نانا (سين) الـه القمـر •

وانليل هو اله مدينة نيبور المقدسة حيث يترأس مع أبيه آنو مجمع الالهة في بلاطه المسمى « اوبشواوكينا » ومع آنو يمنحان المناصب العليا كالملك والامارة • كلمته هي الريح « ان كلمته تهز السماء وتزلزل الارض » نظمت له التراتيل كما نسبت اليه الاساطير مثل خلق المعول ومولد القمـر •

يتحلى بالحنان الابوي وقد قدم المحراث والمعول أول آلات زراعية للانسان لكي يعمل بها لانه الاب والراعي والقائد • وهذه مقاطع من ترتيله الى انليل مؤلفة من /١٧٠/ سطرا •

انليل ذو الامر الواسع المدى « كلمته » مقدسة

الرب الذي لايبدل كلامه ، الذي يقدر المصائر الى الابد

الذي تبصر عيناه المتفرستان جميع الاقاليم

الذي يتغلغل نوره المتعالي في قلب جميع البلدان

انليل الذي يجلس مالئا المنصة البيضاء الذي يتبوأ المنصة السامية •

الذي يحكم ارادات القـوة والسيادة والامارة

الهـة الارض تسجد لـه خشية ورهبـة

وتتذلل آلهة السماء أمامـه

مدينة نيبور ذات مظهر يبعث الخوف والرعب

الضالون والاشرار ، الظالمون والنمامون

المتجبرون والناكثون العهد جميعهم لا يقر شرهم في المدينة والشبكة العظمى ••• لايدع الاشرار والظالمين يفلتون مـن شراكهـا

نيبور ــ هي المزار حيث يسكن « الاب » الجبل العظيم

منصة البركة والخير في معبد « ايكور » الذي يعلو

الطود الشامخ ، الموضـع المطهـر

اميره « الجبل العظيم » الاب انليـل

أي انليل ؟ ان الراعي الذي شملته بعين رضاك

ودعوته ورفعت شأنه ومقامـه في البلاد

هو الذي يقهر البلاد الاجنبية ويطرحها ارضا في القتال

فيجلب القرابين والاضاحي من كل مـكان

والقرابـين مـن الغنائـم الكثـيرة

وفي المخـزن ••••

وفي الابهاء المرتفعة يأتـي بقرابينـه
انليل الراعي الجليل الدائم الحركـة
هو الراعي القائد لكل حـي
لقد اوجد امارته ووضع التاج المقدس على رأسه
في السماء هو اميرها الاول وعلى الارض هو عظيمها وكبيرها
وبين الانوناكي هو ربها العظيم
وعندما يقدر المصائر وهو في جلاله ورهبته
لا يجرأ الـه علـى أن ينظـر اليـه
بل الى وزيره المبجل « نسكو » صاحبه فقط
يبلغ امره ويعلن كلمـة قلبـه
يكشـف عنهـا ويبلغهـا
حيث ينيط به أوامره الشاملة لكل شيء
انه يأتمنه علـى جميع الاوامر المقدسة وجميـع النواميس المقدسـة
لولا انليل ، الجبل العظيـم
لما بنيت المـدن ولا اقيمت المستوطنات
لما بنيت المرابط ولا اقيمت الحظائـر
لما أقيم ملوك ولا ولـد كبار الكهنـة
ولغدا العمال وليس عليهم رئيس ولا مشرف
لولاه ما جلبت الانهار ماء الفيض والارواء
لولاه ما وضعت الاسماك بيوضها في ادغال القصب

ولا بنت اطيار السماء اعشاشها في الارض الموحشة
لولاه ما جاءت سحب السماء السائرة بمياهها
ولما نست النباتات والاعشاب تزهو بهـا السهول
ولما اقبلت الحبوب الوفيرة في المروج والحقول
ولما أعطت الاشجار في غابة الجبل ثمارها ....

هكذا نرى من هذه الترتيلة المعتقد السومري باله أعلى هو أب واله للالهة والبشر ، الراعي الرحيم ، صاحب النواميس المقدسة والذي لايدع الاشرار والظالمين والمنجبرين والناكثين العهد والنامين يفلتون من شبكته العظمـى .

انكـي :

الاله الثالث في ثلاثي آنو ـ انليل ـ انكي ـ اله المياه العذبـة في العمق والانهار والبحيرات واله مدينة اريدو ، عرف بحكمته فلقب بـ « السيد ذي العين المقدسة » رمزه الوعل ، اسمه القديم « أبـو » أي المياه الجوفية واسم انكي يعني « سيد الارض » وبسبب قـدرة المياه على التنظيف أصبح « إله الوضوء » ابن انليل وحفيد آنـو اوكل اليه انليل تعليم الانسان اساليب الحياة كما نظم شومر . فانليل يضع الخطط العامة وانكي المدير الحكيم ينفذ التفاصيل . علم الانسان الفلاحة والزراعة ، وبناء آكواخ القصب وكدن الثيران فزرع الحبوب وبنى الاهراء ورعى المواشي وبنى الحظائر كما علـم الانسان جبـل الاجروشيه ، وبناء المساكن واوكل آلهة صغارا لتنظيم ذلك .

وفي قصة الطوفان أفشى أنكي بسر الالهة الى الملك الصالـح أوتنابشتيم (زيوسودار) وعلمه أن يبني فلكا لينجو به مع بذور

الحياة « ونعمة الفهم » عند حمورابي مردها انكي • وحيكت حوله اسطورة دلمون وخلق الانسان وتنظيم سومر •

لقـد وجـه المحراث والنـير
الامير العظيم انكي جعل الثور (يفلح)
نادى علـى الغـلال الطاهـرة
وفي الحقول الراسخة جعل الحبوب تنمـو
هو السيد جوهرة السهل وزينتـه
لفـلاح انليـل انكيمـدو
أوكل انكي شؤون القنوات ومصارف المياه
لقد نادى السيد على الحقل وجعله ينتج الغلال الوفيرة
جعله انكي ينتج « الفول الكبير » والفول الصغير
كـدس الحبوب ومـلأ بهـا الاهـراء
انكـي أكثـر الاهـراء في البـلاد
ومع انليل يزيد الوفرة والخير في الارض
السيدة ذات الرأس « المشعر » والوجه (الذهبي)
السيدة التي هـي منبع قـوة البـلاد
والسند الثابت لذوي الرؤوس السود
« واشنان » قوة كل شيء
أوكل اليها انكي تدبـير تلك الشؤون

ثم التفت انكي الى الفأس وقالب القرميد وعين « كبتا » لتنظيم شؤونهما ودبر آلة البناء ووضع اسس المساكن وأوكل شؤونهما للاله « مشدما » بناء أنليل العظيم ، وملأ السهول بالاعشاب والنباتات والحياة الحيوانية وعين الاله « شموقان » « ملك الجبل » على شؤونها • ثم شيد أنكي الحظائر والزرائب وملأها باللبن والزبد وعين على اغنامها الاله الراعي « دوموزي » (تموز) •

نانشي :

آلهة السمك وصيد الاسماك ورمزها السمكة •

كانت ماهرة في تفسير الاحلام • تهتم بالانصاف والعدل والعدالة الاجتماعية ابنة انكي • ومن التراتيل المؤلفة لنانشي نرى كيف أن حكماء سومر قد فضلوا ما هو اخلاقي وصالح ؛ وهي ترعى الصدق والعدل والرحمة ، ترعى الضعيف واليتيم والارملة ويقع سخطها على الغشاشين الذين يستحلون ما لغيرهم ويتلاعبون بالمكاييل والموازين •

وهذا ابتهال من جوديا انزى لغش الى مفسرة الاحلام •

أي مليكتي يابنة السماء الصافية

التي تنصح بكل ما هو خير للانقياء

أنت يا من تحتلين المرتبة الاولى في السماء

أنت يامن جعلت الارض حية

أنت الملكة الام التي اسست لغش

الشعب الذي تشملينه بنظراتك يزخر بالقوة

والتقي الذي تنظرين اليه ستطول حياته

ليس لي ام .... أنـــت امـــي

ليس لي أب ــ أنت أبي

لقـــد ولدتني في المعبـــد

أنت لـــك معرفـــة كل المحاسن

عندما اذهب الى مدينة نانشي

يذهب أمامي المقرب اليك « اوتوكو »

يقتفي أثري المقرب اليك « لامـــازو »

خيرا اريد التكلم ، سأطرح هذه الكلمات

امـــي ساسرد لـــك حلمـــي

اتوغب مفسرة الاحلام ان تفسره لـــي

نـــانـــا :

اله القمر اله مدينة (أور الكلدانيين) عبدة الساميون خاصة في حـــران باسم « سين » أو « شين » سماه الاراميون (سهر) أو (شهر) كما عبده الميدانيون والعبرانيون باسم « يهوه » رقمه الرمزي / ٣٠ / .

عرف بثلاثة أسماء حسب دورة القمر ــ « نانا » (سين) القمر البدر ، « انـــون » (نكر) الثور البري نصف دائرة أي بعد اسبوع من بدئه . وشيمبابار (تارخ أو يارخ) أي الهلال . ومن اسمائـــه السامية تاريخ جاء عن كلمة تاريخ لانه يقيس الزمن كما جاء في ملحمة الخلق البابليـــة « انيوما ايلبش » وتارح هو أبـــو ابراهيم من أور الكلدانيين . ومن يارح جاء اسم اريحا (يريحو) أي مدينة القمـــر الكنعانيـــة .

هو ابن انليل وننليل في حادثة (فسق الهي) كمــا سيأتي تحت عنوان الميتولوجيا السومرية • وقد مثلوه على شكل قرني ثــور ضخم يقــود قطيــع النجــوم •

اوتــو : هو شمش عند الساميين اله الشمس والــه لارســا وسيبار في أكاد، اله العدل والمساواة • شكله في الاصل قرص الشمس ورمزه رأس حيوان البيزون كما مثل انسانا تنبثق الاشعة من جسده، وأوتو هو ابن نانا (القمر) وننجال • وزراؤه « نيغينا » (العــدل) ونيغسيسا (المساواة) •

يمر اوتو في مركبته كل يوم حول العالم ليرى اعمال الناس من فوق يعطي النور ويفتش القلوب يعطي شرائــع الصــلاح ويهــب الحياة • يحمي الضعفاء والمظلومين ويرعب الاشرار • يقول جوديا الصالح « ان اوتو يعطي الصلاح ويسحق الشر بتقدمه » ويتكلم اور نمو عن « شرائع اوتو العادلة » ووصفه حمورابي بأنــه « الحاكم العظيم للسماء والارض » وقد استمد شريعته منه • وفي استعراض الالهة يصورونه راكبا على حصان •

انانا : نجمة الزهرة عشتار الساميين ابنــة القمر نانــا ورقمها الرمزي / ١٥ / تمثل الحب والتوالد « وحامية الموسات » سميت « ملكة السماء » كما سميت « البغي المقدسة » وفي الاساطير مثلوا فيها خيانة المرأة فقد أحبت دوموزي وجلجامش وشروكين وكــل أنواع الذكور ولم تخلص لاحد • وهذا الهجاء تجسد في ملحمــة جلجامش حين عرضت على جلجامش الزواج بعد قتله تنين الشــر هواوا فردها جلجامش بوصف من روائع الهجاء •

من الاساطير عن قصصها مع دموزي تموز الراعي ــ وقصتها مع شوكللينودا البستاني ، ونزولها الى الجحيم لتستولــي علــى ملــك

اختها اريشكيغال ولسرقة شرائع السماء من انكي بعد ان اسكرته ، معبدها الرئيسي في أوروك مع آنو .

وقصة نزول اانا الى الجحيم السومرية لها نظيرتها البابلة التي ليست مجرد ترجمة بل لها أسلوبها الادبي الخاص وتمثل بشكل أو بآخر الجشع الى السلطة والانتقام والموت والقيامة والخيانة الزوجية في النهاية عندما ترسل اانا تموز عشيق شبابها بديلا عنها الى الجحيم وأما خصومتها مع أختها اريشيغال من أجل السيطرة على العالم السفلي بالاضافة الى سلطتها على أسماء فتمثل الطمع البشري الى المادة والتسلط وعدم القناعة بأي شيء حتى قال المثل الالماني أن الجشع الى السلطة يفسد حتى عالم الالهة : (فكيف اذن عالم الحكام) :

« من الاعلى الى الاسفل العظيم » ـ آنجالتا كيغالشه

« من الاعلى العظيم » اتجهت بافكارها نحو « الاسفل العظيم »
الالهة من الاعلى العظيم اتجهت بأفكارها نحو الاسفل العظيم
اانا اتجهت بافكارها من الاعلى العظيم الى الاسفل العظيم
هجرت سيدتي السماء والارض
والى العالم السفلي هبطت
اانا هجرت السماء والارض
والى العالم السفلي هبطت
نبذة السيادة ونبذة السلطان
والى العالم السفلي هبطت .

الى جانبها ربطت النواميس الالهية السبعة
جمعت كل النواميس الالهية وضعتها في يدها
أحضرت كل النواميس وهي توشك ان ترحل
وضعت على رأسها تاج الشهل « شوجرا »
وثبتت فوق جبينها خصلات الشعر
وامسكت بيدها الخيط وعصا القياس من اللازورد
وحول عنقها ربطت عقدا من الاحجار الصغيرة
وعلى صدرها حجرين من « النونوز »
وامسكت بيدها حلقة من الذهب
وفوق صدرها صدرية « تعال يا رجل تعال ؟ »
لبست حلة « بالا » حلة السيادة والحكم
وكحلت عينيها بدهان « دعه يأتي دعه يأتي »
سارت انانا نحو العالم السفلي
والى جانبها مشى وزيرها ننشوبر
قالت انانا الطاهرة ل ننشوبر
ياوزيري ذا الكلام الطيب
يافارسي الصادق الكلمات
انني الآن هابطة الى العالم السفلي ؟
ان لم أعد من العالم السفلي تندبني عند الخرائب

وفي معبد « المجمع » اضرب الطبل من أجلي

وفي بيت الالهة تجول من أجلي

غض الطرف من أجلي وزم فمك

وكالصعلوك تلبس ثوبا واحـــدا

والى ايكور بيت انليل وحدك توجه خطاك ؟

عندما تدخل ايكور بيت انليل

ابك امامـــه وقـــل :

أيها الاب انليل لا تدع ابنتك تهلك في العالم السفلي

لاتدع معدنك الطيب يغمر بغبار العالم السفلي

لاتدع لازوردك النفيس يصبح حجرا يعمل به الحجار

لا تدع خشب بقسك يقطع ليصير خشبا للنجار

لاتدع العذراء انانا يحكم عليها بالموت ؟

وان لم يقف الى جانبك فاذهب الى اور •

في اور في اكيشنوغال ابك امام نانـــا

(اعادة الخطوط الخمســة السابقة)

وان لم يقف نانا الى جانبك فاذهب الى اريدو

في أريدو عندما تدخل بيت انكي

ابك امام انكي (اعادة الخطوط الخمســة)

فان الاب انكي سيد الحكمة

انكي الذي يعرف « خبز الحياة » و « ماء الحياة »

بالتأكيد سيعيدني الى الحياة

اذهب يانتشوبـــر

احفظ وصيتي ولاتهملها .

عندما وصلت انانا الى القصر الى جبل اللازورد

تصرفت بجرأة عند باب العالم السفلي

وتكلمت بجرأة في قصر العالم السفلي

افتح الباب أيها الحاجب افتح الباب

افتح البيت يا « نيتي » وسأدخل وحدي

نيتي كبير حجاب العالم السفلي

اجاب انانا الطاهرة .

من تكونين ارجـــوك ؟

أنا ملكة السماء ، الموضع الذي تشرق منه الشمس

ان كنت ملكة السماء حيث تشرق الشمس

فلم جئت الارض التي لاعودة منها ؟

وفي الطريق الذي لارجعة لمن سار فيه

كيف قادك قلبـــك ؟

فاجابته انانا الطاهرة

جئت من أجل اختي الكبرى اريشكيغال
لان زوجها السيد جوجالانا قد قتــل
لكي احضر شعائر جنازتــه
وهكــذا فليكن ••

نيتي كبير حجاب العالم السفلي
أجاب انانا الطاهرة
انتظري ، دعيني اكلم مليكتي « اريشكيغال »
دخل نيتي الى ملكته اريشكيغال وقال :
يا مليكتي ، في الباب عذراء مثل الهة
والنواميس الالهية السبعة الى جانبها الخ • •
عندها عضت اريشيغال فخذها واستشاطت غضبا
قالت هلم يانيتي يا كبير حجاب العالم السفلي
والكلمــة التي سآمرك بهــا لاتهملهــا
ارفع اقفال بوابات العالم السفلي السبعة
وافتح أبواب قصر جنزير وجه العالم السفلي
وعند دخولها احضرها امامي عارية تحني رأسها
نيتي كبــير حجاب العالــم السفلي
اطــاع كلمــة مليكتــه
فرفع اقفال أبواب العالم السفلي السبعة

وقصر « جنزير » وجه العالم السفلي ، فتح أبوابه

وقال لانانا الطاهرة

« هلمي وادخلي »

عند دخولها

نزع عن رأسها تاج السهل « شوجرا »

« ما هذا ارجوك ؟ »

اسكتي يا أنانا فنواميس العالم السفلي كاملة

لا تعترضي ولا تسترحمي من شعائره :

عند دخولها الباب الثاني

انتزع منها الخيط وعصا القياس من اللازورد

ما هذا أتوسل اليك ؟

اسكتي يا أنانا فاحكام العالم السفلي عادلة

ولا تسترحمي من شعائر العالم السفلي

وعند دخولها الباب الثالث

انتزع منها عقد احجار اللازورد من جيدها

وعند دخولها الباب الرابع

انتزع من صدرها حجري النونوز

وعند دخولها الباب الخامس

انتزع من يدها حلقة الذهب

وعنـــد دخولهـــا البـــاب السادس

انتزع صـدريــة « تعال يارجل تعال »

وعنـــد دخولهـــا البـــاب السابع

أخذ عن جسدها حلة السيادة والحكم

وأخذت وهي عارية منحنية الرأس الى حضرة أختها

استوت اريشكيغال الطاهرة على عرشها

ولفظ الانوناكي ، القضاة السبعة الحكم أمامها

فصوبت عينها عليها ، ثبتت فيها نظرة الموت

ونطقت بالكلمة ضدها ، كلمة الغضب والسخط

فاهت بالصرخة ضدها ، صرخـــة التجريـــم

فتحولت المرأة العليلة الى جثـــة هامـــدة

وعلقـــت الجثـــة مـــن مسمار

بعد انقضاء ثلاثة أيام وثلاث ليالي

وزيـــرها ننشـوبـــر

وزيـــرها الطيـــب الكلمـــات

فارسها الصـــادق الكلمـــات

شرع يندبها عنـــد الخرائب

ويضرب الطبل من أجلها في مزار المجمع

أخذ يجول من أجلها في بيوت الالهـــة

خفض نظـــرة من أجلها وزم فمـــه

وكالصعلوك ارتدى من أجلها رداء واحـــدا

والى ايكور بيت انليل وجه خطاه

ردد الاسطر الخمسة ، وصية انانا ، امام انليل ولم يستجب
فوجه خطاه الى اور وردد الاسطر الخمسة امام انانا ولـــم
يستجب ثـــم توجه الـــى اريدو

وفي أريدو عندما دخل بيت انكي

بكى أمـــام انكي وقال :

١ ــ أيها الاب انكي لاتدع ابنتك تموت في العالم السفلي

٢ ــ لا تدع معدنك الطيب يغطيه تراب العالم السفلي

٣ ــ لاتدع لازوردك النفيس يصبح حجرا يعمل به الحجار

٤ ــ لاتدع خشب بقسك يقطع ليصير خشبا للنجـــار

٥ ــ لاتدع العذراء انانا يحكم عليهـــا بالموت

فأجاب انكي ننشوبر قائـــلا :

ماذا حدث لابنتي ؟ انني قلـــق ؟

ماذا حدث لانانا ؟ انني قلـــق ؟

ماذا حدث لملكة البلدان ؟ اني قلـــق ؟

ماذا حدث للبغي المقدسة ؟ انني مضطرب ؟

فأخذها وسخا من تحت أظافره وصنع منه ال « كوجرو »

وأخذ وسخا من ظفره المصبوغ بالاحمر وصنع ال« كالاترو »

واعطى الكوجرو « خبز الحياة »

وأعطى الكالاترو ماء « الحياة »

قال الاب انكي للكوجرو والكالاترو

سيقدمون لكما ماء النهر فلا تقبلا

وسيقدمون لكما غلة الحقل فلا تقبلاها

قولا لاريشكيغال سلمينا الجثة المعلقة بالمسمار ؟

رشا عليها « خبز الحياة وماء الحياة »

عندئذ تقوم انانا وتعود اليها الحياة

ويتلف بعض من النص ويبقى بعضه تبين منه ان كوجرو وكالاترو قد نفذا تعليمات انكي ولم يشربا من ماء النهر ولا أكلا من غلة الحقول بل طلبا الجثة

تسلما الجثة المعلقة بالمسمار

فنثر احدهما خبز الحياة والآخر ماء الحياة

فقامت أنانا

ولما شرعت انانا تنوي الصعود من العالم السفلي

امسكها الانوناكي وقالوا لها :

من من الذين هبطوا الى العالم السفلي استطاع ان يصعد سالما؟

فاذا ارادت انانا ان تصعد منه

دعها تقدم من يكون بديلا عنها

صعدت انانا من العالم الاسفل
وكان الشياطين الصغار مثل قصب « الشوكر »
والشياطين الكبار مثل قصب « الدبان »
الجميـــع يمشون بجانبهـــا
والذي مشى امامها حمل صولجانا وان لم يكن وزيرا
والذي مشى بجانبها تسنطق بالسلاح وان لم يكن فارسا
ان الذين رافقوها
ان الذين رافقوا انانا
كانوا مخلوقات لا تعرف الطعام ولاتعرف المـــاء
لا يأكلون الطحـــين المبسوس
ولا يشربون مـــاء القرابـــين
انهم يأخذون الزوجة من حضن زوجها
ويأخذون الطفل من ثـــدي مرضعتـــه

قصدت انانا الى المدينتين السومريتين اوما وبادتيبيرا فحل الذعر في قلب الهيهما « شارا » و « لتراك » فلبسا المسوح وتمرغا في التراب أمام أنانا فتقبلت خضوعهما وتذللهما . ومنعت الشياطين من أخذهما الى العالم السفلي . ثم تابعت سيرها وسط حشد الشياطين حتى مدينة كللاب وهي مدينة زوجها الاله الراعي دوموزي وكان يجلس علـــى عرشه بحلل العيد والافراح ورفض التمرغ والتذلل امامها . فاستشاطت غضبا وصوبت عليه نظرة الموت وسلمته الى الشياطين الغلاظ ليأخذوه الى العالم السفلي :

ارتدى دوموزي حلة فاخرة واعتلى جالسا على منصته
فأمسكه الشياطين من فخذيه
هجم عليه الشياطين السبعة كما يفعلون بالرجل المريض
فانقطع الرعاة عن نفخ الناي والمزسار امامه
ثبتت انانا نظرها عليه ، انها نظرة الموت
ونطقت بالكلمة ضده : انها كلمة السخط
وفاهت بصرخة ضده : انها صرخة التجريم
اما هو فخذوه
لقد سلمت انانا الطاهرة دوموزي الراعي لايديهم
ان الذين رافقوه
ان الذين رافقوا دوموزي
كانوا مخلوقات لايعرفون الطعام ولايعرفون الماء
لا يأكلون الطحين المبسوس
ولا يشربون ماء القرابين
لا يتمتعون في حضن امرأة
ولا يقبلون الاطفال الاصحاء
انهم يأخذون ابن الرجل من فوق ركبتيه
ويسلبون الكنة من بيت حميمها
بكى دوموزي حتى اخضر وجهه

نحو السماء رفع يديه الى اوتـو

يا اوتو ، انت اخو زوجتي وأنا زوج اختك

أنا من يأتي بالزبد الى بيت أمـك

وانا من يحضر الحليب الى بيت « نتجال »

حول يدي الى يـد حيـة

وحول قدمـي الى قدم حيـة

دعني اتخلص من شياطيني ولاتدعهم يمسكونني

ويبدو أن أوتو لم يستجب لتضرعات دوموزي وبموت تموز يدب الاصفرار في النبات وتسير الحيوانات نحو الانقراض وتعبس الطبيعة وترنم اغاني الحزن بعد أن أصبح الجحيم « مسكن تموز » ويبدو أن الندم قد دب في قلب اانانا فتعاونت مع اخته كشتين آنا (كرمـة عنب السماء) لتنتشلانه من براثن الموت . وهو في أرض اللاعودة اوصت اانانا بالبكاء من آجله وصارت تقام المناحات كل عام من اوروك الـى اورشليم وقد قيل انه في أرض اللاعودة يخفف من تعذيب الشياطين للمـرضـى .

دوموزي (تموز) :

اله مدينة بادتبيرا ، اله الخصب وتجديد الحياة وله عدة صفات ومظاهر ــ فهو دوموزي الراعي ودموزي محرك الاجنة في الارحام . ينتج الحليب ويضعه في الاثداء وعبادته تدور حول زواجه من أنانا ثم موته وندبه عليه والولولة عليه كل عام عند موته الارضي وكان الناس يحتفلون بهذا الزواج في مسرحية يمثل فيها الملك دور الاله وتشـل كاهنة دور الالهة . في اوروك كان يحتفل بهذه الذكرى في الحصـاد

في فصل الصيف ، وفي نيبور كانت الذكرى عيـد خصب في فصـل الربيع . كل خصب وولادة وحلب وتجديد يسبق موت تموز لانه القوة الكامنة وراءها جميعا . واكراما لدوموزي « تموز » دخل في التقويم الاكادي شهر عيد لتموز هو الشهر الرابع من السنة السامية القديمة اذ كانت السنة تبدأ بشهر نيسان . كما أن الشهر السادس في لغش والثاني عشر في اوما أشهر احتفال بذكرى تموز . ولايزال تموز الشهر العاشر في التقويم العبري والشهر السابع في سوريا والعراق . ودموزي اسم الملك السادس قبل الطوفان . وقد امتدت عبادة تموز الى اليهود السوريين « وقال لي بعد تعود تنظر رجاسات اعظم هو عاملوها.فجاء بي الى مدخل بيت الرب الذي مـن جهـة الشمال واذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز » (حزقيال ٨ : ١٣ و ١٤) .

نينهورساج :

الهة مدينتي ادب وكيش الهة الارض الصخرية . هـي القـوة الكامنة في التلال الصحراوية ووجود الحياة البرية خاصة حمار الوحش لانها الهة رعاة الحمير . ومن أسمائها (دنجرماه أي المعبودة العظيمة ونينماه أي السيدة العظيمة و « آورو » مخرجة الاجنة و « نينثو » سيدة الولادة فهي ام كل ولد . وكان يحلو للحكام السومريين الاوائل أن يصفوا أنفسهم بأنهم « ربوا بلبن نينهورساج الطاهر » زوجها الاله « شولبي » في احدى الاساطير تقوم بدور في خلق الانسان وفي احداها تقوم بولادات الهية فيها فكرة « الثمرة المحرمة » .

نيسابا :

الهة الحبوب والقصب وكالهة السنابل فقد وصفت بطول شعرها ولان الاقلام تصنع من القصب اصبحت نيسابا الهة الكتابة والكتـب والعلوم ، الالهة « التي بيدها تحمل القلم » .

نينورتـا : (تنجرسو)

الاله المحارب اله مدينة جرسو (تللو) اله الرعد والعواصف الممطرة في الربيع . يذيب الثلج فيكمن وراء الفيضانات في الربيع . وبما أن الامطار تبلل التربة وتجعلها صالحة للحرث أصبح « اله المحراث والحراثة كما أن اباه انليل اله المعول وامه نينليل .

في اسطورة انزو الاكادية ينتصر نينورتا على « زو » ويسترجع منه لوحات القدر بعد أن سرقها من انليل . بني له جوديا انزى لغش معبدا استحضر له خشب الارز من لبنان . ومن أهم الاساطير عن نينورتا هي قصة قتل التنين « اسج » شيطان المرض ثم تخليص سومر من المجاعة .

نرجال :

اله مدينة كوتا أو الكوت في آكاد محارب سلاحه الاوبئة . ومع زوجته اريشكيغال يسلكان على العالم السفلي .

باو :

الهة مدينة ايسين . في الاصل الهة الكلاب ثم أصبحت رمز الشفاء سماها الاكاديون غولا رمزها الكلب .

اسللوحي اوايشكور ــ اول من لاحظ الشر ولفت نظر انكي اليه

نينمار الهة الطيور ورمزها الطير ابنة نانشي

نينازو من الهة العالم السفلي وابن الهة الجحيم اريشكيغال

دومو أي الطفل من الهة الخصب اختلطت عبادته مع عبادة تموز

نينهار اله الرعد والامطار في الربيع مثلوه ثورا يخور

نينسـون البقرة الوحشية رمزها البقـرة ام جلجامش
شـارا الـه اومـا صفاتـه غامضـة
يشكور هو اسللوحي اله الرعد والعواصف في الربيع وادد عنـد الاكاديـين ٠

نينليـل الهة الحبوب وسنبلة الشعير اليانعة ابنة هايا اله الصوامع زوجة انليل وام نانا القمر ٠

لهـار اله الماشية واخته اشنان الهة الحبوب
شموقان الـه الماشية ورعاة البقر

* * *

البانتيون الاكادي

ان الهة الاكاديين الساميين العائدة الى حقبة دخولهم الى بـــلاد الرافدين مجهولة • وقد عرف بعضها من اسماء الاعلام • وفي العراق اقتبس الاكاديون حضارة سومر ومعتقداتها وبوجه عام لا يمكن فصل المعتقدات الاكادية عن السومريـــة لكن شعش هــو الاله الرئيســـي للامبراطوريـــة •

١ ــ ايــل ــ كبير الالهة لدى الاكاديين وكل الساميين :

٢ ــ الثلاثي الكوكبي : مين   اله القمر   = نانا السومري

شمش   اله الشمس   = أوتو السومري

عشتار   الهة الزهرة   = انانا السومرية

٣ ــ الهات الغزوات والمعارك وعددها كبير منهـــا :

آنونا (المناوشة) آنونيتوم (المناوشة)

انين (المناوشة) ارنينا (النصر)

شيلابات (هي لبوه) شيدورى (هي حصني)

وكل هذه الصفاة وصفت بها عشتار فيما بعد •

٤ ــ داجان اله العواصف والامطار في مدينة توتول كذلك

زبابا في كيش   آبا في مدينة آكاد محارب واله الحرب

تشباك من الهة الامطار أدد الـه الامطار والعواصف = هـدد الارامـي •

٥ ـ أيـا اله الانهـر نظير انكي السومري

٦ ـ ملك مستشار الاله   انزا اللاتوم ماما اشارا هي أسماء لالهـة ثانويـة •



الميتولوجيا السومرية

ان كلمة ميتوس اليونانية تعني حكاية ، وكلمة ميتولوجيا تعني علم الاساطير ، معتبرين الاسطورة حكاية خرافية لا أساس لها • ولكن منذ نصف قرن تقريبا أخذ العلماء الغربيون ينظرون نظرة جديدة واخرجوا تعبير « ميتوس » من معناه القديم أي القصة الخرافية واعطوه معنى يتفق ونظرة المجتمعات القديمة وفهم تلك المجتمعات لمثل هذه القصص التي عاشتها على انها قصص حقيقية حدثت فعلا ، وفق ذلك هي مقدسة يقتدى بها وذات مغزى ابطالها الهة وقوى خلاقة وبشر متفوقون •

في تلك المجتمعات القديمة كانت الاسطورة تمثل الحاجات الدينية والحكم الاخلاقية والمتطلبات الاجتماعية وتفسير الخلق واصول الاشياء وما عملت الالهة انما هو قدوة للبشر ، أي أن الاساطير بتعبيرنا الحالي ليست سوى الدين القديم الذي آمن به الاجداد وتناقلته الاجيال وحورت وطورت من مفاهيمه حتى وصلنا الى الاديان الحالية المعمول بها بما فيها حاليا من مفاهيم ذلك الدين القديم • وفي الاسطورة يلتقي الدين مع التاريخ مع الادب القصصي وفلسفة الاخلاق وماوراء الطبيعة •

لكن احتقار ما سمي « اساطير الاولين » انما ابتدعه المتزمتون من باب الارهاب الفكري متعامين عما دخل من الاساطير في الاديان

دون ان يحط من شأنها وجاءت تعابير أخرى مثل « وثنية » عما سبق المسيحية من أجل تعظيمها «وجاهلية» عما سبق الاسلام من أجل تعظيمه في حين يجوز لنا الآن وبدون تردد أن نعيد النظر في هذه المفاهيم ، فهل هناك وثنية بالمعنى المبتذل للكلسة وهل هناك جاهلية حقا ؟ واذا اقتصرنا بقولنا « اسطورة » على ما لا يقبل علميا وعقليا فقط افلا نجد ان الاسطورة قد دخلت في كل الأديان قديمها وحديثها ؟ •

هل من احترم صورة أو قبلها أو أنجزها لا يفرق بين مادة الصورة والقيم الفكرية والروحية التي تمثلها ؟ أو الشخص المقدس أو المحبوب الذي تمثله ؟ ان المفكرين والفنانين الذين أوجدوا المفاهيم وشخصوها ومثلوها انما قد قدسوا القيم والقوى التي تعبر عنها . وعظموا القوى الخلاقة والمحركة والمنظمة في هذا الكون الواسع . وجسدوها صورا وتماثيل وعبروا عنها في فنهم من شعر وموسيقى ورقص • وعما يختلج في صدورهم من تقديس وتعظيم لتلك القوى التي صعب عليهم ادراكها•انه فن الايقونات الذي بدأه السومريون باختامهم الاسطوانية وعليها المشاهد الدينية التي يمكن طبعها على الطين اللين قبل شيه • ان التعبير الفني عن الايمان قد اعتبر من رجس الشيطان ، عند اصحاب الحضارات البدائية جدا الذين لم يتوصلوا حتى الى مستوى السومريين في الالف ٣ و ٢ ق•م في بناء المدن والمعابد وانشاء المعتقدات والدساتير والدول وفي خلق الفنون الجميلة المعبرة عما يختلج في صدر الانسان المتحضر •

والسومريون هم أول من وضع الاساطير وبدأ أدب الملاحم والتراتيل والاناشيد وبدأ فن التصوير والنحت والموسيقى في العبادة • ومن الواحهم التي لم يترجم الا القليل منها يمكننا استخلاص طريقة فهمهم للكون ، وطبعا تعددت الهتهم ولم يصلوا الى درجة التوحيد

لكنهم وصلوا الـى الهينوثية عندما أصبح « الاب انليل » كبير الالهة وملكها • وبينما الاساطير البابلية والآشورية هي واحدة عمليا نجـد انها تختلف جزئيا عن السومرية رغم ان السومرية هي الاصل • كما توجد بعض الاساطير السومرية التي ليس لها ما يعادلها عند الساميين•

واهـم الاساطير السومرية هي :

١ ــ قصص دوموزي واناانا (تموز وعشتار) ــ في زواجهما ونزول اناانا الى الجحيم وعودتها وارسال دوموزي بديلا عنها •

٢ ــ اسطورة الخلق وهي تختلف جدا عن اينوما ايليش البابلية ويمكن جمعها من المتفرقات السومرية بعكس ملحمة الخلق البابليـة المتكاملة • وهي قصص عن اصل العالم وتنظيمه وادوار بعض الالهة وخلق الانسان والطوفـان •

اصـل العـالم :

بدأ العالم بالبحر الاول « نمو » كما في سفر التكوين ومع مرور الزمن ولدت نمو السماء والارض ملتصقين بشكل جبل شاهق قمتـه السماء وقاعدته الارض أي آنو وكي • ومن اتحاد آن وكي ولد الـه الهواء انليل وفرق بينهما وبذلك شكل الجو الارضي • ثم أخذ يخلق الالهـة والمخلوقـات •

تنظيـم العـالم :

مولد القمر نانا من زواج انليل وننليل قرب نهر ننبردو وهـي قصة فسق الهي وديمقراطية الهية حيث أن الالهة في المجمـع حكموا على رئيسهم انليل بالنفي الى العالم السفلي لانه اغتصب ننليل وهـو فسق لا يجوز ان يقوم بـه الـه •

وكان نانا الاله الكوكبي الاول تزوج ننجال فولدا اوتو الشمس وتكاثر الالهة وكانوا يأكلون الاعشاب بأفواههم كالاغنام وأخيرا لـم يجدوا ما يكفيهم وكان مجمعهم في نيبور • فكان أن اجتمعوا في غرفة الخلق « دوكو » وخلق انليل لاهار واشنان اله القطعان والهة الغلـة لينتجا الطعام للالهة لكنهما أخذا في شرب الخمر والخصام واهمـال الواجب فنقص المحصول واضطر انليل وانكي الى خلق الانسان من أجل خدمة الالهة وكما في الاديان خلق الانسان من التراب •

خلـق الانسان :

خلق أنكي الانسان من طين العمق بمساعدة ننماه أم الولادة ثم سكر انكي وننماه فخلقت من الطين ستة أنـواع من البشر الناقصي الخلقة منهم العاقر والخصي الخ ••• في بـدء وجود المجتمع البشري كان كمال البدء • حيث لم يكن حية ولا عقرب لامرض ولا شيخوخة ولم يكن للانسان بين المخلوقات منازع (هذا البدء الذهبي موجود في كل الميتولوجيات) وكان البشر يعيشون بـسلام ويمجدون الله بلسان واحـد •

الطوفـان :

في كل الميتولوجيات يـوجد طوفان • وبطل الطوفان السومري زيوسودرا الذي نجا في فلكه ثم وهبته الالهة الحياة الابدية ووضعته في (دلمون حيث تشرق الشمس • ودلمون هي البحرين وكانـت جنة السومريين • ورغم ان قصة الطوفان البابلي مبنية عليها الا أنها اوسع وتمثل قطعه أدبية رائعة ضمن ملحمة جلجامش وعنها أخـذت قصـة الطوفان في التوراة •

ومـن باقي القصص السومرية قصص جلجامش وقصة التمـرة

المحرمة مــن مضاجعة انكي وتناه وولاده نسارام البنات • حبلـت تسعة أيام أي يوما واحد بدلا عن كل شهر الخ ••••

وهنا قصة الخلق السومرية مجمعة من مختلف الالواح ومنسقة بحيث تبرز المفهوم السومري لترتيب الكون وأصول أجزاءه •

في البــدء كانت امنــا نـــو

الالهة العظيمة التي غمرت مياهها كل الكون

ومع مرور الزمن على هذه الالهة الوحيــدة

في سعتها اللامتناهية ولدت ولدين بصورة البشر

الاول ابــن اســـه آنــو

يمتد بشكل قوس من قطب الى قطب وهو السماء

والثانية ابنة اسمها كي وهــي الارض

بعد ولادتهما كان آن وكي متحدين

في جبــل عــال يرتــع فوق السحاب

ومن هذا الاتحاد ولد الاله العظيم انليل

وكي يخلق الرب ما هو مفيد وصالح

الرب الذي ارادته لا تتبدل

انليل الذي يخلق بذور البلاد من الارض

صمم أن يبعد الارض عن السماء

فصل انليل الارض عن السماء

ليجعل المخلوقات الناشئة تنمو •

زواج انليل ومولد القمر :

في الوقت الذي لم يكن فيه قد خلق الانسان بعد • ويوم كانت مدينة نيبور مأهولة بالالهة فقط كان فتاها الاول هو انليل وكانت عذراؤها هي الالهة نينليل وكانت العجوز فيها هي نينبار شيغونو ام نينليل • وبعد أن عزمت الالهة العجوز أن تزوج ابنتها من الاله انليل أوصتها أن تفعل ما يلي :

في المجرى الصافي أيتها المرأة اغتسلي
تمشي يا نينليل على ضفة نهر نينبردو
فان ذا العينين المشرقتين ، السيد ذو العينين النيرتين
«الجبل العظيم ، الاب انليل» ذو العينين الجميلتين سيراك
ان الراعي الذي يقدر المصائر سيراك
وسيعانقك ويقبلك

اتبعت نينليل نصيحة امها مغتبطة مسرورة :

في المجرى الصافي اغتسلت المرأة في المجرى الصافي
نينليل تمشت على ضفة نينبردو
ذو العينين الجميلتين السيد ذو العينين المشرقتين
« الجبل العظيم ، الاب انليل » ذو العينين الجميلتين رآها
الراعي الذي يقدر المصائر ذو العينين الجميلتين أبصرها
كلمها السيد من أجل الاتصال بها لكنها لم تكن راغبة

انليل كلمها وأراد الاتصال بها لكنها صدته :

« ان مهبلي صغير لا يعرف الجماع

وشفتي صغيرتان لا تعرفان التقبيل »

عندئذ اطلع انليل وزيره « نسكو » على أمره وحبه لنينليل فهيأ له قاربا اغتصبها به أثناء سيره في النهر فحبلت بالاله نانا • غضب الالهة على انليل من أجل فعلته المنافية للاخلاق فأمسكوا به ونفوه من المدينة المقدسة الى العالم السفلي رغم أنه كان ملك الالهة •

بينما كان انليل يتمشى في « كي أور » (معبد نينليل)

الالهة الكبار بمجموعهم الخمسين

والالهة الذين بيدهم تقدير المصائر سبعتهم

قبضوا على انليل في كي أور وقالوا له :

« يا انليل ؟ أيها الفاسق اخرج من المدينة

اخرج يانونامنر أيها الخليع من المدينة »

هكذا اضطر انليل ان ينصاع لاوامر مجمع الالهة ويرحل الى الجحيم السومري لكن نينليل وهي حبلى لم تشأ أن تبقى وحدها فتبعته الى منفاه في العالم السفلي •

حزن انليل لقرارها لان ابنه نانا (سين) الذي ستلده والذي قدر له أن يكون موكلا بأعظم اجرام السماء وهو القمر سيكسن العالم السفلي المظلم الكئيب ،فتدبر انليل خطة لانقاذ ابنه وضلل نينليل في طريقة ـ لقد التقى ببواب العالم السفلي واله نهر العالم السفلي وصاحب معبر العالم السفلي وتقمص أشكالهم على التوالي وكل مرة

اتصل بالالهة نينليل • فحملت ثلاثا من الهة العالم السفلي وصارت هذه بديلا لاخيها الاكبر سين وأصبح هكذا حرا يصعد الى مكانه المقدر له في السماء • •

وتوالد الالهة وتكاثروا ولد انكي لانليل وهذا ولد اسللوحي ودوموزي ونانشي كما ولد ا نانا اوتو وانانا والكواكب فأضاءت السماء • وصارت الهة سومر بالمئات وانليل يرأسها ويحكمها من نيبور •

« انليل سدوشي »

« انليل ذو الامر الواسع المدى الذي كلمته مقدسة

الرب الذي لا يبدل كلامه • الذي يقدر المصائر الى الابد

الذي تبصر عيناه المتفرستان جميع الاقاليم

الذي يتغلغل نوره المتعالي في قلب جميع البلدان

انليل الذي يجلس مالئا المنصة البيضاء الذي ينبوأ المنصة السامية

الذي يحكم ارادات القوة والسيادة والامارة

آلهة الارض تجسد له خشية ورهبة

وآلهة السماء تتذلل أمامه •••••

« في السماء هو أميرها الاول

وعلى الارض هو عظيمها وكبيرها

وبين الاتوناكي هو ربها العظيم

وعندما يقدر المصائر ، وهو في جلالة ورهبته
لا يجرأ الـه على أن ينظر اليـه
بل الى وزيره المبجل فقط ، الى حاجبه نسكو
يبلغ أمره ويلعن كلمة قلبه
يكشف عنها ويبلغها
حيث ينيط به تنفيذ أوامره الشاملة لكل شيء
انه يأتمنه على جميع الاوامر المقدسة وجميع النواميس »

ولما تكاثر الالهة الكبار لم يجدوا ما يكفيهم من الطعام والكساء فأخذوا يجتمعون في حجرة الخلق « دوكو » ليجبلوا ويخلقوا صغار الالهة لتخدمهم وتؤمن ما يحتاجون .

« بعد أن عمل آنو وهو على جبل السماء والارض
على ولادة الانوناكي الالهة اتباعه
ولان اسم اشنان لم يكن قد ولد ولم يخلق بعد
ولا أتو « الهة النسج » ، لم تكن قد خلقت
ولم يكن قد شيد ل آتو معبد وحرم
ولم تكن النعجة في الوجود ولا ولد الحمل
ولم تكن العنزة في الوجود ، ولا ولد الجدي
النعجة لم تلد حمليها .
والعنزة لم تلد أجداءها الثلاثة

ولان اسم « اشنان » المدبرة واسم « لهار »
لم يعرفهما الانوناكي ، الالهة العظام
ولم توجد حبوب « الشيش » ذات الثلاثين يوما
ولا « الشيش » ذات الاربعين يوما في الوجود
والحبوب الصغيرة ، غلة الجبل، غلة المخلوقات ذات الحياة
الطاهرة لم توجد
ولان اتو لم تولد بعد والتاج لم يكن قد رفع
ولان الرب .... لم يولد بعد
لان سموقان « اله السهل لم يجيء الى الوجود
ومثل البشر أول ما خلقوا
لم يعرف الانوناكي أكل الخبز
ولم يعرفوا لبس الحلل
كانوا يأكلون النبات بأفواههم كالاغنام
ويشربون الماء من الترع .
في تلك الايام ، في حجرة الخلق الخاصة بالالهة
في بيتهم « دوكو » جبلوا لهار واشنان
في ذلك الزمان قال انكي ل انليل
أبتي انليل ؟ انلهار واشنان
الذين قد خلقا في الـ « دوكو »

لنجعلهما يهبطان من الدوكو
وبكلمة انكي وانليل المقدسة
هبط لهار واشنان من الدوكو
لقد انشأ (انليل وانكي) ل لهار الحظيرة
وجعلا له النباتات والاعشاب الوفيرة
وأقاما ل اشنان بيتا
وقدما لها المحراث والنير
صار لهار يقف في حظيرته
وهو الراعي الذي أفاض من خيرات الحظائر
واشنان تقف بين غلاتها
وهي العذراء اللطيفة السخية
وكل خير وفير يأتي من السماء
أظهره لهار واشنان على الارض
لقد أحلا الخير الوفير في المجمع
وفي البلاد أحلا نفس الحياة
لقد وجها نواميس الالهة
وضاعفا ما في المستودعات
لقد ملآ المخازن حتى اكتسلت
وفي بيت الفقير الذي يحتضن التراب

دخلا وجلبا الخير والوفرة

وحيثما وقف كلاهما

أحلا الخير الوفير في البيت

وفي الموضع الذي يقفان فيه يحل الشبع

والموضع الذي يجلسان فيه يزودانه بالمؤن

لقد طيب قلب آنو وانليل :

وبعد أن اكثر لهار واشنان من شرب الخمر

أخذا يتشاجران في المزارع والحقول

وما انتجه لهار واشنان

أكله آنوناكي الدوكو ولم يشبعوا

ومن حظائرهما الطاهرة حليب « شم » الجيد

شربه انوناكي الدوكو ولم يرتووا

ومن أجل حظائرهما الطاهرة الطيبة

اعطي الانسان نفس الحياة . »

ولما سكر لهار واشنان وتضائل انتاجهما أخذ الالهة يجدون المصاعب في الحصول على قوتهم ولا سيما بعد أن جاءت الالهات الى الوجود . كان الانوناكي يتذمرون ويشكون لكن انكي لم يكترث بشكواهم بل ظل مضجعا في مياه العمق وهو الهها . فدنت منه «نمو» الهة البحر الاول وأم جميع الالهة تذرف الدموع وتخاطبه :

يابني قم من فراشك واعمل ما هو حكيم ولائق

اصنع عبيدا للالهة وعساهم يضاعفون عددهم ؟
تدبر الاله انكي الامر وقاد جميع الصناع المهرة وقال :
يا أماه ! ان المخلوق الذي نطقت باسمه موجود
فاربطي عليه صورة الالهة
اعجني الطين الموجود فوق مياه العمق
فاجعلي « الصانعين المهرة » يكثفون الطين
وعليك أنت أن توجدي له الاعضاء والجوارح
وستعمل ننساه من فوق يدك
وستقوم معك ام الولاده أثناء صنعه
يا أماه قدري مصيره
وستربط عليه ننماه صورة الالهة ؟
انه الانسان ....

وبعد أن صنع انكي وننماه الانسان من طين الابسو ليخدم الالهة وربطت عليه نينمان صورة الالهة (كما في سفر التكوين) وجد الانسان كاملا . ثم اولم انكي للالهة بمناسبة خلق الانسان . وأثناء الوليمة شرب انكي ونينماخ من الخمر حتى الثمالة فاخذت نينماخ شيئا من طين العمق وصنعت ستة أشكال من البشر الشاذين في خلقهم . فقرر أنكي مصائرهم وأعطاهم الخبز ليأكلوا ولكن لتلف النصوص لم يعرف الا النوعين الاخيرين وهما المرأة العاقر والانسان الذي لاجنس له .

لقد صنعت ننماخ من الطين المرأة التي لا تلد

ولما رأى انكي المرأة التي لا تلـد
قدر مصيرها وقرر ان توضع في « بيت المرأة »
وصنعت ننماخ من الطين مخلوقا ليس له عضو الذكر ولا عضو الانثى
ولما رأى انكي من ليس له عضو الذكر ولا عضو الانثى
قرر مصيره بان يقوم بخدمة الملك (الخصيان)

وبعد أن صنعت ننماخ الانواع الستة الناقصة من البشر قرر انكي ان يخلق بعضا آخر ، لكنه كان فاشلا في خلقه اذ صنع مخلوق ناقصا ضعيفا في جسمه وروحه ، فلجأ الى ننماخ لتساعد مخلوقه العاجز قائـلا :

مثلما عينت مصير ما صنعت يـدك
واعطيتـه الخبز ليـأكل
اعملي على تقرير مصير ما صنعت يدي
وناوليـه الخبز ليأكل

حاولت ننماخ دون جدوى ، كلمته فلم يجب اعطته الخبز ولـم يتناوله لا يقدر ان يجلس أو يقف ولا ان يثني ركبتيه وأخيرا لعنـت ننمـاخ انكي لانـه صنع ذلك المخلوق المريض الذي لايقوى علـى الحياة وهي لعنة تقبلها انكي لانه كان مستحقا لها .

وبعد ان تم خلق الانسان الكامل من الطين على صورة الالهـة خلق انليل الفأس واعطاها للانسان ليعمل :

صنع الفأس وكان نهار

وأودع في الفأس والسلة الحول والقــوة

ومجــد انليــل فأســه

وفرض العمل وقــرر المصائر

وبحضرة الانوناكي الذي احاطوا بــه

وضعها منحــة في ايديهــم

لقــد صلوا وسبحوا انليــل

واعطوا الفأس الى البشر ليعملوا بهــا

ومن معبده الرائع في نيبور حكم انليل العالم وعيناه ترتفعــان تنظران الى الشرق البعيد حيث ينبع دجلة وينحدر جنوبا في تلال اشور القفرة ، والى الغرب البعيد حيث الفرات العظيم يسير عريضا بطيئايروي سهول سومر ويهب الحياة قبل ان ينتهي الى « النهر المــر » .

وفي مكان طاهر على عرش ابيض جلس انليل « جبل عظيم » يمر باصبعه مشيرا الى البحر واليابسة يرسل أشعة الشمس على السهول ، يسوق المياه من التلال لتروي الصحارى وينظر الى خليقته متمنيا لهــا الخير والرخاء . وفي جلال القادر على كل شيء عين اله الحكمة انكي ليرعى قبل كل شيء أرض سومر العظيمة .

لولا انليل الجبل العظيــم

لما بنيت المدن ولا اقيمت المستوطنات

لما بنيت المرابط ولا أقيمت الحظائــر

لما أقيم ملوك ولا ولد كبار الكهنة

ولغدا العمال وليس عليهم رئيس ولا مشرف

لولاه ما جلبت الانهار مياه الفيض والارواء

لولاه ما وضعت الاسماك بيوضها في ادغال القصب

ولما بنت اطيار السماء أعشاشها في الارض الموحشة

لولاه ما جاءت سحب السماء السائرة بمياهها

ولما نمت النباتات والاعشاب تزهو بها السهول

ولا اقبلت الحبوب الوفيرة في المروج والحقول

ولما اعطت الاشجار في غابة الجبل ثمارها ....

عظيمة هي اعمال انكي وكان معظمها هبات للبشر . كمعلم صالح كسدن الثيران لتفلح في الفصل المناسب وعلم الانسان كيف ينبت الحبوب . ومن التلال ساق الاغنام تتبعها صغارها وبنى لها الحظائر . وجعل الاسماك تبيض بين الاعشاب وتتكاثر لتغذي شعب سومر .

وبنى الصوامع وملأها بالحبوب وثمار البساتين بالدراق والتوت والرمان والموز والمشمش .

لقد وجـه المحراث والنـير

الامير العظيم انكي جعل الثور يفلـح

من طين الانهر جبل القرميد المربع وعين «كبتا » علـى قالـب القرميد ودبر آلة البناء ووضع اسس المساكن وأوكل شؤونها للالـه مشدما ، بناء انليل العظيم وعلم الصناع « دوي الرؤوس الســود » كيف يبنون الجدران والمـدن مدماكا فوق مدماك ويزينوها بخشب الارز . وحول كل مدينة بني انكي مدودا ليحتجز المياه للري في فصل الجفاف . وملا السهول بالاعشاب والنبات والحياة الحيوانية وعـين

سموقان « ملك الجبل » علــى شؤونها • ثــم شيد أنكــي الحظائر والزرائب وملأها باللبن والزبد وعين على اغنامها الاله الراعي دوموزي ـ وفي الحدائق الغناء غرس أشجار النخيل وأخذ (يوشوش) بريــح الجنــوب •

ياسومر ايها البلد العظيم بين جميع بلدان العالم

انت مغمورة بالنور الثابت الراسخ الذي ينشر

من مطلع الشمس الى مغربها ، النواميس الالهية بين جميــع النــاس •

ان نواميسك المقدسة نواميس سامية لا يمكن ادراكها

قلبك عميــق لا يسبر غوره

المعرفة الصحيحة التي تأتين بها ، كالسماء لا يمكن ان تمس

الملك الذي تلده • متوج بالتاج الابدي

والسيد الذي تنجبه يضع التاج على رأسه الى الابد

سيدك ، وملكك يجلس مع آنو على المنصة السماوية

ان ملكك هو الجبل العظيم « هو الاب انليل »

والانوناكي الالهــة العظــام

اتخذوا مواطنهم في وسطك

وفي احراشك الكبيرة يأكلون طعامهم

فيابيت سومر عسى أن تتكاثر حظائرك وتتضاعف ابقارك

عسى ان تكون حظائر اغنامك وفيرة وماشيتك لاعد لها

عسى ان ترفع معابدك الثابتة ايديها الى السماء

وعسى أن يقدر الانوناكي المصائر في وسطك

وبعد ان علم انكي الانسان سبل الحياة بدأ العصر الذهبي للانسان كان الانسان كاملا يفعل مشيئة الالهة وكان عصر السعادة الكاملة يوم كان يعيش البشر بلا كد ولا كفاح ، يوم لم يكن للانسان منافس وكانت جنته الارضية « دلمون » بلد طاهر ومشع حيث لاحية عقرب ولا مرض ولا شيخوخة وسلام بين كل البلدان والبشر جميعا يمجدون الله بلسان واحد . انه الفردوس وكمال البدء .

في غابر الزمان لم يكن حية ولا عقرب

لم يكن ضبع ولا أسد

لم يكن كلب متوحش ولا كان ذئب

لم يكن هناك خوف ولا ارهاب

ولم يكن للانسان منافس

في غابر الزمان كانت بلاد « شوبر وهمازي »

وبلاد « سومر » المتعددة الالسن

البلاد العظيمة ذات النواميس الالهية الخاصة بالامارة

وبلاد « اورى » التي حوت كل ما هو لائق

وبلاد « مارتو » كانت امنة مطمئنة

وجميع الكون والبشر في وحدة والفه

يمجدون الله (انليل) بلسان واحد

وفي « دلمون » لاينعق الغراب الاسود

وطير الـ « اتيدو » لا يصيح ولا يصرخ

الاسد لايفترس

والذئب لايخطف الحمل

لم يعرف الكلب المتوحش الذي يلتهم الجدي

لم يعرفوا الكوارث التي تدمر الغلة •

لم توجد الارملة

والطير في الاعالي لايسقط

والحمامة لاتحني رأسها

ما من ارمد يقول « عيني مريضة » •

ولا مصدوع يقول « في رأسي صداع »

عجوز دلمون لاتقول « انا عجوز »

وشيخها لا يقول « أنا طاعن في السن »

العذراء لا تستحم ولا يهدر الماء الرائق في المدينة

من يعبر نهر الموت لايتفوه بالموت

والكهنة النائحون لا يطوفون حوله

المنشد لا يعول بالرثاء

وفي طرف المدينة لاينوح ويندب •

الطوفان :

سقط الانسان أو أخطأ أو أهمل واجباته أو زاد في حب الاطلاع كما فعل ادم وحواء • فوجب قصاصة • لكن لوحا سومريا واحدا وجد عام ١٩١٤ ونشره أرنو يوبل يتكلم عن الطوفان • لكن هذا اللوح مهشم لم يبق الى ثلثه الاسفل • ومما تبقى نجد ان الالهة قررت ابادة الجنس البشري الا واحد منهم يعلن للاخرين انــه سيعمل على انقاذ الجنس البشري من الفناء حتى يعيد بناء مدن ومعابد الالهة • فنجد اللوحة تتكلم في بعض الاماكن عن خلق الانسان وتوطينه وبناء الخمس مدن الاولى اريدو وباد تيبرا ولاراك وسيبار وشوروباك وتعيين الالهة الموكلين عليها ينكسر اللوح ويفقد نحو /٣٧/ سطرا آخر غير ما فقد في البداية ثم تعود الى اسطر جديدة يبرز فيها اسم زيو سودرا نوح السومري ويوصف بأنه رجل ورع في قلبه مخافة الله يتربص الوحي الالهي من خلال الاحلام والتراتيل • وبينما كان يوما يقف الى جانب أحد الجدران سمع صوت احد الالهة يخبره عن قرار الالهة في المجمع باحداث طوفان « يهلك البذرة البشرية » •

زيو سودرا يقف جانبا ويصغي
قف الى جانب الجدار الى يساري
قرب الجدار سأقول لك كلمة فخذ كلمتي
اصغ الى نصائحي
بقرار منا سيجرف طوفان مراكز العبادة
ليهلك البذرة البشرية
هذا هو القرار ، كلمة مجمع الالهة
بكلمة الامر من آنو وانليل
ستوضع نهاية للحكم والملكية •

ثم بقايا كتابية تدل على التعليمات لزيو سودرا أن يبني فلــكا ضخما لينقذ نفسه من الفناء وبعد فقد أربعين سطرا نجد أن الطوفان قد حدث لمدة سبعة أيام وسبعة ليالي ٠

كل الاعاصير بقواها الفائقة عصفت معا
ومعها الطوفان يجرف مراكز العبادة
وبعد ان عم البلاد سبع ايام وسبع ليالي
والفلك الضخم تتقاذفه الاعاصير والمياه الهائلة
ظهر اوتو وارسل النور على السماء والارض
وفتح زيو سودرا باب الفلك العظيم
فادخل اوتو البطل اشعته فيه
زيو سودرا الملك
سجد امام اوتــو
قدم الملك ثورا وذبح شاتا ٠

وبعد فقد /٣٩/ سطرا آخر ، نجد زيوسودرا وقد منح الحياة كاله ونقل الى دلمون حيث تشرق الشمس ليقيم هناك ٠

زيو سودرا الملك
سجد امام آنو وانليل
آنو وانليل قرباه منهما
وحياة كحياة الالهة وهباه
نسمة الخلود كاله انزلاها عليه
عندئذ زيوسودرا الملك
حافظ النباتات وبذرة البشر
في معبر الارض في ارض دلمون
حيث تشرق الشمس ، جعلت سكناه

خوذة ذهب مــن أور



جلجامش يصارع انكيدو



تحرير الـه الشمس



صعود الملك ايتانا الى السماء



محاكمة زو أمام أنكي



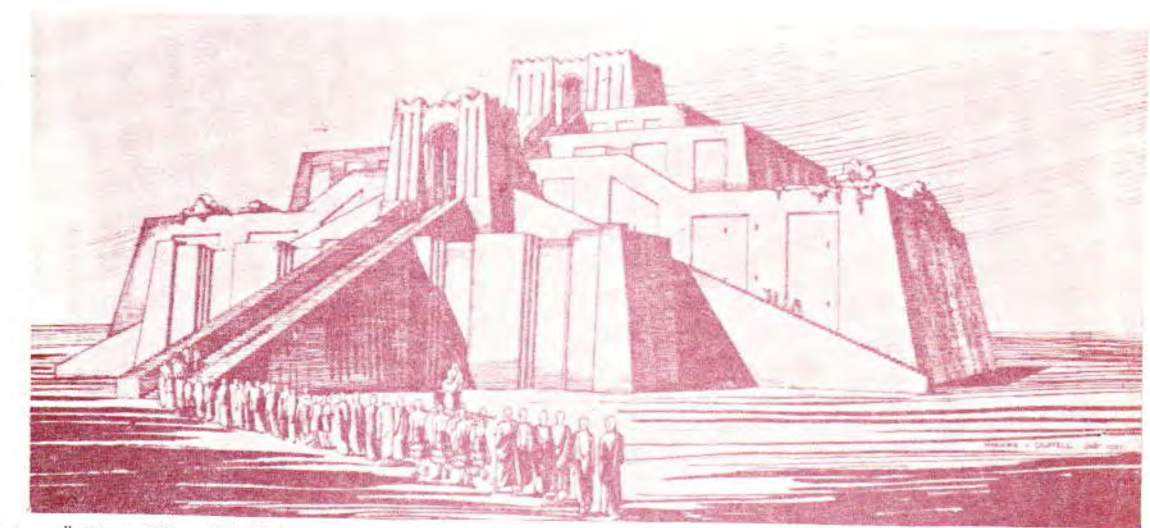
مردوخ يذبح تيامات



تقدمة الثور للآلهة نينماه



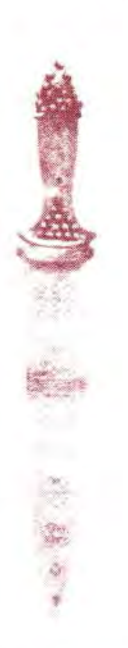
اله الشمس يحرق كنجو

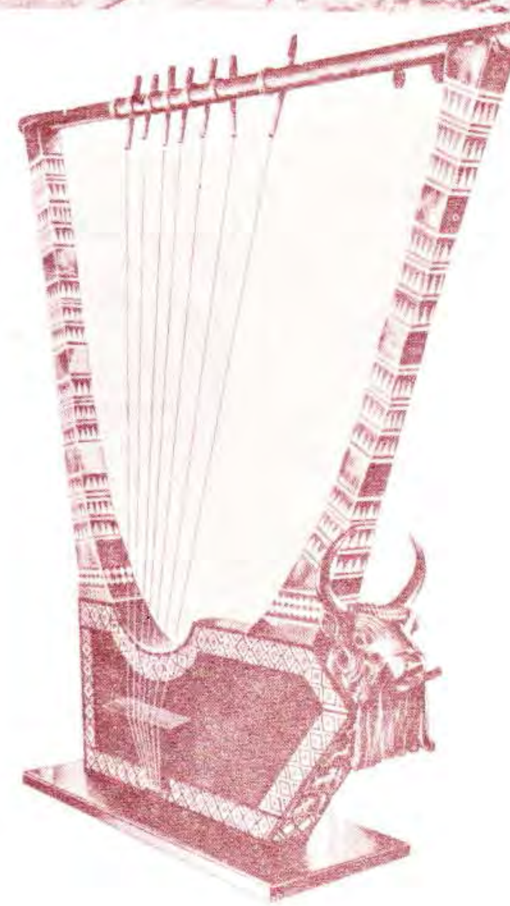


ترميم زيقورة أور القرن ٢١ ق . م

آثار زيقورة أور
لاله القمر « نانا »

دفـن حاشية الملك معـه

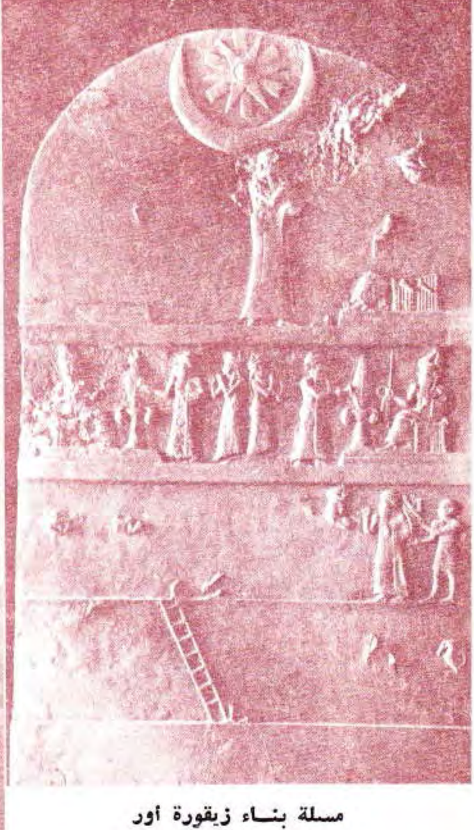




قيثار وخنجر مـن أور



جوديا باني المعابد



مسلة بناء زيقورة أور

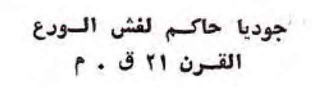


اورنمو أول مشرع
القرن ٢١ ق . م

معبـد سومري



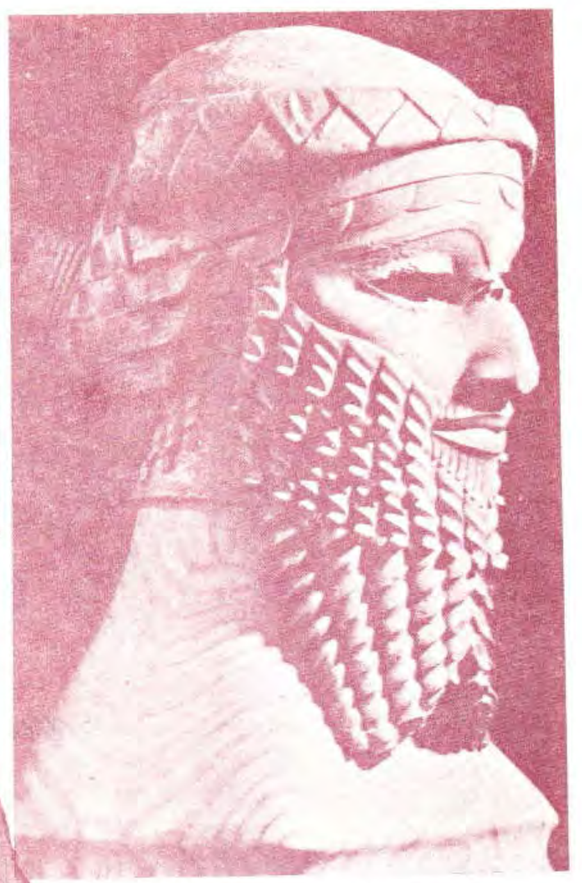
أبانا توم ملك ـ لفش ـ
نحـو ٢٥٠٠ ق . م



جوديا حاكـم لفش الـورع
القـرن ٢١ ق . م



زينة الملكة شبعاد من مقابر أور



سرجون الاكادي أول موحـد للهلال الخصيب
نحو ٢٣٥٠ ق . م



نارام سين حفيد سرجون يحارب اللولبي

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطـا	الصـواب
١٨	٩	لفش	لفش
١٨	١٧	الكتابة	بالكتابة
١٨	١٨	لواريوس!	لداريوس!
١٩	٨	« هبة الله بغداد »	« هبة الله » بغداد
١٩	١٧	القديم في	القديم مـن
٢٣	١٤	الورقـاد	الورقـاء
٢٦	١٣	الفحـم	الفـم
٢٦	١٧	والفحـم	والفـم
٢٦	١٨	فحـم	فـم
٣٣	١٦	السومريون	السومريين
٤٠	١١	بالتقديس	بالتقديس
٤٤	٢٠	الجبرزي	زاغيزي
٤٥	٤	ومـا	وامـا
٦٤	١٠	بتيبور	بنيبور
٦٥	٤	بني نيسابا	ونبي نيسابا
٦٥	٢٣	نيسفرسو	نينفرسو
٦٧	٤	لاونمو	لاورنمو
٦٩	١٧	بعـض	وبعـض
٧٢	١	اريـدو	إريـدو
٧٢	١٢	مـارى	مـاري
٧٣	١٨	سنين	سنتين
٧٦	١٩	انتنت	انتهـت
٧٨	١٦	كلب تو	كلباتـو
٧٨	١٧	ارنـوى	اي او آنوي
٨٩	٤	وآذار ٢ (آذار)	وآدار ٢ (آدار)
٨٩	٢٠	ودأوزو	دواوزو
٩٥	٢٣	ويفصحبون	ويصخبون
١١٠	١٨	وتفسـاع	وتصـاغ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٥	١٩	كفـره	« كفـره »
١١٥	٢٢	تنجرسو	نتجرسو
١١٨	١٩	اوروك	اوروكا
١٢٢	٢	الجامقة التابمة	الجامعة التابع
١٢٧	٦	سوريـا	سوريـة
١٢٧	١٩	باهـي	باهـر
١٢٨	١٥	شهواني	تهوانـي
١٢٨	٢٠	ابجشبان	جشبان
١٢٩	١٠	باميكي	باملـكتي
١٢٩	١١	باملـكني يامن كرمت باعضائها المتناسقـة	باملـكتـي يا ذات الراس .. باملـكتي كوبانـم
١٣٢	٩	المرموقـة	المرقومـة
١٣٢	١٥	سربتو	سربيتو
١٣٧	١٦	انـانـا	نـانـا
١٣٩	١٢	وهبتك	وَهبتِ
١٤٥	١٤	لآكلين	لآكلـن
١٤٥	١٧	تعد تعد	تعـد
١٤٨	١٣	يحلق بـي العذاب لكن كمن	يحلق بي العذاب كمـن
١٤٩	١٠	والمرضـى	والمـرض
١٤٩	١٣	الملـك	المـلاك
١٤٩	٢٠	رغم أن	رغم أنـه
١٥١	٩	القبـر	القفـر
١٥٧	٧	ابمبش	اميش
١٥٧	٩	انشـين	إنشـين
١٥٧	١١	ابعـش	ابميـش
١٥٧	١٥	ايغـش	ايميـش

مراجع الكتاب

Encyclopedia Bilunnica

Encyclopedia Awericana

Encyclopedie Larousse

Alpha Encyclopedia

History Begins At Sumer Samuiel Kramer

من الواح سومر ـ صموئيل كريمر ـ ترجمة طه باقر

Ancient iraq Geurge Roux

Middle Eastern My thology S. H. Hooke

Ancient Myths Nosma Goodrich

Gods Graves & Scholars C. W. Ceram

They Wrole on Clay Edward Chiera

Oigging the past Sir Leonard Wooley

الفهـــرس

